

مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الحادي والخمسون
شعبان ١٤٠٣ هـ
مايو ١٩٨٣ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
د. السويسري سابقا (بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الحادى والخمسون
شعبان ١٤٠٣ هـ - مايو ١٩٨٣ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير:

إبراهيم الترسى

الفهرس

تصدير :

بقلم : ابراهيم التري

ص ٥

● كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي

ص ٧

● كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور
رئيس المجمع

ص ٩

● بين مؤتمرين

للدكتور مهدي علام

الأمين العام للمجمع

ص ١٣

● كلمة الأعضاء العرب

للاستاذ أحمد توفيق المدني

ص ١٩

● تحية المؤتمر

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

ص ٢٣

البحوث :

● لغة الصحافة في بلاد الشام

للدكتور عدنان الخطيب

ص ٢٩

● الأسماء المعبدة والأسماء المجددة

للدكتور عمر فروخ

ص ٤٥

● لغة الخبر الصحفي

للاستاذ سعيد الأفغاني

ص ٥٥

● لغة الصحافة في القطر الجزائري

للاستاذ أحمد توفيق المدني

ص ٦٣

● لغة الصحافة

للدكتور محمد عزيز الحبابي

ص ٧٩



- من كناشة النوادر (٤)
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ٨٧
- تصحيح الأوضاع
للأستاذ محمد الفاسي
ص ١٠١
- الروح (قصيدة)
للدكتور حسن علي ابراهيم
ص ١٠٧
- اللغة المصفاة
للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ١٠٩
- في رحاب مجمع الخالدين (قصيدة)
للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ١١٧
- الصحافة وتجديد اللغة
للأستاذ عبد الله كنون
ص ١٢٥
- ابن سينا . . مناقشة بعض ما قال في العين
للدكتور حسن ابراهيم
ص ١٣٣
- لفة الصحافة في مصر منذ ظهور
الصحافة في القرن الماضي
للأستاذ محمد عبد الفنى حسن
ص ١٣٩
- الصدقات والفواص
للأستاذ جمال محمد أحمد
ص ١٥٣
- التعبير العلمى ولفة العلم
للدكتور ابراهيم الدمرداش
ص ١٦٥
- المصطلح العلمى في التعريب
للدكتور عبد العظيم حنفى صابر
ص ١٧١
- لفة الصحافة في الأردن
للأستاذ الشيخ ابراهيم القطان
ص ١٧٩
- تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات
بواسطة الأرقام العربية
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ١٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : ابراهيم الترنزي

في النشأة الأولى للفن الصحفي لم يختلف أسلوبه باختلاف أنواعه ومجالاته ، ثم أخذ هذا الأسلوب يتطور ويتنوع ، بحسب أنواع الفن الصحفي ؛ من خبر ، ومقال ، وتعليق ، وتحقيق ، وتحليل ، كما أن الأسلوب في كل منها أخذ يختلف بحسب مجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية ، وغير ذلك .

هكذا نشأت أساليب فنون القول ، ثم أخذ كل منها يتطور ويتنوع ، ويكتسب نفسه سمات وخصائص ما زالت - وستظل - تتجدد مع تجدد أنواع هذه الفنون ، وتطورها المتواصل .

وقد نشأ الأسلوب الصحفي في عالمنا العربي قريب الشبه بالأسلوب الأدبي السائد في ذلك الحين ؛ ألفاظه يكثر فيها الغريب ، وعباراته تقليدية تنتمي إلى عصور سابقة ، تمضي متاقلة ركيكة ، تصالصل بالحملات البديعية المثقلة بها ، وقد تسللت إليها بعض الكلمات الأجنبية ، وبخاصة التركية في البلاد التي ظلت طويلاً في إطار الخلافة العثمانية .

ومع إشراقة النهضة العربية الحديثة أخذ الأسلوب الصحفي - كغيره من الأساليب - يتحرر ويتطور ؛ فانطلق من أسر التقليد والحمود ، ونفّس عنه كل أجنبي دخيل ، وصارت عبارته مرسلة سمحة ، تصل إلى القارئ في يسر وطلاقة وألفة . فتكاثر الصحف ، واتسع انتشارها ، وتزايد إقبال القراء عليها من كل الطوائف والطبقات ؛ ومن يوغل في تاريخ الصحافة المصرية يأخذه العجب ، بل الانبهار ؛ لكثرة ما كان يصدر من صحف ، أخذت تتزاحم - وأحياناً تتصارع - على الصعيد الصحفي ، الذي كان يمتد من القاهرة إلى الإسكندرية ، وشمالي الدلتا ، وإلى أسوان في أقصى الجنوب من مصر .

وقد ظلت الصحف المصرية تتكاثر من أواخر السبعينيات في القرن الماضي إلى أواخر الثلاثينيات في هذا القرن ، ثم أخذ بعضها يتعثر ، ويتساقط ، ويختفي ، مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وندرة الورق ورداءته وغلائه ، وبخاصة بعد أن هيمنت على الصحافة الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ .

ولكن ، إذا ظلت الصحف لا تأخذ سبيلها إلى ما كانت عليه من تكاثر فإن الفن الصحفي لم يتجهده ولم يتوقف ؛ فقد ظل يتجدد ويتقدم في الشكل والموضوع ، وأنشئت له دراسات جامعية متخصصة .

وقد صاحب ذلك تقدم مطّرد في فن الكتابة الصحفية ، على مدى رحلتها طوال قرن ونصف .

ففي رحم الصحافة تخلصت ملامح الأسلوب الصحفي ، وبدأت له سماته ، وبلاغته الخاصة به ، وقد صارت ألفاظه سهلة مأنوسة ، تكاد في وضوحها وألفتها تقترب من الألفاظ المتداولة في لغة التخاطب ، وجملته قصيرة رشيقة ، ذات إيقاع سريع متوثب ، قد نفخت عنها الحلى البديعية ، وتخلصت من الصور البيانية التقليدية ، وآثرت تقديم المعنى المباشر القريب ، وتخففت من أدوات الربط وإن حرصت - مع هذا - على أن تكون مترابطة متكاملة في مسارها الفكري والموضوعي .

كان هذا شأن الأسلوب الصحفي في صورته العامة لدى أكثر الكتاب الصحفيين طوال النصف الأول من هذا القرن ، على وجه قريب ، ثم أخذ الأسلوب الصحفي يعتريه ضعف وهزال وقصور ، وركاكة وضحالة ، وإن سلم من ذلك لدى قلة من الكتاب ، حفظت لهذا الأسلوب سلامته وعافيته ، وثرأه الفكري والجمالي .

ومن الإجحاف أن نعزل ما اعترى الأسلوب الصحفي عن الوضع الثقافي العام ؛ فقد شاعت الأخطاء اللغوية والنحوية ، كما شاع الهزال الفكري والبياني ، فيما يكتبه أغلب الكتاب المعاصرين ؛ ومن أهم أسبابه - دون ريب - ما أصاب التعليم اللغوي من قصور في مختلف مراحله ومستوياته ، وما أصاب الحياة الثقافية من قصور إبداعي على الساحة الأدبية .

ولعلنا نعمل بكل الجهد على تحقيق إصلاح تعليمي شامل ، وإحياء ثقافي أصيل يمتد من جذور الماضي إلى آفاق مستقبل حضارى زاهر .

وفي هذا الجزء من المجلة بحوث مؤتمرة الدورة الجمعية التاسعة والأربعين ، ألقاها بعض السادة من أعضاء الجمع ، عالجت موضوع الصحافة ، في مصر وبعض البلاد العربية الشقيقة .

ابراهيم التريزى
رئيس التحرير

كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمي

نائب رئيس مجلس الوزراء للتحريات

وزير الدولة للتعليم والبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الجليل الفاضل رئيس المجمع ،

الأساتذة الأجلاء أعضاء المجمع ،

إنه لمن أعظم أسباب سعادتي ، أن أشرف معكم بافتتاح مؤتمركم السنوي في دورته التاسعة والأربعين ، ذلك المؤتمر العلمي الكبير الذي درج مجمعكم الموقر على عقده منذ عشرات السنين ، ليكون موعداً للقاء كريم بين صفوف ممتازة من أهل اللغة والأدب والعلم ، تجمع بينهم تلك الصلات الوثيقة في خدمة لغتنا العربية ، لغة القرآن الحبيب التي هي - بلا شك - من أوثق العرى التي تحكم ما بيننا من روابط ، وتجمع قلوبنا وعزائمنا على منهج سواء .

ويطيب لي في هذا المقام أن أحييكم أصدق تحية ، وأن أشكر لكم استجابتكم الكريمة لدعوة المجمع إلى هذا المؤتمر ، فقد أبيتكم الدعوة ، مؤثرين الاستجابة الذليلة على ما بين أيديكم من شواغل وشئون

ولأنه ليسعدنا حقاً أن يستقبل المجمع هذا المؤتمر ، وقد تحقق له إنجازان على جانب كبير من الأهمية :

أولهما صدور قانونه الجديد ، حيث جد من الأمور ما يستوجب تعديل قانونه ، وإنه ليستقبل دورته ، ويستأنف نشاطه بقانون يؤكد استقلاله ، ويعزز شخصيته المعنوية ، ويتيح له من الاختصاصات ما يعينه على الاضطلاع بإنجاز أغراضه ، في يسر وانطلاق ، وفي ظل هذا القانون الجديد تود وزارة التعليم أن تعرب عن مساندتها الكاملة وتقديرها البالغ لرسالة المجمع الكبيرة في حاية لغتنا القومية ، وتنميتها ، وإمدادها بما يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا الحاضر ، بحيث تسير ما تستحدثه الحضارة من معطيات ومفاهيم .

أما الإنجاز الثاني فهو انتقال المجمع إلى مبناه الجديد . ولا شك أننا جميعاً مغتبطون بأن يفتح المجمع مؤتمره في موقعه الجديد ،

(*) أقيمت في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين يوم الاثنين ٨ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ،

الموافق ٢١ من فبراير سنة ١٩٨٣ م .

الذى يليق برسالته السامية ، وبنى بحاجاته العلمية والإدارية ، وبما تتطلبه ضرورات البحث العلمى على نحو ميسور .

أيها الأساتذة الأجلاء :

إن مؤتمركم هذا فضل يضاف إلى عطائكم المتواصل لازدهار اللغة فقد دأبتم دائما أن تجزّلوا العطاء ، وأن تضيفوا فضلا إلى فضل ، ولا نستطيع أن نحصى ما أنجز من أعمال ، فهو فيض مستمر ، ومجهود ضخم ، سوف تضاف إليه قراراتكم وبحوثكم في هذا المؤتمر إن شاء الله .

ويطيب لى أن أذكر بالتقدير والامتنان عملكم الكبير فى مجال المعاجم اللغوية ، فقد أنجزتم المعجم الوجيز ، والمعجم الوسيط وأنتم فى سعيكم الدائب الجاد لإنجاز المعجم

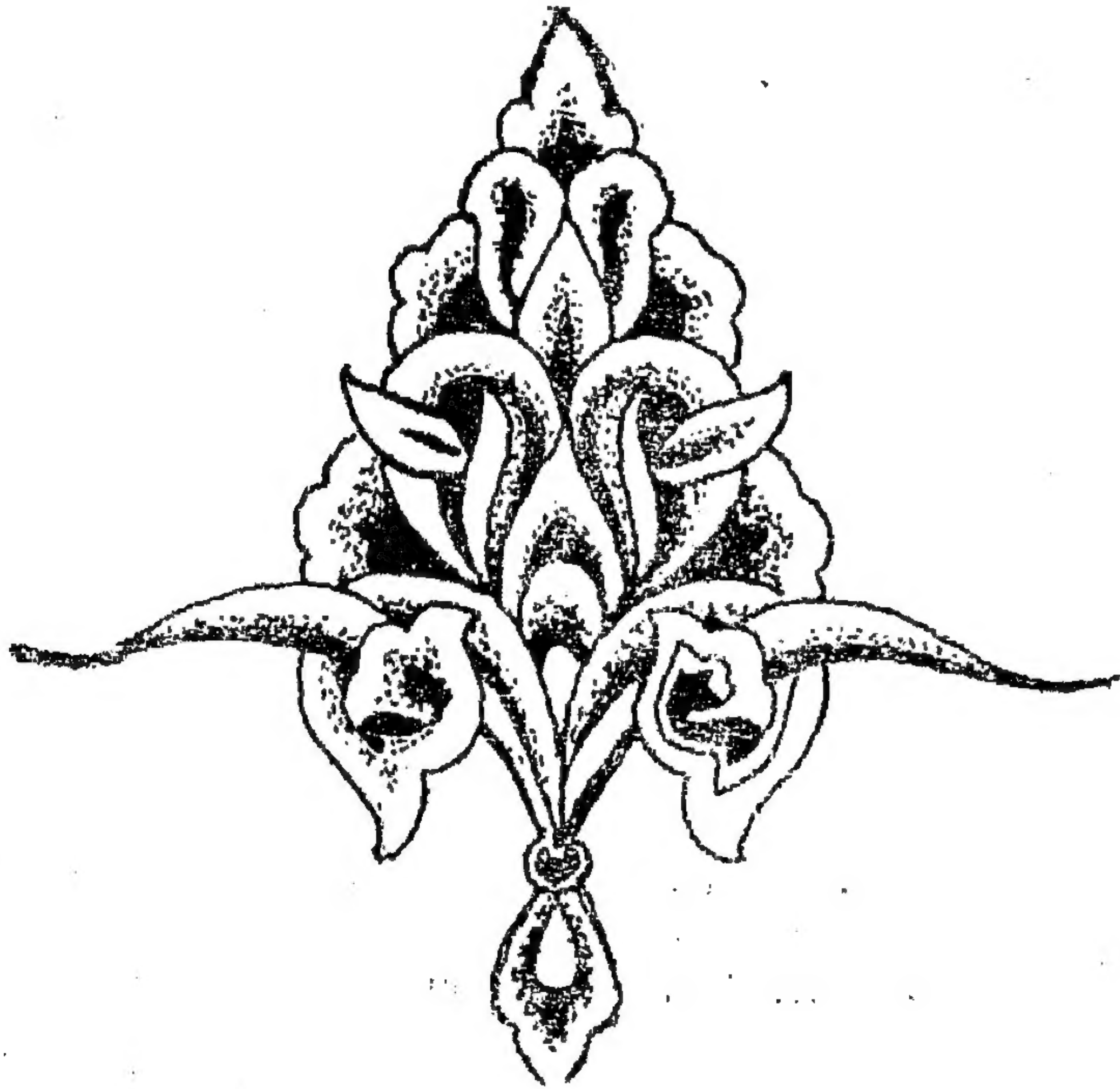
الكبير ، ولكن قطاعا من أعز وأغلى أبنائكم يتطلع إليكم بالأمل أن تهذبوا إليه معجم الطفولة ، ليكون مصباح الهداية لكل من يتصدى للكتابة لهم .

تحية التقدير والامتنان لكل من يشد أزر لغتنا العزيزة ، وينهض بما يجعلها وافية بمطالب الحياة والعلوم والآداب والفنون ، فى مسيرة حريصة واعية لمستحدثات الحضارة الإنسانية .

ودعاء إلى الله العلى القدير أن يبارك عملكم المجيد ، وسعيكم المخلص ، وأن تطيب إقامتكم فى بلدكم ، وبين أهليكم .

ولله ولى التوفيق ، وعليه قصد السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما



كلمة الدكتور إبراهيم كور

رئيس الجمع

السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء

وزير التعليم والبحث العلمى هـ

زملائي الكرام :

سيداتي - سادتي هـ

إن أول ما أبدأ به هو أن أتوجه باسمكم ، وباسمى بخالص الشكر إلى السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم على تلك الكلمات الطيبة التى تفضل بها ، والمجمع يعول التعويل كله على وزارة التعليم ومساندتها له فى أداء رسالته ، وتلك ليست المساندة الجديدة ، فقد نشأ المجمع فى كنف وزارة المعارف ، التى أصبحت وزارة التربية والتعليم فيما بعد ، ثم عاد منذ عامين إلى حيث نشأ ، وهو يتابع هذه الصلة الوثيقة التى تواجه الأمور على النحو الملائم بها .

وأضم صوتى إلى صوت السيد الوزير فى الترحيب بزملائنا وضيوفنا الكرام من أعضاء عاملين ومراسلين لبوا دعوتنا

وسعوا إلينا برغم ما يضطلعون به من أعباء فى أوطانهم وهم يحسون تماما أنا نسعد بهذا اللقاء ، ونرتقبه عاما بعد عام ، على أن الأمر لم يقف عندهذا التلاقى فى فترات من الزمن فى أسبوعين كاملين ، بل نحن على صلة دائمة بهم نكتب إليهم فيوافوننا بأرائهم وملاحظاتهم ، ويتابعون أعمالنا على تنوعها .

سيداتي سادتي :

بلغ مجمعنا الخمسين من عمره تقريبا ، وأن الألوان لأن تكون له دار تحمل اسمه ، وتحتفظ بأوراقه ، ووثائقه ، بمؤلفاته ومكتبته ، ويتسع صدرها لحرريه وخبرائه للجانته وجلساته ، ولجلسه ومؤتمره ، وقد قضينا سنين طوالا فى رحلة متنقلة بين دور مختلفة فى الحيزة تارة ، وفى القاهرة تارة أخرى .

وقد حاولنا أن نحصل على دار من تلك الدور القديمة تكون ملائمة للمجمع ،

(*) أقيمت فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

ولكننا لم نوفق لذلك ، ولم يكن بد من أن نسلك سبيل الإنشاء والتعمير ، وكان علينا أن نتخير موقعا يلائم هذه الهيئة العلمية التي لها تاريخها وماضيها .

وهنا أرى واجبا على أن أنوه بصنيع زميل كريم ، كان يوما وزيرا للثقافة ، وكان هذا الموقع تابعا له فوضعه تحت تصرفنا . هذا الزميل هو الأستاذ بدر الدين أبو غازي ، وقد سبقه زميل آخر هو الدكتور عبد العزيز السيد ، فعرض علينا مساحة أكبر كان يدخرها لوزارة التعليم ، ولكنه أثر الجمع بها منذ عدة سنين ، ولسوء الحظ لم نوفق لذلك في حينه ، وما إن تمكنا من وضع يدنا على هذا الموقع حتى لحأنا إلى مكتب هندسي استشاري يضم خيرة من كبار أساتذة العمارة في هندسة القاهرة ، تولوا الأمر وقاموا بالتخطيط ، وكان عليهم أن يتولوا الإشراف على سير العمل ، على أن وزارة الثقافة من جانبها ، ومنها هيئة هندسية ، عاونتنا مشكورة على ذلك ؛ لأنه ليس في أجهزتنا ما يمكننا من متابعة أى عمل إنشائي على هذا النحو . وقامت بالبناء شركة من شركات البناء الكبرى . وهى شركة المقاولين العرب ، وصادفنا ما صادفنا من صعوبات ، ولعل أهمها هو اقتطاع مائة متر مربع من مساحتنا التي كانت ألفاً وستمئة متر مربع ، وكنا نود أن تكون هذه القاعة نفسها مظلة على النيل ، ولكن ضيق المساحة قضى بهذا الوضع الذي ترون ،

والمجمعيون سعداء بأن وصلوا إلى هذه النتيجة بالرغم من هذه الصعوبات ، وأحب أن نشير إلى أن الجمع خصص قسما من مبناه لاتحاد المجامع اللغوية .

أما قانون الجمع ، فأنا حريص على أن أسجل أن وزارة التعليم عاونتنا على إخراجها ، ولهذا القانون قصة قديمة ، فقد عشنا زمنا طويلا مع قانون الجمع الموحد الذي جمع بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، ويوم أن ذابت أسباب ذلك طالبنا بإصدار تشريع يتمشى مع الوضع الجديد، ولكن - لاعتبارات لا دخل للمجمعين فيها - رئي أن يؤجل ذلك إلى حين ، وطال هذا التأجيل ، والمجمعيون تحكمهم تقاليدهم دون الحاجة الماسة إلى القانون والتشريع ، ولكن لاشك أنه كان هناك نقص لابد من تداركه ، وقد وفقنا لهذا التدارك ، وصدر قانوننا الجديد مؤكدا استقلال الجمع المالي والإداري ، ومستمسكا بمعاونة شيوخ العروبة وعلمائها وعضويتهم في هذا الجمع العضوية العاملة أو المراسلة وهذا تقليد أخذ به محمدنا منذ البداية ، وعاد بنا التشريع الجديد إلى تقليد آخر أهمل زمنا ، ألا وهو أنه لا بأس مطلقا من أن ينضم إلى عضوية الجمع من هو أهل الخدمة اللغة العربية وإن لم يكن من أهلها ، وكان هذا تقليدا لنا في البداية نعود إليه ونرحب به .

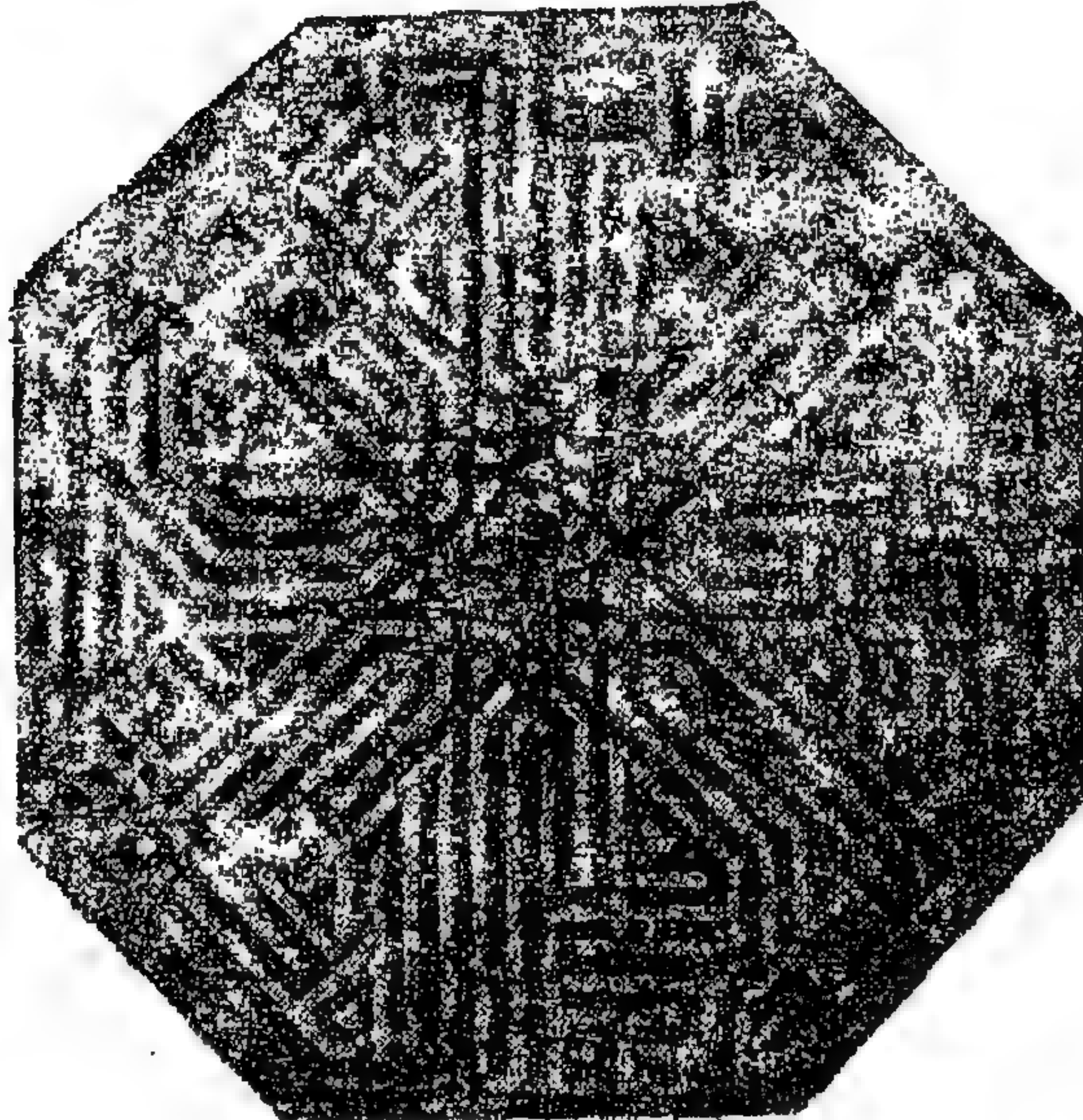
وأمر آخر لا شك أن وزارة التعليم كانت لها يد فيه ، ألا وهو أن معاوني هذا المجمع من موظفيه الفنيين فتح الباب أمامهم لكي يطبق عليهم الكادر الجامعي ، وسيتمكن ذلك المجمع من أن يتخير لمعاونته من هم أقدر على القيام برسالته ، هذا هو قانون المجمع الجديد ، ومجمعكم منذ أن بدأ برسم لنفسه طريقا وأقر تقاليد ونظما ثابتة سار عليها ، يبدأ العمل فيه من اللجان ، وهذه اللجان تقوم على تحريرى المجمع وخبرائه كما تقوم على أعضائه ، وما أكثر هذه اللجان وهى متعددة التخصصات ، بين علمية وإنسانية ، رياضية وطبيعية ، وأستطيع أن أقول لكم ، إن عددها أصبح يزيد على العشرين ، وكلما جدت دراسة جديدة سارع المجمع إلى أن يسلك سبيلها لتوفر لغة العلم والحضارة التى هى وسيلة النهوض

والتقدم وترفع هذه اللجان أعمالها إلى المجلس ومنه إلى المؤتمر . وقد درجنا على أن يقوم السيد الأمين العام بعرض أعمال مجمعنا فى خلال الدورة الماضية بدءاً من اللقاء السابق إلى لقاء اليوم .

وقبل أن أعطيه الكلمة أود أن أشير إلى أننا كنا ننتوى أن يكون عيدنا الخمسينى فى هذه الدورة ، ولكن الإعداد لهذا العيد لم يكتمل ، وقد شئت مصلحة البريد مشكورة أن تشاركنا فى الحفاوة بهذا العيد فأخرجت مجموعة طيبة من طوابعها بهذه المناسبة ، ونحن نشكرها على هذا كل الشكر ، ونحن على موعدنا إن شاء الله فى العام القادم لنحتفى بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . وشكرا لكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع



بيان مؤتمر الدكتور محمد عبد السلام

دار جامعة الدول العربية من قبل ،
وجامعة الشعوب الإسلامية والعربية من
بعد .

وسار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي
والتشريع ،
ودار الجمعية الجغرافية .

أيها السادة الأجلاء :

بعد أداء الترحيب والشكر والوفاء ،
وقبل الحديث عن أعمالنا الجمعية في هذا
المؤتمر أود أن نستجلى الصورة العامة
لمؤتمرنا السابق ، تحقيقا لتواصل النشاط
الجمعية ، الذي يتجدد ويزداد نماء وازدهارا
عاما بعد عام .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمر ثلاث جلسات علنية ،
وعشر جلسات مغلقة :

كانت أولى الجلسات العلنية لافتتاح
المؤتمر ، والأخريان لمحاضرتين عامتين ،
أولاهما للزميل الأستاذ محمد عبد الغني

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم
والبحث العلمي :

السيد رئيس الجمع :

السادة الزملاء أعضاء المؤتمر :

سيداتى ... ساداتى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإننى أشعر بسرور عظيم وأنا
أستقبلكم ، وأرحب بكم لأول مرة في دار
مجمعنا التي صارت له مستقرا ومقاما ،
بعد طول ترحال بجلساته العلنية إلى
دور أخرى كريمة تفضلت بضيافتها على
الرحب والسعة ، في افتتاح مؤتمراتنا
السنوية ، ومحاضراتنا العامة :

وإن واجب الترحيب بكم في دارنا
الجمعية يذكرنى بواجب الشكر والحمد
والتقدير للهيئات المسئولة عن تلك الدور
الكريمة المضيفة :

(*) أقيمت في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

حسن ، وموضوعها : « عندما يفعل الشعراء في الحادث الخلل : بحث في آخر فصل من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم » وثانيها للدكتور مهدي علام وموضوعها « المتنبى بين نفسه وشاعريته » .

أما الجلسات العشر المغلقة فقد نظر المؤتمر فيها ما أعدته لجان المجمع ، وأقره مجلسه من مصطلحات في الحيولوجيا والهيدرولوجيا ، والفيزياء ، والكيمياء ، والصيدلة ، والطب ، والاقتصاد ، وعلم النفس ، والآثار المصرية القديمة ، والسينما . كما نظر مواد جديدة من المعجم الكبير (من أول مادة ج ل ج إلى آخر مادة ج م ع ل) .

وأقر المؤتمر من أعمال لجنة الأصول « ضبط عين المضارع من ماضى الثلاثي المفتوح العين » ، ومن أعمال لجنة الألفاظ والأساليب ما يلي :

— أجنبية .

— أنتج .

— عشوائى وعشوائية .

— عظيمة .

— العمالة .

— هت . باهت .

— دعم (المضعف) .

— الدعم (تين لغة المعاجم ولغة العصر) .

— تغطية الموضوع .

— جرد العهدة .

كما أقر المؤتمر من أعمال لجنة اللهجات بعض الظواهر اللغوية في لهجات : طي ، وهذيل ، وفقه الضمير « نحن » ، ومجموعة من الكلمات العربية الفصيحة التي تبدو عامة .

وألقى بعض السادة الزملاء بحوثا في الموضوع الرئيسى للمؤتمر ، وهو « تراثنا اللغوى » وبحوثا أخرى عالجت بعض الشئون اللغوية ، والتاريخية ، والأدبية ، والعلمية .

وحلق الشعر في أجواء المؤتمر بقصيدتين إحداهما في تحية المؤتمر للزميل الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، والأخرى بعنوان « حياتى » للزميل الدكتور حسن على إبراهيم .

وأصدر المؤتمر في جلسته الختامية توصيات وقرارات أهمها :

— تعريب التعليم الجامعى هدف يسعى إليه العالم العربى جميعه ، وسيله الحق تزويد مكتباتنا الجامعية بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وبفهارس المكتبات الأخرى فى العالم العربى حتى يتيسر للباحثين إنجاز مهامهم العلمية ، ويوصى المؤتمر الجامعات العربية بأن تعهد إلى بعض أساتذتها فى ترجمة أمهات الكتب العلمية ، وبالتأليف فى مختلف مجالات العلم .

— إحياء تراثنا العربى — بتحقيقه ونشره — من أهم الأسس التى تنهض عليها

حضرارتنا العلمية والأدبية . ولذلك يوصى المؤتمر بأن تقوم المحامع والهيئات الثقافية بإنشاء مراكز أو لجان لإحياء تراثنا العربي مع العناية بإعداد شباب من المحققين ، وتدريبهم على تحقيق بعض المخطوطات ، بإشراف أساتذة من العاملين في هذا الميدان حتى تتواصل أجيال المحققين ، جيلا بعد جيل ، وتتسع حركة إحياء تراثنا العربي . ويأمل المؤتمر أن يبادر الجمع بالاستجابة العاجلة لهذه التوصية .

— يوصى المؤتمر بأن تعنى وسائل الإعلام — صحافة وإذاعة : مسموعة ومرئية — بضرورة الالتزام بقواعد اللغة العربية ، وبمنطق الكلمات نطقا سليما ، وإعداد العاملين بها إعدادا لغويا وصوتيا ، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في مجالي : النحو والصوتيات .

— يوصى المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية ، ويأمل المؤتمر أن يفسح لها مجال أوسع ، مع الاهتمام بما يخرج منه الجمع والهيئات المتخصصة في اللغة العربية وفنونها المختلفة .

أعمال المجلس واللجان فيها بين المؤتمرين :

بلغت جلسات مجلس الجمع فيما بين المؤتمر السابق وهذا المؤتمر تسعا وثلاثين جلسة منها ثلاث علنية ، أبان الجمع فيها

زملاء أعزاء ، استأثرت بهم رحمة الله تعالى ، فمضوا إلى كريم رحابه ، وهم : علامة النحو واللغة الأستاذ على النجدي ناصف ، وشيخ الصحافة الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، والجغرافي الكبير الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد .

وجدد المجلس في إحدى جلساته انتخاب الدكتور إبراهيم مذكور رئيسا للجمع لأربع سنوات قادمة ، كما انتخب في جلسة أخرى لعضوية الجمع شيخا من شيوخ اللغة والأدب ، هو العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذي سنسعد باستقباله في جلسة علنية ، عقب هذا المؤتمر ، إن شاء الله .

أما سائر الجلسات المغلقة فقد نظر المجلس فيها ما أعدته لجان الجمع من مصطلحات في الحيولوجيا ، والفيزيكا ، والنفط ، والكيمياء والصيدلة والهيدروولوجيا ، وعلم الحيوان والطب ، والرياضة ، والهندسة ، والجغرافيا والتاريخ ، والاقتصاد ، والفلسفة ، والفنون وألفاظ الحضارة ، وسيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس منها ، مع طائفة جديدة من مواد المعجم الكبير (من مادة ج وت إلى آخر الحيم والواو وما يثلمهما) ، كما سيعرض على المؤتمر ما أقره المجلس من أعمال لحسان : الأصول ، والألفاظ والأساليب ، واللهجات .

مسابقة الجمع الأدبية :

فاز بالجائزة الأولى للمسابقة في الدورة السابقة الأستاذ علي علي الفلال ، وكان

موضوعها : « الشيخ مصطفى عبد الرزاق
عضو المجمع مفكرا وأديبا » .

أما موضوع المسابقة في هذه الدورة
فهو : « الدكتور عبد الوهاب عزام عضو
المجمع أديبا وباحثا » ، وستفصل لجنة الأدب
في الأعمال المقدمة إلى هذه المسابقة ، عقب
انتهاء موعدها في آخر مارس القادم ، ثم
تعرض قرارها على مجلس المجمع .

مسابقة احياء التراث :

فاز بجائزة هذه المسابقة الدكتور عبد الحميد
قطامش ، عن تحقيقه كتاب « الأمثال »
لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وقد رأت
اللجنة أن تزيد جائزة المسابقة للعام القائم
إلى ألف جنيه للجائزة الأولى ، وخمسمئة
للجائزة الثانية . وقد أقرها المجلس ، واعتمد
لها المكافأة المطلوبة .

المعجم الوسيط :

فرغت لجنة « المعجم الوسيط » من إعداد
طبعته الثالثة ، وهي في سبيل تقديمه للطبعة
وقد بلغت الأعلام في جزئه الموسوعي
نحو خمسمئة وثلاثة آلاف علم . وقد تم البت
في اختيار الهيئة التي تم عاينها عطاء طباعته .

معجم الفاظ القرآن الكريم :

نقدت الطبعة الثالثة لهذا المعجم ؛ لتزايد
الإقبال عليه ، فقرر مجلس المجمع تكوين
لجنة لإعادة النظر في مواده تمهيدا لتقديمه

إلى طبعته الرابعة ، وقد انتهت اللجنة من
مراجعة مواده إلى نهاية حرف الذال .

العيد الخمسيني للمجمع :

رأى المجمع أن يكون الاحتفال بهذا
العيد في العام القادم ، فهو يوافق العام
الخمسين لإنشائه ؛ إذ عقد مجلس المجمع
جلسته الأولى في يناير عام ١٩٣٤ ، وسيكون
الاحتفال بهذا العيد عربيا ودوليا ، يدعى
إليه ممثلون للمجامع العربية الشقيقة ، وبعض
المجامع الإسلامية والأجنبية والاتحاد الدولي
للأكاديميات .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع في هذه الدورة المطبوعات
التالية :

- الجزء الثاني من المعجم الكبير .
- المجلد الثالث والعشرين من مجموعة
المصطلحات العلمية والفنية .
- الجزء الخامس والأربعين من مجلة المجمع .
- محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين .
- محاضر جلسات الدورة الثالثة والعشرين .
- معجم الحيولوجيا .

صلات المجمع الثقافية :

تزايد صلات المجمع بالمجامع والهيئات العلمية
العربية والإسلامية والدولية ، في مختلف
مجالات الثقافة ، من ذلك — على سبيل المثال —
أن الاتحاد الدولي للأكاديميات رأى أن
يعهد إلى المجمع — بعد أن أصبح عضوا فيه —

أحمد عز الدين عبد الله ، الذى فاز بجائزة
الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، وعلامة
الدراسات الأدبية والنقدية الزميل الدكتور
شوقى ضيف الذى فاز بجائزة الملك فيصل
العالمية فى الدراسات الأدبية .

وأخيرا ، لا يسعنى إلا أن أتجه إليكم
بأوفى الشكر ، لتشريفكم هذا الحفل
المجمع ، وأخص بالشكر زملائنا الأشقاء
العرب - الذين تفضلوا بتأبئة دعوتنا ، راجيا
لمن اعتذر منهم أن يكون معنا فى المؤتمر
القادم ، لنشارك جميعا فى الاحتفال بالعيد
الخمسينى للمجمع ، إن شاء الله تعالى .

سيدى الوزير :

لا يسعنى إلا أن أكرر الشكر ومهما
كررته فهو عذب ، واجب ومقبول .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مهدي علام

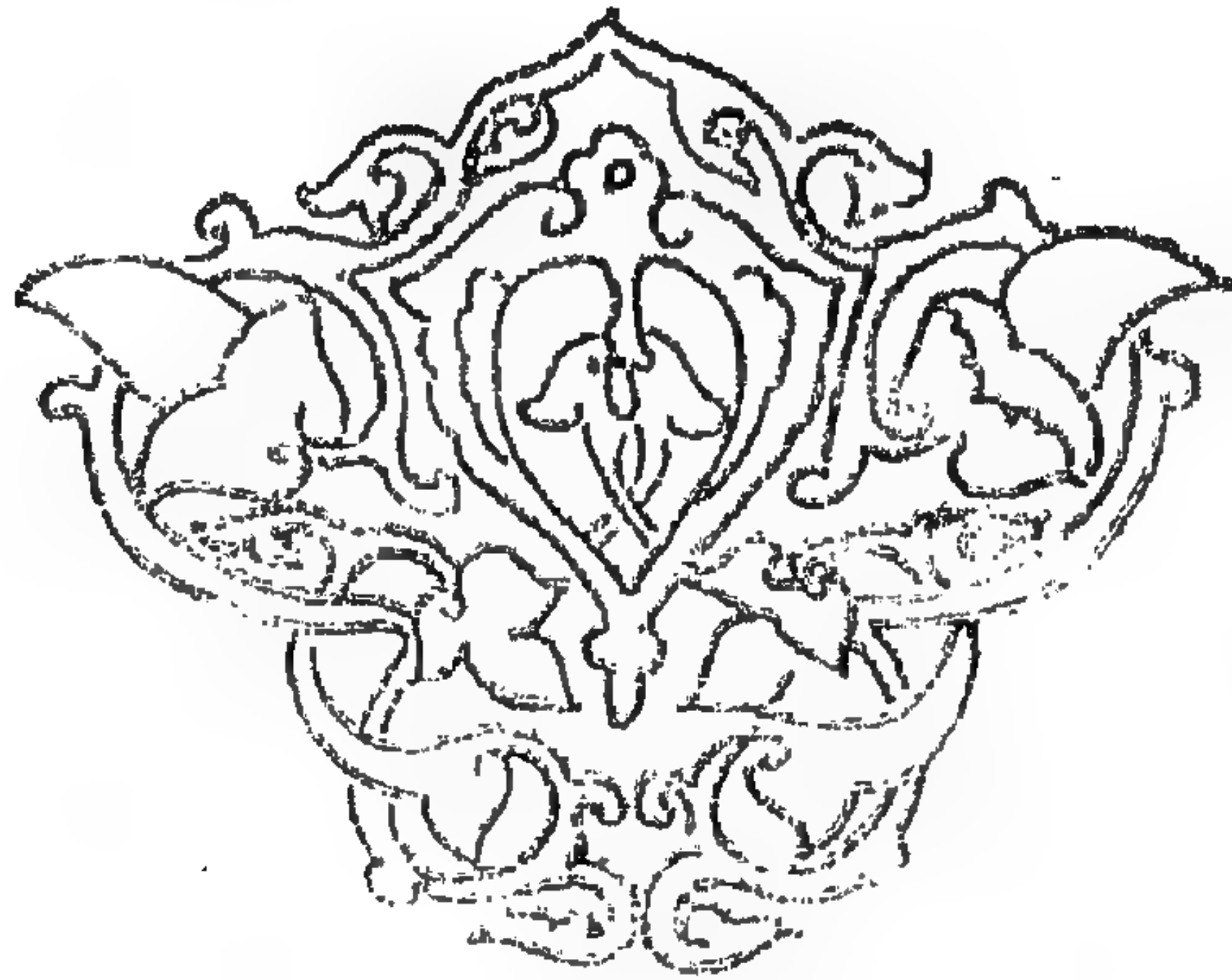
الأمين العام للمجمع

بالإشراف على إحياء النصوص العربية
لمؤلفات الفيلسوف العربى الكبير «ابن رشد»
وتكونت لذلك لجنة برئاسة الدكتور إبراهيم
مدكور رئيس المجمع ، تضم أعضاء من
العرب والمستشرقين .

وتلقى المجمع دعوة من هيئة « اليونسكو»
 للمشاركة فى الاحتفال بالذكرى المئوية
لميلاد عضو من أعضاء المجمع الراحلين
وهو المستشرق الفرنسى الأستاذ «لوى
ماسنيون» وسيمثل المجمع الدكتور إبراهيم
مدكور فى هذا الاحتفال الذى سيقام فى
«باريس» فى أخريات هذا العام .

سيداتى . . سادتى :

لا يفوتنى أن أنوه بفارسين من فرسان
المجمع ، حازا قصب السبق فى ميدان
الجوائز وهما : علامة القانون الزميل الدكتور



كلية الأخصاء العرب

د. سائر أحمد توفيق الدين

سيداتي ، سادتي :

قد اجتمعنا اليوم في هذا المكان وافدين من شتى الأقطار العربية ؛ تلبية لدعوة الواجب ومشاركة منا في القيام بواجبنا نحو هذه اللغة التي وحدتنا ، وجمعت شملنا ، وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس ، فاعتزازنا بهذه اللغة ، ومشاركتنا في إحيائها وإرجاع أمجادها ، يدل دلالة قاطعة على أن أمة العرب — والحمد لله — ليست هي الأمة الحاملة للنائمة الراكدة التي يصورونها ؛ بل هي الأمة الحالدة ، الأمة الحية ، الأمة العاملة ، الأمة التي سترجع أمجادها بحول الله ، ستعيد حضارتها ، وستكون جيلا جديدا من العرب يعيد أمجاد الماضي ، ويهيئ للمستقبل الأسس السائدة التي ستبنى كيان هذه الأمة .

كنت أود أن أقول لكم : يا أبنائي — وبحكم السن يجب على أن أخطبكم هكذا — لا تكونوا من قوم « كان » ، بل كونوا من قوم « صار » ، لأن « كان » مقترنة بالبكاء والنحيب على الماضي ، كان لنا ابن خلدون

باسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هداه :

أيها السادة الأعلام ، لسان العروبة ، وشيوخ اللغة ، وأئمة المستقبل : باسم الأعضاء الأشقاء العرب الذين لبوا دعوة هذا المؤتمر الكريم ، أتقدم بالشكر والامتنان لكل من هيا لهذا المؤتمر المبارك وكل من شارك فيه وأخص بالذكر منهم السيد الدكتور وزير التعليم والبحث العلمي ، والسيد الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الجمع ، والسيد الأمين العام الدكتور مهدي علام ، فهؤلاء الفرسان الثلاثة قد تباروا أمامنا في هذه الحلبة السائدة ، وأفادونا إفادة عظيمة وأرونا رأي العين أن هذا الجمع مجمع عمل جاد ، وجهاد حقيقي في سبيل هذه اللغة التي شرفها الله باختيارها لسانا لقرآنه الشريف الخالد ، الطادي إلى الصراط المستقيم .

(*) ألقى في جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

كان لنا الممرى ، كان لنا ابن رشد ، كان
لنا فلان وفلان ، كانت لنا أمجاد ، يكفي
هذا ، يجب أن نكون من قوم « صار لنا »
و« أصبح لنا » ، و« أمسى لنا » ، و« أصبحى لنا »
المستقبل ، نحن أبناء المستقبل ، إن شاء
الله ، نحن نكون نهضة علمية ثقافية أدبية
تعيد أمجاد اللغة ، وتعيد لها شرفها ، وترينا
رأى العين أن هذه اللغة العظيمة التى كونت
المدنية فى أوربا ، كما يشهد بهذا الزهاء
من رجال أوربا ، هذه اللغة تستطيع
- لا كما كانت فحسب ، بل أعظم مما كانت -
أن تساير العلم ، وتساير النهضة الحديثة ،
وتساير المستقبل ، وتسير قدما نحو أهدافها
العالية بفضل جهودكم ، أيها السادة المحرمون
وبفضل جهادكم أيها الإخوان المشاركون .
فحياتنا حياة عمل ، حياة جد ، حياة نشاط
لا نقبل فيها التهاون ، ولا نقبل منها النوم
فقد طال وقت السبات . نحن الآن فى عصر
النهضة ، فى عصر النمو ، يجب علينا
أن نسير ، لا مع العالم ، بل فى مقدمة العالم
ولقد قال شاعر عربى قديم :

« لنا الصناديق دون العالمين أو القبر » .

ولن يكون لنا القبر ، إن شاء الله ،
بل يكون لنا الصناديق ، فرجال أمثالكم لا يلقى
أن يتأخروا عن الميدان ، لا يلقى بهم
الأنهض بهم أممهم ولغتهم وثقافتهم وعلمهم
وآدابهم .

نحن سلسلة متصلة ، إن ذكرنا أجدادنا
فلندكر حاضرنا ، وإن ذكرنا حاضرنا فلندكر

مستقبلنا كذلك ، ونهى له ما يلزمه لهذا :
وعلى هذا اجتماعنا ، وهكذا سنعمل .
إن اجتماعنا هذا يرينا رأى العين وحدة
الأمّة العربية التى ليست متقطعة الأوصال ،
ولست مهلهلة ، بل هى أمة عظيمة قوية
ثابتة ، فرضت وجودها على العالم
المنافس والمعادى ، وستنبئ عن جدارة
واستحقاق أنها سائرة دوما إلى الأمام بحول
الله ، ولا يغرنكم - سيداتى وساداتى - ما نراه
اليوم من النكسة العظيمة ، وهذا التخاذل
الكبير الذى رأيناه أخيرا فى صفوف العرب
فهاهى إلا نوبة بسيطة ، وما هى إلا اختلافات
يسيرة ، وقد قال الإمام محمد عبده ، رحمه
الله : « لعن الله السياسة ما دخلت شيئا
إلا أفسدته » ، فإن كانت السياسة تفسد ، فنحن
سنصلح ما أفسدته ، ونعتصم بحبل الله تعالى
فقد اجتمعت العروبة على القرآن ، والقرآن
لسانه لغتنا العربية فى هذا الميدان الفسيح
نلتقى ، وبه نعمل ، وعليه نجاهد بحول
الله وقوته ، وأرجو مخلصا أن يكون اجتماعنا
هذا الاجتماع العربى المحيد قدوة حسنة لرجال
السياسة منا ، وإن كان لا مجال للسياسة فى هذا
الاجتماع المبارك ، ولكن الواجب يقضى
علينا أن نقول : يجب على رجال السياسة
العرب أن يتداركوا ما فات ، فقد بلغنا من
الهوان مبلغا لم يبلغه بلد من بلدان العروبة
فيا مضى ، بلغنا من الهوان درجة جعلتنا
أرذل ما يكون فى هذا العالم ، جعلتنا نرى أبناءنا
ينبحون ، ودماء نساءنا تسفك ، ونحن
نضحك ونتلهى .

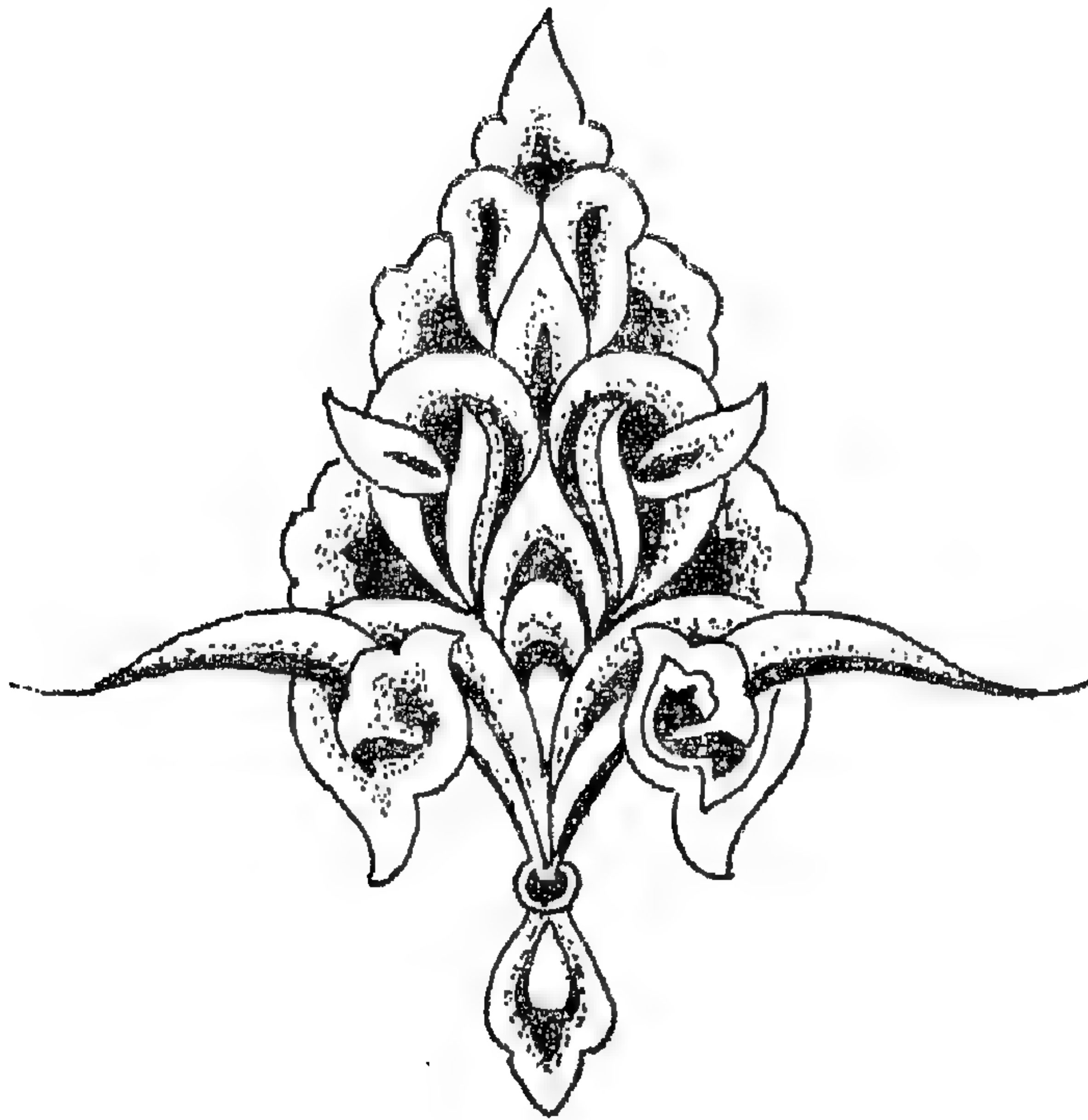
«كنتم أخيراً أمة أخرجت للناس ، تمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».

وما دمنّا نؤمن بالله ، ونأمر بالمعروف
وننهى عن المنكر ، فليتذكر أجدادنا ، ونهيه
أجيالنا الصاعدة للعمل المستقيم ، على الصراط
المستقيم ، نسأل الله تعالى الهداية والرشاد :
والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد توفيق المدني
عقنصو المجمع من الجزائر

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إيمان وإسلام

كفانا رقادا ، كفانا تشتتا ، علينا بإعادة
الماضي ، علينا بإجبار المتخاذلين على العودة
لكلمة الله وسنة رسول الله ، حتى نحقق ما قاله
الله عز وجل وعلا فينا في قرآنه العظيم ؛ إذ
خاطبنا بقوله :



تحية المؤتمر

رئيساً زهيراً عبد الفنى حسن (*)

أن يكون رئيساً للجنة تحرير الجزائر إبان
القبلة الأولى لحركة تحرير ذلك القطر الشقيق
فأنا أستمده منه الحماسة ، وإشارته الكريمة
إلى أن نتخلي عن الفعل « كان » إلى الفعل
« صار » ذكرتنى بقول شاعرنا الكريم :

إن الفقى من يقول هأنذا
ليس الفقى من يقول كان أبى
على كل حال أستمىحكم العذر فى هذه
الثوانى لأبدأ فى إلقاء تحيتى للمؤتمر :

سيدى نائب رئيس الوزراء :

سيدى رئيس المجمع :

زملائى الأعزاء : : سادتى :

كنت أخشى أن تكون كبرة من
السن قد علتى لتعوقى عن أن ألقى قصيدتى
كما يجب أن يكون الإلقاء ، ولكن صديقى
المجاهد العربى الثائر أمدنى بحماسة وحميته
وشجاعته التى لاتنسئ ؛ فقد سجل تاريخه الوطنى
العظيم كفاحه لتحرير الجزائر ، واستحق

اقبلوا من نحو نجد ريحها

هذه « دجلة » فى حضن « القناة »
بعد هجر عارم الموجهة ، عاتى
فيه من نور الهدى بعض السمات
بميامين على الفصحى ، هداة
وهو فوق اختلاف النزعات
ومن المغرب بعض النسمات
ومن القيصوم بعض النفحات : :
عربي الوجهه ، حلو القسمات : .

زينوا « النيل » بأعلام « الفرات »
ودنا الصاحب من صاحبه
والتقى الأحباب فى مؤتمر
موكب قد حف فى روعته
هم أساة الجرح فيما مسنا
فيهمو من مشرق الأرض شذا
وبهم من شيخ (نجد) أرج
وعليهم سمت مجد تالد

* * *

(*) ألقى فى جلسة افتتاح مؤتمر الدورة التاسعة والأربعين .

أيها النزال في منزلنا الـ
منزل قام على « النيل » كما
ترتقى شمس الضحى في حضنه
فيناديها : أملاى الدنيا سنا
شرف العالم بكم في داره
قد حللتم فيه أسنى موضع
ثم كنتم أول الغيث به

—وسع البهو ، الأنيق الحجرات
قام في المحراب شيخ للصلاة
وتحييه بأشهى القبيلات
واسكبه فضة في شرفائي
واجتلى طلعتكم (بيت النحاة)
ونزلتم منه أسمى الدرجات
فالحيا أوله من قطرات

* * *

ياله عامما تولى بالذى
وسقانا الدهر من كاسيه ما
وعلى الحالين لم نجزع ، ولم
ثقة أن الذى وفقنا
من يضيّع أملا في دهره

هزنا من عر ، أو عبرات
فقد السمار من رفق السقا
نفقد الآمال في الحظ المواتي
في العشيات كفيل بالعادة
لم يعد يوما خليقا بالحياة

* * *

انقضى العام بنا في دورة
فتلقينا المساءات بها :
وقبلناها على علائها
وشهدنا صورا في عالم
من أشقاء تجافى بعضهم
وبنى دين عظيم واحد
وصفوف لم توحد راية
وغنى غارق في تخمة
وأخ يعدو على حق أخ
ومضل مرتد زى الهدى
وضحايا بعثت أشلائهم
بوغتوا في ليل بيروت على
لم تدع شيئا ، ولا طفلا ، ولا أم
ومزايالم تنل إلا على

حفلت فينا بشى الذكريات
وغنمنا ما بها من حسنات
ببشاشات الرضى والبسمات
ما طر ، فمختنق بالأزمات
لأوداء لهم غير جفافة
أججوا ما بينهم حرب الغلالة
لملاقاة طغاة ، وبغاة
وفقير يتلهى بالفتات
وقوى عابث بالحرمانات
وشقى لابس ثوب التقاة
بيد الغدر وطغان الطغاة
هجمة كانت أخس الهجمات
مرأة إلا ضحايا الطعنات
فوهة المدفع ، أو حد الطيات

ورأينا الحق إن لم نحمه
وحملنا الرزء في صحب لنا
(فعلى) (١) ، و (زكى) وليا
تركوا (المجمع) منهم خاليـا
أوحش (المجمع) منهم . . ومضوا
نحن في الدنيا حطام زائل

قوة يقضى عليه بالمهمات
الدعوا أكبادنا بالجمرات
ومضى (الصياد) في غير أنـاة
موحش الطلعة ، جهم القسمات
في رحاب الله رحب الرحمات
ورفات سائر فوق رفات

* * *

ه لا عتب على الدهر ، ولا
ذمنا الأيام لا ينفعنا
وخطوب الدهر لا يدفعها

أدلى فيه يرجى لاجـاة
ليس نجى منه غير الحسرات
شجن القلب ، ولا بث الشكاة

* * *

نحن في الله اعتقاد راسخ
أو لم يكف انهارا أننا
أو لم يكف افتخارا أننا
أو لم يكف اعتبنارا أننا
أو لم يكف انتصنارا أننا
وفعلنا في نهـار واحد
وحملنا حملة الصقر على
واخترقنا خط برليف بما
فغسلنا العار عن تاريخنا
فيم نبكى ، والمنى باسمـة
فدعوننا في تلاقينا هنا
إخوة نحن على رغم الذى
اختلاف الرأى لا يفسد ما

ويقين ثابت أى ثبات
قد تحطينا ضروب العقبات ؟
قد سمونا فوق بعض الترهات ؟
لم ننح ما فات ، أو نفرح بآتى ؟
استعدنا الأرض من أيدى الغزاة ؟
كل مالم نستطع فى سنوات ؟
ما أعدوا من صقور وبزاة ؟
حملت ذراته من مخزيات
وملأناه بأسنى الصفحات
والأمانى حفل بالضحكات ؟
ننس ما ذقناه من مر الشتات
قام فيما بيننا من نزغات
بين إخوان الصفا من حرमत

(١) هم المرحومون الزملاء الأعضاء الراحلون فى العام الماضى : الأستاذ على النجدى ناصف ، والأستاذ محمد زكى
عبد القادر ، والدكتور محمد محمود الصياد .

كيف تنسينا خلافات الرؤى
صلة القربى التي تربطنا
فانشدوها تحت أفياء الربى
واسمعوا صوت الملبين بها
واحفظوها في أهاليج « اللوى »
واقبلوا من نحو « نجد » ريحها
وانشقوا أنفاسها من (بردى)
واذكروا في وثبة الليث بها

ما أقام الله فينا من صلات؟
هي أقوى ما لنا من قربات
وارصدوها في امتداد الفلوات
في (منى) ، أو في الذرا من (عرفات)
والقفوها في أراجيز الحداة
وهي ربا بأرق النسمات
وعلى الضفة من شط (الفرات)
وثبة الأحرار في مصر القناة

لغة الضاد التي تجمعنا
هي من نبض قلوب حية
وهي من إلهام فكر مبدع
لم تضق يوما بمعنى رائع
نجد الدقة فيما أبدعت
وهبت للعالم ما تملكه
لم تغب عنها المعاني حفا
صعدت للنجم تستوضحه
وأنت للطب تسهدي به
ومضت تسدي إلى الدنيا يدا
تنشر النور بأنحاء الدنيا
وهي في كل مجال للنهي
نزل القرآن مسطورا بها
يزخر التنزيل فيه بالهدى
حفظ الله به عزتها
ووقاها اللغو في منطقتها

* في حروف حرة ، أو كلمات
وهي من وحي عقول نيرات
مشرق اللمحة ، سامي الخطوات
لا ، ولا أعيت على وصف الصفات
والغنى فيما حوت من ثروات
من أداء طيع ، أو من أداة
في مسار النور ، أو في الظلمات
وانبرت للعمق في جذر النبات
ما حوت أنفسنا من معجزات
يوم كان الغرب يحيا في سبات
وتبث الضوء في كل الجهات
أصبحت فوق مجال الشبهات
بين الآيات ، طهر النيرات
ويفيض الذكر منه بالعظاات
وتولاها بأنصار حماة
فهي من مولدها « أم اللغات »

* التقينا اليوم في مؤتمر
فهو مرجو لما نأمله
وهو مأمول لتوحيد الخطى
وهو توثيق خطى ماضية

* حافل مزدحم بالطيبات
من غراس واعود بالثمرات
في طريق زاهر بالتبعات
وانطلاق لسديد الخطوات

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع



لغة الصحافة في بلاد الشام للدكتور عدنان الخطيب

١ - تمهيد :

قبل أن أبدأ حديثي عن « لغة الصحافة » وأنا لست من رجالها ، يجدر بي أن أنوه بالمخاضة التي أتخفنا بها قبل عامين أحد بقية السلف من شيوخ الصحافة المصرية الزميل المحترم محمد زكي عبد القادر وقد افتقدناه في نهاية مؤتمرنا السابق تغمده الله بواسع رحمته .

لقد اضطرر فقيدنا الكبير إلى الإفاضة في الكلام عن لغة الصحافة المصرية في عهدها الذهبي ، أيام روادها الأعلام ؛ ليصل إلى الكلام عن « العهود » التي أخذت فيها لغة الصحافة بالتدني ، وهي تعني بالخبر الحديد وبالقصص المثيرة أكثر من عنايتها باللفظ الفصيح والأسلوب الرفيع ^(١) .

يومها قلت للزميل العزيز : « لو اضطر أي عربي بعدك إلى الكلام عن لغة الصحافة في بلاده ، لما جاء بأكثر مما حدثتنا به ، لأن صحافة مصر بالنسبة إلى صحافة سائر

الأقطار هي كمصر نفسها : الرائدة والمثل المحتذى وغيرها عيال عليها » .

وإذا كان الكلام عن لغة الصحافة في مصر ، يغني عن الكلام على صحافة غيرها عامة ، فهو أشد غناء بالنسبة لصحافة بلاد الشام خاصة ، فهما توأمان عاشا فترات طويلة يتبادلان المحررين ؛ مشتركين في الطموح والآمال على أنهما يتصاولان إذا ما أفسد بينهما الزمان .

وفي هذه الأيام تكاد تكون لغة الصحافتين واحدة ؛ لأن موضوعاتهما الرئيسة أو الرئيسية (نسبة إلى رئيس كل قطر) هي واحدة تعالج باللغة نفسها في نصاعة أساليبها أو أعجميتها أو ركاكتها ، وإن اختلفت كل واحدة عن الأخرى في آرائها واتجاهاتها ، فكلاهما تقريبا تدور حول « كارثة فلسطين » وما يتصل بها من موضوعات ، إضافة إلى أن غالبية العاملين في الصحافة اليوم هم من مثقفي العصر المتخرجين في الجامعات

(٥) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية لمؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ٩ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٢٢ من فبراير ١٩٨٣ م) .

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٨١ عدنان الخطيب مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

الثورية، وبراغم هذه الجامعات بمثابة
ومستوى الحريجين فيها يكاد يكون متقارباً .
على أنى سأتجنب فى حديثى الكلام عن ماضى
الصحافة وتاريخها ؛ لأسرع فى الانتهاء
إلى الغاية المتوخاة من البحث، وسأكتفى بذكر
سببين من أسباب دفاعنا عن الفصحى وحرصنا
على التزام الصحافة بها وبالأساليب العربية
السليمة ، أحدهما يهم الكتاب أنفسهم
بشكل خاص ، والآخر يهم العرب كل
العرب .

السبب الأول : يكمن فى جواب جاء
على لسان أستاذ جامعى معروف يوم سئل :
هل قرأت رواية الأديب السودانى المرموق
الطيب صالح الجديدة ، فقال : « اشتريتها
من سنوات وحاولت قراءتها فوقفت كثرة
العبارات السودانية الدارجة فى الحوار عقبة
بينى وبين إتمام قراءتها » (١)

السبب الثانى : جاء فى حوار مع أديب
فلسطينى مكافح كان يكتب بالعامية قال :
« . . . عندما بدأت أكتب ، كان يهمنى
أن أكتب ، ولم أكن أعنى مثل الكثيرين
باللغة وقد كنت أبرر عدم العناية باللغة
بـ (الثورية) . . . فما دمت أثور على اللغة
ولا أهتم بقواعدها ، فلماذا أتعامل معها ؟
ولماذا أيضاً أهتم بترتيب الجمل والفقرات ؟ »
وبعد أن ذكر كيف تكشفت له حقائق
المؤامرات على العربية — وهدفها تجزئة

الوطن العربى إلى شعوب يتعصب كل واحد
منها إلى لهجته — قال : « لقد تعلمت من ناقد
عربى أن الكتابة بلغة صحيحة هى التى تخدم
القضية ، ولقد عمدت منذ ذلك الوقت وحتى
الآن إلى تطوير أدواتى . : : : لأننى
أتعلم ، وإننى مصر على التعليم ؛ لأننى فعلاً
أريد أن (أنقل) قضيتى إلى الناس » .

٢ - الصحافة بين عهدين :

يكاد الكتاب والمؤرخون والغيارى على
الفصحى يجمعون على أن الصحافة العربية
— بصورة عامة — اجتازت عصراً زاهياً من
عصورها نما وازدهر فى أعقاب الحرب
العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) إلى عصر
جديد مازال يلفها حتى اليوم .

كما أنهم يتفقون على أن الحرب العالمية
الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٤) — وإن حدثت من
نشاط الصحافة وعاقبت تطورها — لم
تقطع مسيرتها ؛ إذ استأنفت نشاطها وتطورها
السريع بمجرد أن آذنت الحرب على
الانتهاء .

وعندما رغبت فى تحديد التاريخ الفاصل
بين العهدين لم أجدها المعالم واضحة فى أول
الأمر ، فنقبت فى جذاذات أحتفظ بها فعثرت
على خبر نشرته صحيفة شامية غير سورية
ونصه كما يأتى :

وزارة الاعلام السورية

تعيد زميلاً إلى عمله

(١) انظر على الراعى فى مجلة العربى عدد يونيو ١٩٧٨ الكويت .

دمشق : أصدر معاون وزير الإعلام في الجمهورية العربية السورية قرارا بإعادة الزميل الأستاذ نوح إلى وظيفته في الوزارة بعد أن أصدرت المحكمة الإدارية العليا في مجلس الدولة حكما يقضى بإلغاء القرار الذي صدر عام ١٩٦٨ بتسريحه ، وذلك لعدم وجود مبرر لإصداره من الناحيتين القانونية والمساكية ودفع حقوقه كاملة عن فترة التسريح :

فهنئ الزميل ونبعث بتحيةة إعجاب وتقدير إلى القضاء^(١) .

وبالخبر المذكور أمسكت ملاك الفصل الذي أريد بين العهدين ، فقد كنت أعرف شخصيا للصحافي الذي ورد اسمه في الخبر :

كان رحمه الله رجلا طيبا حسن السمعة غير موسع عليه في الرزق إلا أنني أجهل كيف أصبح صاحب صحيفة والمسؤول عن تحريرها هل الصحافة استهوته شابا فامتنها أم أنه لم يجد غيرها مهنة تؤمن له معاشه ، فأصبح محرراً ثم تمكن من إصدار صحيفة باسم المحافظة التي ينتسب إليها وهي تبعد عن دمشق عشرات الكيلومترات :

وبعد سنوات عديدة استيقظ ذات يوم ليجد مكتب صحيفته مغلقا ويجد نفسه موظفا صغيرا في إحدى زوايا وزارة الإعلام بدمشق ، لا يعرف عملا محمدا يتوجب

عليه إنجازه ولا رئيسا واحدا يسبح بحمده ، وضاعت نفسه بما آلت إليه حاله فأخذ يناجيها متذمرا ، وسمعت الأذان نفثات صدره وفي الصباح أدركه « التطهير » ليجد نفسه كهلا مسرحا من عمله يجوب الطرقات على غير هدى .

وعندما قرأت الخبر المذكور ذكرت « القانون » الذي استخدم لاقتلاع ذلك الصحافي العصامي من عمل حر ارتضاه بنفسه ليصبح بعده شيئا لا رأى له ولا كرامة :

وعدت إلى القانون أسائه عن تاريخ صدوره والأسباب الموجبة التي صنعت له؟

فإذا بي أمام مجموعة من القوانين صدرت متتابة في سنوات عقد أو يزيد بدءا من نهاية النصف الأول من هذا القرن أصدرتها عصابة من الثائرين أطاحوا بالنظام القديم محتجين بأنه نظام بال يعجز عن حماية البلاد وقد زرع أعداؤها في قلبها جسما غريبا لا يدفع أذاه إلا حازم عنيد^(٢) .

٣ - لغة الصحافة وأثر النظام السياسي فيها :

إن الصحافة بطبيعة نشوتها وبحكم وظيفتها الحضارية لا تزدهر ولا تؤدي خدماتها على الوجه الأكمل إلا إذا كانت حرة

(١) انظر صحيفة الأنباء بيروت نوفمبر ١٩٧١

(٢) وقع أول انقلاب عسكري في سورية في مارس سنة ١٩٤٩ وتلاه آخر بعد أشهر ثم تالت الانقلابات .

ثباتي في كشف الحقائق ، وتنافس في تقديم ما يعود على بلادها وقراءها بالفائدة ولهذا كانت شديدة التأثير بشكل النظام السياسي الذي تصدر في ظله .

وحديثي اليوم عن لغة الصحافة يشمل صحافة جميع الأقطار الشامية وإن كانت ذات أنظمة سياسية مختلفة وتحكمها قوانين متباينة إضافة إلى أن حد السلطات الحاكمة لحرياتها على تفاوت كبير بينها ؛ إذ يقتصر في بعضها على مجرد التوجيه والتحذير بينما بلغ في غيرها حد درجة استلحاق المؤسسات الصحافية كلها بأجهزة الدولة . ويستثنى لبنان العربي من كل هذا ؛ إذ كانت صحافته حرة بكل أبعاد الحرية حتى وقع مضرجا بدماء أبنائه إلا أن لغة الصحافة فيها تكاد تكون واحدة بحكم الحوار والروابط المتينة بين سكانها وتقارب التفكير القانوني فيما بينها . أما صحافة فلسطين الذبيحة ، فأنا لا أعرف شيئا عنها سوى ما قد أسمعته من مقتطفات كتبت فيها بلغة تعدل لغة الصحافة في سائر الأقطار وإن كانت تتجلى وكأن غلالة من اليأس والقنوط قرين عليها .

٤ - سلطان الفصحى والشعر الأصيل :

طغت على الصحافة المستلحقة لغة تشبه الدواوين فيها الحذر من التبعة والخوف من المسؤوليات أمام الرؤساء، واعتاد الناس عليها وعلى ما ينشر فيها من أدب وشعر حديث غير أن سلطان الفصحى المشرقة

والشعر الموزون الأصيل لم يضعف عندهم ، فتراهم يفتشون عنها سرا وجهارا دون وساطة الصحافة .

ويوم مني العرب بالهزيمة الكبرى في الحرب مع إسرائيل طاع شاعر العربية العملاق بدوي الحبل علينا برائعته « من وحي الهزيمة » فتردد صداها في الوطن من خليجه إلى محيطه قبل أن تجرؤ صحيفة واحدة على نشرها .

وكان مما جاء في تلك القصيدة الطويلة أبيات ثلاثة مشرقة ألفاظها بليغة فيما ترمي إليه . قال الشاعر :

نحن موتى : وشر ما ابتدع الطغمة

— بيان موتى على الدروب تسير

نحن موتى يسر جار لجار

مستريا : متى يكون النشور

ارجعوا للشعوب يا حاكميها

لن يفيد التهويل والتغريب

وتضم المكتبة العربية اليوم عشرات من الكتب تؤرخ لتلك الفاجعة وتفصل مآلاتها وتبحث في أسبابها على شكل مذكرات واعترافات أو روايات وقصص تكشف بعض المعميات أو تفضح شيئا من أسرار الكارثة ، وشاهد الكثيرون في مختلف أقطار الوطن العربي عدداً من هذه الروايات تمثيلا على الشاشة أو المسرح بلغة أثقلتها التوريات والإيماءات ، كما أن كتاب الصحف العربية الحرة التي تصدر في مهاجرها مازالوا

إلى اليوم يدبجون المقالات التي يقبل الناس على قراءتها ويرتاحون بالحديث عنها ، دون أن يفقدوا النشوة العارمة إذا ما استمعوا إلى الأبيات الثلاثة المذكورة :

هـ - هجرة الصحافة :

لابد لي من أن أتطرق وأنا أتحدث عن « لغة الصحافة » إلى ظاهرة غريبة تمت في سنوات العقود الأخيرة الماضية ؛ فقد نزحت عن الوطن العربي نخبة من شباب رجال الصحافة ميممة وجهها شطر البلاد الأوربية ، ولم نلبث بعد رحيلها حيناً من الدهر ، حتى وافتنا صحف عربية محرة بأقلام بعض أفراد تلك النخبة ، تطبع وتصدر عن إحدى عواصم الدول التي استقر فيها المحررون وقد أطلق الناس على مجموعها اسم « الصحافة المهاجرة »

ويجدر بنا أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت بصحف عربية إلى هجر أوطانها لتعود إلى قرائها في الوطن العربية محملة إياهم نفقات قد تمنع فئات كثيرة منهم من شرائها .

أنا لا أستطيع الإجابة عن هذا التساؤل بأفضل مما قرأه الناس في بعض تلك الصحف ، وإنني مجتزئ مما كتب بالنبذة الحديثة التالية :

أورد صحافي شاب في مقالة له ، قصة معاوية بن أبي سفيان مع الرجل الذي ظل

صامتاً في مجلسه بعد أن تكلم جميع من فيه ، فطلب منه معاوية أن يتكلم فقال :
— والله يا أمير المؤمنين إني أخشى الله إن كذبت ، وأخشاكم إن صدقت .

وأردف الصحافي يقول « . . . سبق لنا أن أطلقنا كذبة كبرى على القارئ ، قلنا فيها : إننا حضرنا إلى هنا لنقول ما نريد ، والأرجح أيها السادة أننا جئنا إلى باريس لنعيش كما نريد . ومن هذا المنطلق لسنا مستعدين أن نموت في سبيل أن نقدم للقارئ رأياً صحفياً نعتقد أنه الصحيح ؛ فعظم الأنظمة العربية تملك الاستعداد الكافي « لتصفية » أي صحافي يقول نصف الحقيقة ، فما بالك بالحقيقة كلها . . . » (١).

٦ - اللغة في الصحافة المهاجرة :

تتنافس الصحف المهاجرة في الادعاء باستقلاليتها عن أي نزعة غير قومية وفي نفي ارتباطها بأي نظام عربي محدد ، وبأنها تعرض على الناس الحقائق التي تراها أو تتصل بها إذا كانت تدعم المصلحة العربية ، وتساهم في توحيد الصف العربي في مواجهة الأعداء والطامعين الغرباء في بلاد العرب وثرواتهم الطبيعية .

على أن محرري تلك الصحف يبقون حذرين فيما يكتبون ، شديدي الحيلة في عرض آرائهم وما يزعجون أنه هو الحقيقة ؛ وما ذلك إلا

(١) انظر مقال ياسر عبد ربه في صفحة حرة من مجلة المستقبل عدد ٣٠٧ صدرت في باريس يوم ٨ يناير ١٩٨٣

خوفاً من منع تداول صحفهم أو تمزيق صفحات منها كما يجري ذلك في أقطار كثيرة .

أما كتاب الصحافة المهاجرة من داخل الوطن العربي فإنهم يلجأون إلى التعمية والتورية وإلى الاستعارة والحجاز يملأون بها كتاباتهم التي تنطق فيها الحيوانات بالحكم والأمثال وتصف معاناتها الرهيبة من ظلم الإنسان لها .

لقد التقطت نبذاً صغيرة مما نشرته صحيفة واحدة من المهاجرات أعرضها عليكم : تسجيلاً لهذه المرحلة من تأثر اللغة العربية بالواقع العربي المؤلم فيما يلي :

١ — قال كاتب مرموق في مقال له مايلي :

« . . . وبين ضجيج السيارات وزحام المارة التقيته على غير توقع ، قطاً منزلياً وجيهاً ، تضاعل حجمه واتسخ وبره وتباطأت خطواته ، ولما كان معروفاً لدى بالشهامة والكبرياء وعزة النفس ، استغربت وجوده مخبئاً في أحد صناديق القمامة ، ولما اقتربت منه مستوضحاً قال ، وهو يدفن وجهه بين قائمتيه الأماميتين :

— ابتعد عني أرجوك إنني مراقب .

— ممن ؟

— من الفران . . . وأعفني من التفاصيل خوفاً من ضربة مكنسة ، أو عظمة كاتمة

للدواء من أول الحديث ، ودعنا في العموميات ؛ لأن مشكلتي عامة لا ترتبط بزمان معين أو مطبخ معين ، وكل ما في الأمر أنني كقط أينما سرت وأنتى قفزت في هذا الوطن العربي الكريم ، أرى الدموع تلاًلاً في كل مكان وأشم رائحة الدم في كل زاوية . . . » (١)

٢ — شاعر عربي مرموق ، يتهافت الشباب في أنحاء الوطن العربي على قراءته يكتب في السياسة ، على طريقته الخاصة نثراً يصور فيه حال الإنسان العربي في وطنه ، وكتب مؤخراً عريضة على لسان الأغنام ، هذا مطلعها : « نحن — الأغنام العربية — الموقعة بحوافرها أدناه ، بعد التوكل على الطاف الله سبحانه وتعالى ، وكتابة وصيتنا ، والتأمين على رؤوسنا ضد المقطع لدى شركة أميركان لايف إنشورنس . . . قررنا أن نكتب في شؤوننا (الغنمية) إلى سيدنا السلطان وزوجته قمر الزمان . . . »

نرجو قبل كل شيء أن تسامحونا على رداءة خطنا . . . وضعفنا في قواعد اللغة العربية . . . :

فمنحنا — كما سبق أن قلنا في أول هذا الاستدعاء — نكتب بحوافرنا . . . لأنكم صادرتكم كل دفاتر الكتابة ، وكل أقلام الحبر السائل والناشف الموجود في السوق واعتبرتتموها من المواد الكمالية . . . كالعطور . . . والمشدات . . . ورافعات الهود . . . ثم نرجو أن تغفروا

(١) انظر محمد الماغوط . صحيفة المستقبل عدد ٣٠٧ باريس في ٨ يناير ١٩٨٣

لنا ضعفنا في الصرف والنحو والإملاء لثلاثة أسباب :

أولاً : لأن غلاء الأقساط المدرسية لا يسمح لنا بالذهاب إلى المدرسة لاستكمال تعليمنا .

ثانياً : لأننا نكدح ليلاً ونهاراً لتأمين عائلتنا اليومي .

معين - أن نضع عنوان الموضوع على رأس الصفحة ، ثم نرسم شارباً مرتفعاً إلى أعلى . : وفي الصفحة المؤيدة لموضوع ما نرسم لحية رفيعة . أما إذا كنا لا معترضين ولا راضين فنرسم شارباً مستوياً ، ونترك اللحية للصفحة التي بلا رأي . . » (٢)

٧ - الصحافة والدعوة إلى العامية :

يعتقد كثير من الباحثين بأن الدعوة إلى العامية ، التي كان لها في مصر وأقطار عربية أخرى تاريخ دونه مؤرخون يهتمون بالفصحى قد ضعفت في أواخر العهد الزاهر للصحافة ثم إنها بدأت تسترد قواها مع بدء العهد الذي تلاه ، تعينها في ذلك الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام ، حتى باتت الفصحى والأخطار تهددها اليوم من كل حذب وصوب .

إن هذا الاعتقاد يحمل جانباً كبيراً من الحقيقة ، لأن الواقع يثبت أن تلك الدعوة الحبيثة التي كانت وليدة حرية الصحافة ، قويت يوم كانت مزدهرة غير أنها لم تضعف بعد ذلك في أي قطر من الأقطار العربية ، ولكنها استكانت وارتدت إلى أوكارها أمام قوة خصومها ودعم الرأي العام لهم ، فلما دب الضعف في صفوف أنصار الفصحى بخفوت الغيرة عليها عند الجماهير ، عادت الدعوة إلى الظهور والنشاط تحمياً ثياب جديدة باسم (حرية الرأي والتعبير)

ثالثاً : (وهو السبب الأهم) لأن الفصاحة ليست مطلوبة في الوقت الحاضر ؛ لأن كل فصيح هو عميل حتى يثبت براعته . . . » (١)

٣- ويبدو أن حذر محرري الصحافة وأسلوب كتابها الساخرين لم يحولا دون بقائها في منجاة من الخوف على نفسها مما جعل المسؤول عن التحرير يبادر في العدد الأخير إلى نشر خبر في صفحته الأولى يقول فيه :

« أصدرت السلطات التركية مرسوماً يقضي بمنع إطلاق اللحن والشوارب بصورة مبالغ فيها . . في الحمامات . »

وبعد أن ذكر الأسباب التي دفعت السلطات التركية إلى الأمر المشار إليه ، علق على الخبر قائلاً :

« . . . كي لا يفاجأ القراء - إذا استمر الضغط على الصحافة العربية - سنلجأ نحن إلى أسلوب اللحن والشوارب ، فنكتفي مثلاً - إذا أردنا أن نعبر عن اعتراضنا على موضوع

(١) انظر نزار قباني . صحيفة المستقبل عدد رقم ٣٠١ الصادر في باريس يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٨٣

(٢) انظر مجلة المستقبل العدد ٣٠٩ الصادر في باريس بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٨٣

أو (إحياء التراث والفنون الشعبية) أو
(تشجيع الناشئة والطلائعية التقدمية) .

وخير دليل على هذا أن الدعوة إلى
العامية كانت وما زالت قوية في لبنان
بلد الصحافة الحرة ، غير أن قوتها لم تزد
إلا بمقدار الضعف الذي حل بالمتصددين
لها ، المنافحين عن الفصحى ، الأمر الذي
دفع جيلاً جديداً من أنصارها إلى دعوة
جديدة باسم « اللغة العربية الحديثة » .

٨ - اللغة المحكية :

قامت في السنوات الأخيرة في لبنان
بدعة جديدة تدعو إلى العامية المحكية ،
والاختلاف بين الدعوتين جاء على لسان
صاحب الدعوة الجديدة ؛ إذ قال :

« الفرق شاسع وأساسى ؛ فهم كتبوا
ويكتبون بلهجة محلية ، وأما أنا فأكتب بلغة
عربية حديثة ؛ أى بلغة أعترف بما طرأ
عليها على ألسنة المتكلمين بها من تغيير
وتحسين ؛ فيكفى مثلاً أن نلغى حركات
الإعراب لنطرح عن كاهلنا وكاهل أبنائنا
وأجيالنا الطالعة حملاً ثقيلاً لم يعد بإمكاننا
ولا يجوز على الإطلاق أن نتمسك به ، فإذا
كنا نتكلم ونتفاهم بدون إعراب فلماذا
الإعراب إذن ؟ »

وهكذا قل عن أسماء الموصول والإشارة
وعن المثنى وثون الإناث وسواها من
الضمائر التى سقطت من اللغة التى نتكلم بها .

والدليل الساطع على حكمة الحياة في
في طرح مالا لزوم له هو أن الذى طرحه
من اللغة العربية لا يقتصر على بلد عربي
دون آخر من الخليج إلى المحيط . فلا إعراب
مثلاً حتى في منشأ اللغة العربية ومهداها ^(١)

« وعندما سئل صاحب هذه البدعة عن
ما يعتقده في صدها لدى مجامع اللغة قال :

أولاً : هذه اللغة ليست لغتي فهمى لغة
الشعب الذى يتكلم بها .

وثانياً : إن هذا الشعب هو فوق المجامع
وفوق المراجع وفوق القوانين والأنظمة ؛
ولا يقدر أحد أن يفرض عليه شيئاً أو يمنعه من
أن يأخذ بما يشاء ، وخصوصاً بالنسبة إلى
اللغة ؛ لأن اللغة إذا خرجت على اللسان فلا
يمكن أن تعود إليه . فلو بقينا مليون سنة
نعلم أبناءنا اللغة العربية القديمة فلن يتكلموا
بها أبداً ^(٢) .

وكان قد سبق لصاحب البدعة الجديدة
نفسه أن كتب : « كيف ممكن يصير
العقل حديث من دون لغة حديثة ؟ اللغة
أكبر مشكلة عميواجهها العرب . ومن
دون حل مشكلة اللغسة باعتماد المحكية
ما بيتحرر العقل العربي ، ولا بيتقدم الإنسان
العربي حتى يتغلب على مشكلة إسرائيل
..... ^(٣) » .

(١) انظر يوسف الخال في صحيفة « الأسبوع العربي » بيروت في ١ يونيو ١٩٨١

(٢) المصدر نفسه . (٣) انظر صحيفة النهار العربي والدولي بيروت في ٢٠ أكتوبر ١٩٨٠

٩ - تقارض الاهتمام بين المجمع والصحافة

دأب مؤتمر مجمع اللغة العربية على اختتام أعماله السنوية بمقررات عامة وكان يخص الصحافة العربية ببعضها وهو يوصيها دائماً «بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، مقدرًا لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية» داعيًا إياها إلى «الاهتمام بما يقرره المجمع وما يطبعه».

لا شك عندي بأن الصحافة العربية - بصورة عامة - تكن للمجمعين في مجموعهم كل تقدير واحترام ، ولكنها تبعًا لطبيعتها تعنى دائماً - مع الأسف - بالجانب الإخباري لاجتماعاتهم ومؤتمراتهم ، أكثر من عنايتها بالجانب الموضوعي لأبحاثهم ومقرراتهم .

كما كانت بعض لجان المجمع تتابع الصحافة فيما تستخدمه من ألفاظ لمدلولات مستحدثة ، وتلاحق الأساليب غير الفصيحة أو غير العربية التي ترددها الصحافة في الموضوعات التي تنقلها عن اللغات الأجنبية بسرعة فائقة ، وتحاول جاهدة في مؤتمر المجمع السنوي ، ليقر ما ترى له وجهًا من ألفاظ لمدلولاتها المتداولة بين الناس ، أو ليعجز بعض الأساليب التي تمكنت من تخريبها على وجه يحشرها في الأساليب العربية المقبولة .

وبالرغم من أن الدعوة إلى العامية تعيش في لبنان ، الغالي على الأمة العربية ، إلا أن أنصارها ينفثون سموها بصحافته القوية المتقدمة المقروعة في سائر الأقطار العربية ، حتى أصبح للعامية أنصار في صحافة أشد الأقطار تعصبًا للفصحى ، يستغلون شعارات (التحرير والتحديث) فيدسون مثل قولهم : «... إن لغة الناس كانت غير لغة السادة ، لغة ديوان الخليفة ، كانت متأنقة مترفة رصينة لماعة ، ولكن اللغة كانت تتطور داخليًا ، تتخمر حتى وصلت دائماً إلى مراحل عصت أوامر السلفيين ، أى التقليديين ، وقفزت إلى مستوى جديد كل الحدة ، ومن هذا المنظور يمكن أن نفهم كيف سقطت حركات الإعراب من هذه اللغة أو تلك ، وكيف تحولت العامية إلى لغة قومية ... (١) ».

أو أنهم باسم الحفاظ على التراث الشعبي يسجلون مثل هذا المطلع لقصة محلية : «وقعت بالأمس في حارتنا حادثة تموت الواحد من الضحك ذلك أن حمدان فسفة الذي يعمل زبالاً في قميل^(٢) الحما خرج من منزله متوجهاً لأول مرة في حياته إلى مدرسة الحارة ممطياً ظهر البغل الذي يحمله طيلة النهار أكوام القمامة ، يضرب جنبى البغل بحبل الرسن هاتفاً به حاي يا بغل حاي... (٣) ».

(١) انظر صحيفة تشرين دمشق في ٦ فبراير ١٩٨٣

(٢) القميل بتشديد الميم عند العامة في حلب هو القمين عند العامة في مصر والقميم عند عامة أهل الشام والآخر أقربها للفصحى .

(٣) انظر « مقصد العاصي » من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ١٩٨٢

فما هو صدى التوصيات التي يصدرها المؤتمر سنويا في الصحافة العربية ؟ وما هو موقفها من مقررات المجمع ولجانه ومن مطبوعاته عندما تصدر ؟

لقد لاحظت أن الصحافة زادت من اهتمامها بأمر اللغة في السنوات الأخيرة ، ولا تخلو اليوم الصفحات التي خصصتها للثقافة والآداب من بحث أو أكثر في موضوع لغوي ، وإنك لتجد في الصحف السياسية التي تصدر في دمشق زاوية دائمة تكاد تكون يومية تحت اسم « نافذة على اللغة »^(١) أو « لغتنا الجميلة »^(٢) أو « لغة العرب »^(٣)

وقد لا تخلو الصحف أحيانا من تعليقات على مقررات المجمع ، تعليقات قد تكون إشادة بهذه المقررات أو ثناء عليها ، وقد تكون مصحوبة بنقد لها أو غمزر فيها . وفي بعض الحالات تجد التعليق مبنيا على توهم أو فكرة مبتدعة لا صحة لها ، وغالبا ما يكون الرد على أمثال هذه التعليقات غير مفيد .

وأود أن أسجل هنا ما وقعت عليه في صحافة الأقطار الشامية خلال السنوات الخمس الماضية في النبلتين الآتيتين :

النبة الأولى : كان تعليق الصحافة على توصيات المؤتمر ضعيفا تبعا للواقع السياسي

السائد بين مختلف الأقطار العربية ، وفيما يلي مقتطفات من كل تعليق :

١ - نشرت صحيفة تصدر في لبنان مقالا تهكيا عقب مؤتمر سنة ١٩٧٨ جاء فيه : (٤) « تستند أعمال مجمع اللغة العربية بمقر رواد تعريب المفردات الأعجمية في الحيزة نصف أيام شهر آذار (مارس) من كل سنة . أربع وأربعون سنة كرس هذا التقليد ، ولذلك شهدت خلال الشهر الماضي القاعة الكبرى للجامعة العربية جلسة الافتتاح الأولى العلنية بالخطب المناسبة التي توالى على إلقتها عدد من الخالدين ،

قيل إن ألف تسمية أعجمية تناولها التعديل اللغوي هذه كانت حصيلة إنجازات الخالدين على صعيد تطوير محاولات غزو الألفاظ الأجنبية للغة . فوضعوا هذه التسميات « الجاهلية » في ملفاتهم ريثما تصبح قيد التداول .. تماما كما لو كان تبديل اسم الرغيف الافرنجي « بالشاطر والمشطور وبينهما طازج » يمثل اكتشافا عبقريا بالنسبة إلى العرب وكل التراث ومجد العرب » .

٢ - جاءني صحيفة تصدر في سورية من مقال جاد عقب مؤتمر سنة ١٩٧٩ ما يلي (٥) :

(١) انظر البحث اليومية . (٢) انظر تشرين اليومية . (٣) انظر الثورة اليومية .

(٤) نشر المتال في « الأسبوع العربي » بيروت ١٠ / ٤ / ١٩٧٨ بتوقيع ريمون عقل .

(٥) نشر في « البحث » دمشق في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ بقلم أحمد شكرى .

« اعتبر المؤتمر السنوي الأخير لمجامع اللغة العربية وسائل الإعلام مسئولة عن الكثير من ظواهر الخطأ والضعف في لغتنا التومية، وقال العديد من أعضاء المؤتمر إن معظم هذه الأجهزة يفتقر إلى المذيعين ذوي الكفاءات العالية وإلى الإعداد الجيد للبرامج » .

وبصورة خاصة توجه المؤتمر إلى الصحافة موصيا إياها بالمزيد من العناية بسلامة لغتها وقدر لها ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة ، وفنون الأدب خاصة : : : :

والأمر يتعلق باللغة العربية فهي الرابطة الرئيسية بين الشعب العربي في جميع أقطاره من المحيط إلى الخليج : : :

نقول هذا ، وفي أذهاننا آخر محاولة في لبنان لجعل العامية المحامية لغة للأدب والشعر والصحافة ، فهي على هزالها دليل آخر على شراسة الحملة المشبوهة والمتواصلة لإضعاف اللغة العربية الفصحى ، لغة الأمة العربية جمعاء، وإيجاد انقسام لغوي يصب في مجرى التجزئة .

٣ - جاء في مجلة تصدر في سورية من مقال يلخص وقائع مؤتمر سنة ١٩٨٠ ما يلي (١)

« : : : . وعرضت لجنة اللهجات على المؤتمر أعمالها » ، وتشمل :

(أ) الظواهر الصوتية في لهجة طي ، وفي لهجة هذيل :

(ب) إدراج مائة كلمة عامية في معجمات الفصحى

٤ - وجاء في صحيفة تصدر في سورية أيضا من مقال يشرح فيه أعمال لجنة اللهجات في سنة ١٩٨٠ ما يلي (٢) :

« . : وجاء في القرار الثاني من قرارات لجنة اللهجات الكلام التالي : : إن لجنة اللهجات كانت دقيقة حين نظرت إلى الوحدة بين العامية والفصحى من جانب الألفاظ وحدها. ففي هذا الجانب - وحده - تبدو عاميتنا شديدة الاقتراب من الفصحى » .

إن العامية مرفوضة دون شك ، وإن الجهود تترك لتوهين ما يسمى ازدواجية اللغة العربية ، ولا يشك المرء في أن نشر الكلمات الفصيحة الموجودة في العامية ، يساعد كثيرا من علماء اللغة على تحديد المعنى الحقيقي للعامية المبتذلة المرفوضة التي يصبح تجنبها ونبذها :

٥ - وجاء في مقال يثنى فيه صاحبه على جهود الجمعيتين في خدمة العربية دعابة لطيفة ؛

(١) انظر م م (لغة عربية) دمشق في ١ / ٤ / ١٩٨١ بتوقيع ش . ف

(٢) انظر صحيفة العروبة حمص في مايو ١٩٨١ بقلم سر روى فيصل

إذ نقل قصة أبي حسان التي ردها على مسامعنا
الزميل المحترم عبد الرزاق محي الدين يوم
عرض على المؤتمر سنة ١٩٨١ قرار لجنة
الألفاظ في التسوية بين (المتوفى والمتوفى)
على الشكل الآتي (١) :

«سأل رجل يقرأ ما يصدر عن المجمع اللغوي
شيخا وقورا رآه يمشى خلف جنازة : من
« المتوفى » فقال الشيخ : اخجل يا أخى
واسأل عن « المتوفى » فالمتوفى هو الله جل جلاله
فقال السائل : والله ياسيدى أنت أجدر منى
بالخجل ؛ لأنك لم تقرأ ما قررته لجنة المجمع
من أن للفظين دلالة واحدة .

النبذة الثانية : لم ألاحظ فيما اطلعت عليه
من صحف أى تعليق أو نقد لقرارات
المؤتمر فى أعمال لجنة الألفاظ والأساليب
بإجازة أو رفض الألفاظ والأساليب الصحفية
التي درستها ، وحسبى أن أسجل فى حديثي
هذا قصة لفظة واحدة كثيرة الورد فى
الصحافة ، أجاز المؤتمر استعمالها بصيغة
حددها ، فما هى القصة ؟

كان المجمع موافقا على رأى الصحافة
فى أن لفظة (عقد) الأصيلة المنعوتة برقم ،
قاصرة عن الوفاء بالمعنى المعاصر المستفاد
من جمع اسم (عشر السنوات) المقصودة

بالإشارة ، فسنوات (العقد الثالث) ليست
هى سنوات (العشرينيات) المتطورة تماما
و (الثمانينيات) التي نعيش اليوم فى سنواتها
لا يفى بمعناها قولنا (العقد التاسع) ، لهذا أجاز
المجمع - من عشر سنوات - استعمال هذه اللفظة
المستحدثة شارطا إثبات ياء النسب فيها . (٢)

ورجال الصحافة الذين اطالعوا على قرار
المجمع قلائل جدا ؛ إذ مازالت الصحف تكتب
(الخمسينات) دون إثبات ياء النسب ، غير
أنى لا أنكر أنى بدأت أقرأ لكاتب مرموق
ولغيره مقالات حديثة أورد فيها اللفظة
برسمها الصحيح . (٣)

١٠ - تقييم لغة الصحافة المعاصرة :

إن المقارنة بين لغة الصحافة فى عهديها
الماضى والمعاصر ، لا تعطى صحافة اليوم
درجة رفيعة فى فن التقاط الخبر وجمال
الإخراج وإتقان الطباعة فحسب ، بل تعطىها
درجة عالية فى المستوى العام للغة المحررين .
وهى فى هذا المستوى تعلو فى القاعدة عن
مستوى لغة الصحافة - فى عهدها الذى غير -
علوا واضحا ، وهذا أمر واقع غير مستغرب
بعد ارتفاع مستوى لغة العامة نحو الفصحى
خلال نصف القرن الأخير من جهة ، وبعد
اتساع التعليم العالى من جهة أخرى :

(١) انظر قرار لجنة الألفاظ والأساليب المعروض على المؤتمر سنة ١٩٨١ وتدرأفى المؤتمر قرارها بأكثرية
واضحة .

(٢) فى الدورة الجمعية التاسعة والأربعين لسنة ١٩٨٣

(٣) أحمد بهاء الدين فى مقالاته المنشورة فى صحيفة المستقبل فبراير ١٩٨٣

غير أن هذا الارتفاع في القاعدة تم مع توارى القمم العالية ، أمثال تلك التي كانت أسماؤها تتوج صحف الأمس البعيد ، وأما القمم في الصحافة الحاضرة فهي قليلة العدد أولا ، وثانيا : إن ارتفاعها لا يتكون من مجموع كفاياتها الشخصية فقط .

إن أعلام الصحافيين في العهود الماضية أغنوا المكتبة العربية بمصادر مازالت حتى اليوم معتمدة في موضوعاتها ، جمعوها بأنفسهم أو جمعت لهم بعد رحيلهم بعد أن كانت مقالات أو أحاديث صحافية منشورة كالآل في صحفهم يتهافت الناس على التقاطها والتفاخر بجمعها والاحتفاظ بها ذخرا لهم ولأبنائهم من بعدهم^(١) .

١١ - المسؤولون عن حماية الفصحى :

قد يسأل بعضنا بعضا : ومن هو المسؤول عن ما يحيط بالفصحى من أخطار نراها ماثلة أمام أعيننا ، والغير منا عليها يتعثرون في الطرق التي يرون فيها سبيل إنقاذ الضاد من محنتها ؟

أستميحكم عنرا إذا ماجهرت قائلا : كل واحد منا مسؤول في هذا ، وكل من قال أنا عربي هو مسؤول أيضا ، كل في حدود ماله من تبعات ، لأن العربية فقدت من يعنى بها في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة وحتى في الجوامع .

لقد فقدت الفصحى من يحرص عليها في جميع المجالس ، حتى في تلك التي كانت منابرها تهتز من بلاغة خطبائها فتترنح جماهير الشعب من الصدى :

لقد افتقدت العربية أساليبها الأصلية وبيانها الرائع في الصحف والمجلات ، وفي مؤلفات كبار العلماء ، وحتى في كتب الأدباء والشعراء المحدثين .

لقد طال العهد على الجماهير وهي تقرأ ما تقدفه المطابع إليها ، وتسمع ما يردده أصحاب السلطان عليها ، حتى فقدت حاسة استنكار اللحن والحمية في الدفاع عن لغة الذكر الحكيم .

نعم ، كل عربي منا مسؤول .

إن الرسام الذي كتب (لافطة) لطبيب ، فصور الحرف اللثوي في اسمه بالشكل الذي عليه نطق العامة مسؤول (٢) وقدما كان الخطاطون من حفظة القرآن الكريم أو ممن تعلموا قواعد الإملاء على الأقل .

أما الطبيب الجامعي الذي رفع على عيادته تلك (اللافة) فمسؤوليته أشد خطرا على العربية من مسؤولية بائع الفاكهة وقد ارتنى (لافطة) رسم عليها (بيع فواكي) زنة (بواكي) .

(١) انظر مجموعة كتب الراحلين من أعلام الصحافة في بلاد الشام من أمثال محمد كرد علي وعبد القادر المغربي وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وخير الدين الزركلي وبشارة الخوري وأمين سعيد .
(٢) اللافة موجودة على البناء ذي الرقم ٢٨ في شارع سليمان بن عبد الملك .

والعامل الحكومي على تسجيل (الأحوال الشخصية) للناس—وقد جاءته فلاحه تقول : ولدت بنتا وأطلقت عليها اسم أمي (سلمى) فسجل (سلما) دون إثبات التنزين طبعا—مسئول مسؤولية كبرى عن قائمة طويلة من الأسماء المسجلة في سجلات الحكومة بصورة لفظها بعيدا عن صورتها السليمة .

ومسؤولية الرجل الكبير—الذي أمر يوما بتسجيل محاضر الجلسات النيابية نقلا عن آلات التسجيل—بالغة الإثم، وأنا لست أدري إن كان من باب الإنصاف أو من باب العدل ، القول : إن هذه المسؤولية دونها بمراحل مسؤولية الصحف ومحرريها الذين يعتمدون آلات التسجيل فينقلون عنها خطب وأقوال الزعماء والرؤساء بلغة العامة .

قرأت قبل أيام معدودات بحثا لأستاذين جامعيين نشره تحت عنوان (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) في مجلة فكرية راقية نافعا فيه عن العربية وكفائتها لاستيعاب المصطلحات الجديدة ، ثم ختمه بالفقرات التالية :

« ولعل أكثر هموم اللغة العربية إيلاها هي مشكلة توحيد المصطلحات العلمية ؛ وقد باعت جميع المحاولات المبذولة في هذا الصدد بالفشل، ولم تؤت بعد ثمارها ؛ نظرا

لتقاعس الدول العربية عن التعاون الفعال والكافي في هذا المجال ، وخصوصاً حيال إقرار المصطلحات العلمية وجعلها إلزامية لجميع الهيئات والجامعات ، ولو أن مجتمعاتنا اللغوية تتلقى الدعم الكافي لوصلنا على الأقل إلى وضع مشابه للدول الأخرى ، ومع أن هذه المجتمعات تقوم بمجهودات كبيرة إلا أن جهودها هذه تضيع في زحمة تفرقنا وتبعد دولنا ، وهي بذلك نسخة طبق الأصل من واقعنا الممزق » (١) .

والقصة مع هذين الأستاذين اللذين التبس الأمر عليهما بين كلمتي « مَجْمَع » الخففة و « مُجْمَع » المشددة تعيد إلى الأذهان قصة رئيس أحد الجامعات العربية وكان يتحدث مع رئيس حكومة بلده، عندما أقبل وزير على رئيسه، فقدمه إلى المجمع الكبير معرفاً به بقوله : « رئيس المجمع اللغوي » وهو يشدد الميم الثانية ، مما أغضب الرئيس ودفعه إلى التنبيه على هذا الخطأ ، فضحك كبير الوزراء وهو يقول : « هون عليك ياسيدي فليس في الأمر خطأ يغضب ، ألا تكتبون أنتم الكلمتين على صورة واحدة ؟ سادتي :

كنت قبل عام مضى في مدينة جدة ، ويومها كان زمام سياسة الدنيا بيد عسكري

(١) انظر له : مظهر وسيمير صلاح الدين شعبان في مقالهما (اللغة العربية والتكنولوجيا المعاصرة) ص ١١٠ من المجلة العربية عدد فبراير ١٩٨٣

«عتل بعد ذلك زعيم^(١)» فإذا بي أقع في
الصحف المحلية على الخبر التالي :

« هيج يسىء للغة الإنجليزية

أ . ف . ب (ميتشجان)

أدرجت كلية سولت سانتمرى بولاية
ميتشجان الأمريكية اسم السيد ألكسندر
هيج وزير الخارجية الأمريكية في لوحة
العار بسبب نطقه السيء للغة الإنجليزية .

وطالبت الكلية أن يتحدث هيج اللغة
اللاتينية الكلاسيكية لفترة اختبارية مدتها
سنة أشهر ليكف عنه عن سوء استخدامه المزمع
للغة الإنجليزية ، وهو الأمر الذى لا يمكن
إصلاحه أو تعديله .

ومنحت الكلية الجائزة الأولى للسيد
مالكوم بالدريج وزير التجارة الأمريكى
لتحدثه السليم باللغة الإنجليزية وإجادتها
تماما (٢) » .

وألقيت بالصحيفة جانبا ، وقد لفتنى فكر
منها : هل من جامعة أو مؤسسة عربية
تجروء على تقليد تلك الجامعة الأمريكية دفاعا
عن الفصحى ؟ فأتعبنى التفكير وأنا أتخيل
طول قائمتنا السرداء وعدد المتزاحمين لاحتلال
المراكز الأولى فيها من رؤساء وأمرء
ووزراء .

وإذا سبق لى أن قلت بأن هناك أوزارا
تجب تبعاتها في بعض الآثام تبعات الصحافة ،

فأنا لا أدافع عن الصحافة لأخْلِها من
مسؤولياتها ، فهي المسؤولة عن آثار ما تقذف
به الناس صباح مساء من كلمات وتعابير
عامية ومن جمل أو أساليب غير فصيحة ،
ولو في أخبارها المحلية ؛ إرضاء لآلاتها
الحديثة ، وهى دوما فاعرة الأفواه ، وإملاء
لصفحاتها المتنافس على زيادتها بين الحين
والحين أو تزلفا لذى سلطان .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تنشرها ،
مادامت تستطيع رفض النشر ضمن الحدود
المرسومة لها من قبل النظام الذى تعيش
في ظله .

إنها مسؤولة عن كل كلمة تدعم
تحلل السايقة العربية عند قرائها أو تفسد
الذوق العام في التفريق بين دلالات الألفاظ
والحمل ، أو تضيع حدود الزمن المرافقة لبعض
الكلمات العربية .

فإذا كان من مقتضى الفن الصحفى
استعمال الفعل المضارع في عناوين الأخبار ؛
لشد الانتباه إليها ، فما الدافع لمخاللة بعض
الصحف في الفن حتى تصدر وهى ترفع
مثل هذا العنوان (القمر الروسى يسقط
« أمس » في المحيط الهندى) .

وإذا كان الإبداع في تبويب الصحيفة
مرغوبا فيه ، فأين الإبداع في باب يحمل
هذا العنوان (حدث غدا) وقد تلقفته إحدى

(١) العتل : القوى الجاف الغليظ ، والزيم الدعى الملتصق بقوم ليس منهم - الآية : ١٣ القلم .

(٢) جريدة « عكاظ » جدة في ٣ كانون الثا (يناير) ١٩٨٢

للإذاعات العربية لتُنشر تحتها تنبؤاتها عن
حوادث المستقبل .

« ومجلة العربي » مثلاً - وهي أوسع
المجلات العربية انتشاراً ، وأقلها مصادرة
أو في تمزيق بعض صفحاتها قبل التوزيع ، ومن
أكثرها استقامة في نهجها الفكري
المستقل - ألا تتحمل تبعة ما تحدثه صورة
اسمها في أذهان ناشئة الأقطار البعيدة من
اضطراب ؛ لاستهتارها بقواعد الإملاء
في التفريق بين الألف المقصورة والياء ؟

ولمن يرى رفع التبعة عن مجلة « العربي »
محتجاً لها بأن الرسام الذي خطط للمجلة
اسمها ، كان من بلد عربي جرت المطابع
فيه من عهد بعيد ، على عدم التفريق بين
الألف المقصورة والياء في آخر الكلمة ، أقول :
ولكن مؤتمر مجمع اللغة العربية وجد ضرورة
لهذا التفريق فأقره من بضع سنوات^(١) ، فلماذا
لا يقرأون ما قرر ؟

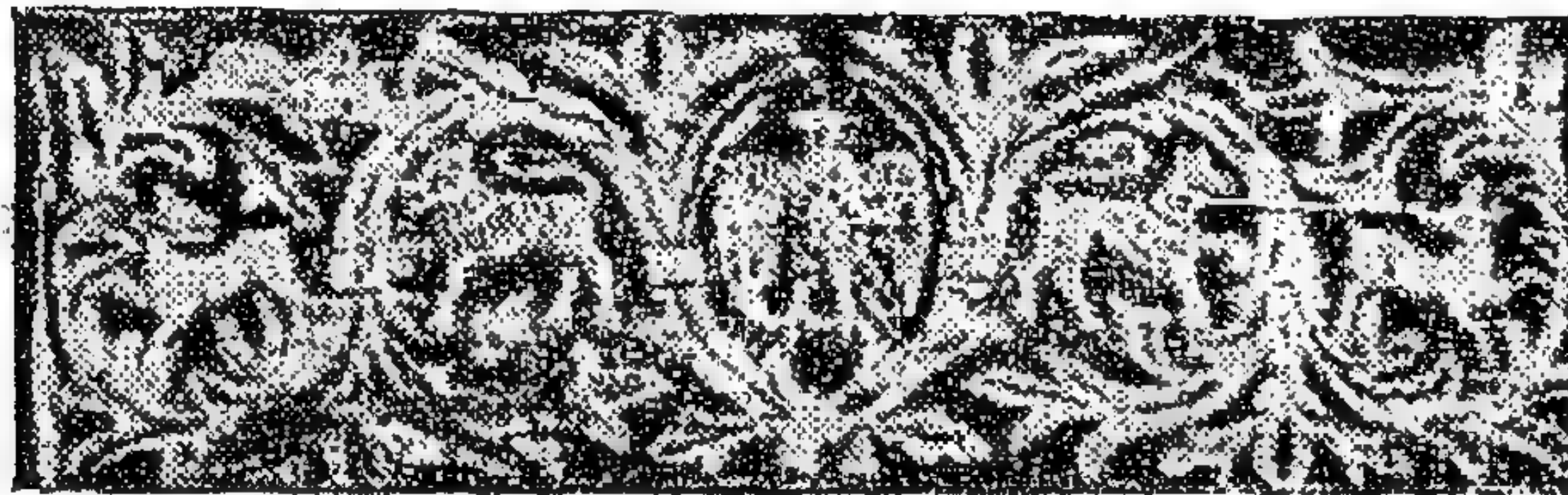
١٢ - كلمة ختامية :

طال الحديث عن « لغة الصحافة » ، وأرجو
أن لا يكون قد أملككم ؛ فقد كان مجموعة

أفكار وصور تواردت علىّ عندما بدأت
أكتب ، لملتها لأعرضها عليكم ، وأفضل
ما يدل على الخطر الداخلي الذي يهدد
الفصحى - لامن أهل اليمن المتطرف أو اليسار
الجاحد فحسب بل من بعض أهل الوسط
- ما جاء في نبذة وردت في مقال نشرته
صحيفة جزائرية من أيام قليلة متضمنة :
« . . . وفي أحد المؤتمرات كشف النقاب
عن أمر في غاية الغرابة يتلخص بأن تلك
القوة ليست أفراداً من المجاهدين بالدعوة إلى
العامية أو المحكية فحسب ، بل فيهم أساتذة كبار
يشعر المرء بوجودهم حتى بين أعضاء الهيئات
والمجالس واللجان التي تقوم على خدمة اللغة
ورعاية العلوم وتوجيه الثقافة ، وهم كثيراً
ما يتظاهرون بالحماس الشديد في الدفاع
عن الفصحى وبالحفاء لا يتورعون عن
مساندة أعدائها والمشى في ركاب من لا يبالي
بها^(٢) » .

عدنان الخطيب

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق



(١) الدورة السادسة والأربعون سنة ١٩٨٠

(٢) انظر صحيفة النصر قسطنطينية في ٢٥ يناير ١٩٨٣

الإسماء المعقدة وأسماء المعجزة

للدكتور عمر فروخ

في

عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين من القرن الإفريقي الحارثي - وفي أثناء متابعته

دراستي في ألمانيا - حضرت في جامعة ليزنغ دروس الأستاذ الدكتور أرنست برغمن أحد مستشاري هتلر للأمور الدينية وكان موضوع محاضراته : « تاريخ الدين والأديان » . ولما وصل أرنست برغمن إلى الإسلام قال كلاما مقبولا ، ولكنه أبدى ملاحظة أسف فيها على أن المسلمين يسمون أولادهم أسماء تتصدرها كلمة « عبد » ، بمعنى الرقيق المملوك .

لم أجد من المفيد أن أناقش الأستاذ برغمن في أثناء الدرس ، فلقد كنت المسلم الوحيد في ذلك الصف ، ولم يكن مقدراً لمناقشتي أن تشرب بين طلاب لا يعرفون من الإسلام إلا ما قاله الأستاذ في محاضراته تلك .

ولكن بعد انتهاء المحاضرة وقفت بضع دقائق مع الأستاذ وحاولت أن أبسط له أن كلمة « عبد » إذا جمعت على « عباد » يصبح لها معنى غير المعنى الذي لها إذا هي جمعت على « عبيد » . وأسعفتني اللغة الألمانية بكلمة « باند » (Band) ، فإنها إذا جمعت على (Bände) كان معناها « الجزء من كتاب » ، وأما إذا جمعت على (Bänder) فإن

ولكن بعد انتهاء المحاضرة وقفت بضع دقائق مع الأستاذ وحاولت أن أبسط له أن كلمة « عبد » إذا جمعت على « عباد » يصبح لها معنى غير المعنى الذي لها إذا هي جمعت على « عبيد » . وأسعفتني اللغة الألمانية بكلمة « باند » (Band) ، فإنها إذا جمعت على (Bände) كان معناها « الجزء من كتاب » ، وأما إذا جمعت على (Bänder) فإن

معناها يدل حينئذ على الحزام أو الرباط أو الشريط .

ووضحت الفكرة للأستاذ برغمن ودعاني إلى بيته بضع مرات وسألني عن أمور وحقوق في الإسلام بدلت كثيرا مما جاء في هذا الموضوع في تلك المحاضرة . ولكن الكلام على ذلك بعيد عن البحث الذي أجيء به في هذه الجلسة من هذه الدورة (عام ١٩٨٣) :

أحب البشر منذ أقدم الأزمنة أن يسموا أولادهم أسماء تدل على نعمة الله عليهم أو على صلة تربطهم بالله . فمما يمكن الاستشهاد به هنا الاسم العقدي (ويقولون : الأكادي) « سرجون » من أسماء الأعرابيين القدماء (ويقول نفر من المؤرخين خطأ : الساميون) هذه الصيغة وصلت إلينا من اليونانيين من طريق الرومان أو اللاتين من طريق الفرنسيين أو من طريق الإنكليز : وأحسب أن اليونانية القديمة واللاتينية القديمة لم يكن فيهما صوت « الشين » ثم عرفنا نحن في بلاد الشام حصن « شيزر » مما يدل على أن هذا الصوت نشأ متأخرا في اللاتينية ، ولعل لهذا الرأي سنداً من كثرة وروده في الإيطالية في كلمات كان حقها أن تلفظ في اللاتينية بالقاف .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

ونرجع إلى الاسم «سرجون» فإنه يقابل
الاسم القديم شروقين. و«شرو» هو الملك
و«قين» (بالكسر) هي القين (بالفتح) بمعنى
العبد ، فيكون المقابل لاسم «شروقين»
القديم «عبد الملك» بالرومية. ويحسن بالمؤرخ
العربي النابه إجراء الأعلام على ما تلفظ
به في لغتها الأصلية أو على ما قبلته اللغة
العربية من اللفظ بها. يجب أن نقول شروقين
أو عبد الملك ، لا سرجون ، وأن نقول
«سكع» (بفتح فسكون) لا بتر ولا البتراء
لأن كلمة «سكع» معناها الحجر أو الصخر ،
فإن نقل اليونانيون هذا الاسم إلى لغتهم
كانوا عاقلين فسموها باللفظ يدل على
معناها في لغتهم. فإذا قلنا نحن اليوم «بتر»
لم نَعُدْ أن نقول معنى اسم بلد بلغة غيرنا.
وأما إذا قلنا «البتراء» (مؤنث الأتر) أي
«المتطوعة الذنب» أو ما يشبه الذنب ،
كنا في الحقيقة جاهلين لطبيعة البلاد التي
نعيش فيها. وليس بعد هذا الجهل جهل.

ونأتي إلى اسم آخر أقرب في المكان
إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وهو
الاسم الذي يقال له «رمسيس» والذي
وصل إلينا من اللسان اليوناني أو اللاتيني
عبر اللسان الفرنسي أو اللسان الإنكليزي
وربما أراد نفر أن يكون أكثر أمانة ،
فهؤلاء يقولون : رمسيس ، وبذلك
يكونون قد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ،
عسى الله أن يتوب عليهم . هذا الاسم

يجب أن يكون ، فيما أحسب - وأنا
لأعرف من اللغات القديمة إلا تنفا -
رج مسو (قال من أخذت عنه : خلقه
رج) . ورع هو الإله الشمس أو الشمس
الإله . وأحسب أيضا أن هذا الاسم قد
استمر في مصر بعد أن تعربت فقالوا
فيه : «عطا الله» ، تقيدا باللفظ : عطا
(بمعنى أعطى ، مع التساهل) والله
بالرفع فاعل : وربما اقتصر الناس على
معنى الاسم فقالوا : عطاء الله (في مثل
ابن عطاء الله الإسكندري) .

ويبدو أن الروم البيزنطيين (اليونان
بعد اعتناق النصرانية) قد فهموا معنى
هاتين التسميتين : العقديّة البابلية والمصرية
الفرعونية ، فهما قريبا فسموا «ثيودوروس»
(عبد الله) و «ثيودورا» (عبدة الله ،
عابدة الله ، أمة الله) .

ومن الأسماء القديمة في الأعرابيين
«نبوخذ نصر» ، وهو متأخر النشأة (في
الكلدانين) ومزيج من اللغة الأعرابية
واللغة الفارسية : فكلمة «نبو» (في المعنى
اللاغوي) : المفسر أو المنبئ . وكانت
كلمة «نبو» عند الكلدان تطلق على الكوكب
عطارد ، وعطارد في الحرفات القديمة

رسول الآلهة : ويبدو أن «خذ» هي «خذنا» الفارسية بمعنى إله . فيكون معنى «تبوخذ نصر» فيما أحسب «رسول الإله نصر» ونسر من آلهة القدماء، عبده جماعة من عرب الجاهلية وورد ذكره في القرآن الكريم :

ويبدو أيضا أن العرب اختصروا «تبوخذ نصر» فجعلوها «بختنصر» . وتسمى نفر من النصاري في بلاد العرب ، قبل الإسلام وبعده «بخت يشوع» ، كما تسموا «عبد المسيح» . ولعل كلمة بخت (وهي فارسية بمعنى الجلد بفتح الجيم أى الحظ) أصبحت تعنى «العبد» :

وعرف العرب في جاهليتهم هذه الأسماء المعبدة فسموا ؛ عبد اللات ، عبد مناة ، عبد العزى ، عبد شمس ، عبد القيس ، عبد يغوث ، عبد ياليل ، وسوى ذلك من أسماء الأصنام ، كما سموا عبد الدار وعبد الكعبة وعبد الخير (والخير أحد الإلهين في الدين الثنوى : إله الخير أو النور وإله الشر أو الظلام) . وسموا أيضا عبد الله .

وكذلك سمي عرب الجاهلية تيم الله وتيم اللات وتيم قريش . ومعنى تيم «العبد» جاء في ابن الأثير (بيروت ٥ : ٢٤٩) : « وفيها مات محمد المنكدر بن عبد الله أبو بكر التيمى تيم قريش » فهل يجوز لنا أن نقول إن «قريشا» كان اسما لصنم مع أن «تاج العروس» لم يذكر ذلك ، ولا أحسب أن ابن الكلبي قد ذكر ذلك في كتاب الأصنام :

وكان إذا دخل أحد في الإسلام ، في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى بأحد هذه الأسماء الوثنية ، بدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه فجعله عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد الرحيم أو ما يشبه ذلك .

وفي الإسلام اتسعت التسمية بالأسماء المعبدة بإضافة كلمة «عبد» إلى أسماء الله الحسنى . وأسماء الله الحسنى مائة : أحدها اسم جامع لكل معانيها هو «الله» ثم تسعة وتسعون صفة على وزن اسم الفاعل أو صيغة المبالغة أو الصفة المشبهة . ولا وجه للقول بأن أسماء الله الحسنى مائة : تسعة وتسعون منها معروفة ، وواحد منها غائب عنا من عرفه نال كذا وكذا .

وإذا نحن استعرضنا هذه الأسماء الحسنى وجدنا أكثرها يدخل في أسماء الناس ولكن لا نسمع في الأسماء المعبدة اسما هو : عبد المصور أو عبد القابض أو عبد المذل أو عبد المحيت ، غير أن الناس يزدون في هذه الأسماء من عندهم فيسمون مثلاً عبد المقصود وعبد المحسن وعبد الخواد وعبد السيد . ومع أن عبد السيد اسم مألوف عند النصاري ؛ لأن «السيد» عندهم هو المسيح عليه السلام ، فإن في المسلمين أبنا نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ (ابن الأثير - بيروت ٩ : ٥٩١ و ١٠ : ١٤١) ، وهو فقيه من أهل بغداد تولى التدريس في المدرسة النظامية .

والشيعة يختلفون مع أهل السنة والجماعة في أنهم يضيفون إلى كلمة «عبد» غير أسماء الله الحسنى فيسمون عبد الرسول وعبد النبي وعبد الصاحب (علي بن أبي طالب) وعبد الحسن وعبد الحسين وعبد المحسن (والمحسن يقال فيه إنه ولد للإمام علي من فاطمة ، ولكنه ولد ميتا) . وكذلك يسمون عبد الجواد . والجواد هو في التاريخ الشيعي تاسع الأئمة أبو جعفر محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . وكانت وفاة عبد الجواد ، سنة ٢٢٠ للهجرة (٨٣٥ م) .

غير أن الشيعة إذا سموا عبد الرسول أو عبد الحسين فإن لفظ «عبد» لا يكون هنا عابداً بل خادماً ، يدلنا على ذلك استعراض عدد من الأسماء عند الفرس : غلام علي ، غلام حيدر (وحيدر هو علي ابن أبي طالب) ، غلام حسين ، غلام محمد ، غلام رضا ، الخ .

ولكن هنالك اسمين من هذه الأسماء يردان عند الشيعة وعند أهل السنة والجماعة ، هما عبد المحسن وعبد الجواد . وأحسب أن المدرك السنّي في هذين الاسمين مختلف عن مدرك الشيعة فيهما . إن هذين الاسمين (الجواد والمحسن) ليسا من أسماء الله الحسنى (راجع المقصد الأسنى للغزالي ، بيروت دار المشرق ١٩٧١ م ، ص ٦٣) ، ولكنهما عند أهل السنة والجماعة مزيدان

على أسماء الله الحسنى ، مثل المقصود والعاطي وغيرهما .

وفي المدة الأخيرة قلت الأسماء المعبدة بين المسلمين بعوامل مختلفة . ثم بالغ نفر في اجتناب هذه الأسماء ولم يستطيعوا التخلص منها جملة ، بعد أن سماهم بها آباؤهم ، فحذفوا منها المضاف ، فإذا عندنا اليوم أسماء منها : حميد ، مجيد ، عزيز ، فتاح ، وهّاب ، حكم ، جليل ، كريم ، رؤوف ، بديع ، رشيد ، وغيرها أيضاً ، إلا أن عدداً من هذه الأسماء يقبل التأويل بأن هذه الصيغ ليست عند التسمية من أسماء الله الحسنى ، ولكنها صفات يمكن أن يتصف بها الإنسان اتصافاً قاصراً بينما هي في الأسماء الحسنى تدل على الكمال . وإذا كان الاسمان : رشيد وحكم ، قديمين في التسمية مفردين ، فإن عزيزاً ومجيداً وفتاحاً ووهاباً وعدداً آخر أشباهها أكثر تأخراً في الزمن وأقل وروداً في التاريخ . ومجمعنا اليوم يقوم في شارع جديد أو في شارع يحمل اسماً جديداً : شارع عزيزاً باظة . وكان في الأندلس نفر عرفوا باسم بني حوط الله . وحوط مصدر «حاط» بمعنى حفظ وصان ورعا وحمى (تاج العروس ١٩ : ٢٢٠) والحوط قرية (١٩ : ٢٢٢) . وحوط أيضاً اسم كثر وروده عند العرب (١٩ : ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٢٦) . وهذا الاسم يصغر فيقال : حويط (١٩ : ٢٢٤)

وكيف دار الأمر فلا وجه لإضافة اسم
الجلالة إليه ، فالله سبحانه وتعالى هو
الحافظ والحفيظ : « فالله خير حافظا وهو
أرحم الراحمين » (١٢ : ٦٤ ، سورة يوسف)
و « إن ربى على كل شيء حفيظ » (١١ :
٥٧ ، سورة هود) . وكذلك لا يجوز أن
يكون اسم الجلالة مضافا إلى اسم قرية ، فإن
لله مافى السموات ومافى الأرض ؛ ولا مضافا
إلى اسم أحد من خلقه ، فالخلق كلهم عيال
الله ، والله خالق كل شيء .

ولكن هذا الاسم « حوط الله » مشوه
مرتين . إن أصل « حوط » هنا : حوت
بمعنى السمكة ، وهو اسم رائج في المغرب
لكل مانقول له نحن في المشرق : سمك .
والخطف والتفخيم معروفان في اللفظ المغربي ،
ولعلهما كانا معروفين أيضا في الأندلس .
وأما التشويه الثانى فى « حوط الله » فقد
جاء من التحسين للفظ من التحقير (وكل
فتاة بأبيها معجبة) . فالاسم يجب أن يكون فى
الأصل الأندلسى « حوتللو » من « حوت »
بمعنى سمكة ثم « ألو » علامة للتصغير فى
اللغة الأسبانية . فيكون معنى الاسم « سميكة »
(السمكة الصغيرة) . وعز على تلك الأسرة
الأندلسية التى عرف فيها نفر من العلماء أن
يكون اسمها بين الناس « حوتللو » ، فنقلوه
« إلى حوط الله » .

ويبدو لى أن العرب وأن غير العرب من
الشعوب الأعرابية قد سموا « عبداً » اسما مفردا
محلى باللام ، أو غير محلى باللام ؛ من النظر إليه

على أنه علم لا يحتاج فى العادة إلى لام التعريف .
وعندنا من الأمثلة « طرفة بن العبد » ثم « العبد
ابن أبرهة » من مملوك اليمن قبل الإسلام
(ابن الأثير ١ : ١٦٨) . وهنالك أيضا
بنو « عبد بن ثعلبة » و « عبد بن عبد مناف بن
الحارث » و « عبد بن غوث الحميرى »
و « عبد بن قصي » وغيرهم .

وكلمة « عبد » هذه تأتى فى الأسماء ،
وفى اللغة العربية الفصيحة ، على صيغ مختلفة
نحو عبد وعبدة (ولا أحسب أن التاء المقبوضة
هنا للتأنيث) ، ثم عابد وعباد وعبود وعبدون
وعبادة . أما « عبده » بالهاء ، فليست من
الأصل ولا هى ضمير فى مثل قولنا : هو
عبد الله وابن عبده ، ولو كانت كذلك لسمى
العرب أبناءهم « عبده » ولم يحتاجوا إلى أن
يسموهم — إذا هم شاءوا — عبد الرب أو عبد
ربه . وإن الذين نقلوا منا أسماءهم من الواو
فى « عبدو » إلى الهاء قد ظنوا أنهم بذلك
يردون هذا الاسم من لفظه العامى إلى لفظه
الفصيح . إن الواو هنا فى « عبدو » علامة
لرفع (إذا نحن أخذناها من العربية القديمة)
أو هى علامة للتعريف (إذا نحن استعرتها
من اللغة الآرامية شقيقة اللغة العربية) .

إن عدداً من اللغات (كالآرامية والفارسية
واللاتينية) ليس فيها علامة بارزة للتعريف .
وتقوم الألف فى ختام الأسماء الآرامية مقام
لام التعريف عندنا ؛ إذ أن هذه « الألف »
تسقط فى اللغة الآرامية فى التركيب الإضافى

لمعنوى (أن منه اسم إلى اسم) ، كما تسقط لام التعريف من المضاف عندنا في الإضافة المعنوية أيضاً . ونحن نعرف ذلك من قرينة ملسوحة في الاسم الآرامى « عبدا » ، وهو من القديسين عندهم . هذا الاسم يكتب بالألف الطويلة وبلفظ أيضاً بالألف عند المشاركة (الآراميين الشرقيين : سكان الشام الداخلية والعراق) . أما الآراميون الغربيون (والذين يقال لهم : السريان من أهل شواطئ الشام) فإنهم يلفظون هذا الاسم بالواو المفخمة : إن هذا الاسم (وهذا موضع القرينة) إذا هو نقل إلى اللغة اليونانية كتب « عبدون » (بالتفخيم) ، مما يدل - في كل حال - على أن هذه الألف في « عبدا » زائدة ، ولعلها تقوم هنا مقام لام التعريف (عند العرب) أو لعلها تقابل في اللغة اليونانية حالة من حالات الإعراب التي وصلت إلينا في اسم الفيلسوف اليوناني فلاطون أو أفلاطون أو أفلاطون (بضم مختزل أو ممال وبالتفخيم في الحالتين) .

ويبدو أيضاً أن اللغات الأعربية قد فقدت الإعراب في زمن متقدم ، ذلك الإعراب الذي كان بالحروف ثم انتقل إلى العربية بالحركات ، إلا في كلمات نادرة . وقريب من ذلك ما حدث في اللغات الأوربية . إن الإعراب سقط في اللغات الأوربية الجنوبية والغربية وكذلك في معظم اللغات الشمالية (كالألمانية والدنمركية الأسوجية والنرويجية والإيسلندية) .

وورثت اللغة بضع كلمات - سبعة عدداً - لا تزال تعرب بالأحرف ، منها ، كما جاء في الألفية :

أب أخ حتم فو ذو هن
والنقص في هذا الأخير أحسن

ثم كلمة « امرؤ » :
ثم وصل إلينا أيضاً عدد من أسماء الأشخاص فيها بقية من ذلك الإعراب بالحروف منها : معن وعمرو وعبدو وفضلو . أما « معن » فلحقت لفظاً بالأسماء المعربة بالحركات : وأما « فضلو » فلا يزال العامة والفصحاء عندنا يلفظونها بالواو لا بالضم فحسب ، وأما « عبدو » فقد احتال نفر منا فكتبوها بالهاء ، وبقيت « عمرو » فقالوا : إن الواو هنا للتفريق في الكتابة بينها وبين « عمر » . فلماذا لم يفرقوا بمثل هذه الواو بين زهر وزهر ، وقمر وقمر إلخ ؟ والواقع أن الواو في عمرو بقية من علامات الإعراب مثل كلمة « امرئ » التي أصرت على الاحتفاظ بحالها القديمة ولا تزال تعرب بالحروف وبالحركات معاً في كل حالة من حالات الإعراب : بالواو ثم بالضممة على الراء (في حالة الرفع) ، وبالألف ثم بالفتحة على الراء (في حالة النصب) وبالياء ثم بالكسرة على الراء (في حالة الجر) .

بقي أمر آخر :

أن التاء المقبوضة (أو المربوطة) في « عبدة » ليست للتأنيث ، فلقد تسمى بها رجال منهم عبدة بن رباح الغساني ، وكان

واليا على الجزيرة (شمالي الشام والعراق)
في أواخر الدولة الأموية (ابن الأثير ٥ : ٣٠٩) ،
ومنهم الشاعر الإسلامي عبدة بن الطبيب .
وأما عنتره فأشهر من أن يحتاج إلى إشارة إليه
بملاحظة أو بتعليق . وكذلك تسمى بهذا الاسم
إناث أشهرهن عبدة صاحبة بشار بن برد .

وليس بنا الآن حاجة إلى دراسة صيغ
مثل : عبّاد وعبّود وعبدون وعبادة ؛ لأنها
تخرج بنا عما نحن بسبيله الآن .

رأينا في الأسماء المعبّدة التي مرت أن
المضاف (كلمة «عبد») كان واحدا ثابتا
وأن المضاف إليه كان أحد الأسماء الحسنی
المائة . ثم بدا للناس أن يجعلوا المضاف إليه
واحدا ثم يجعلوا المضاف مختلفا ، يدل على
ما يتخيلونه مما يتمنونه في اسم وليدهم أو
فيما يحبونه في رجالهم (حينما يجعلون من تلك
الأسماء ألقابا) ، نحو : فضل الله ، رزق
الله ، حب الله ، إلخ ، ويبدو أن هذه التسمية
(أو تلك الألقاب) كانت موجودة عند
القدماء ، كما رأينا في اسم «رع مسّو» وفي
اسم «وهب اللات» (وهو ابن الملكة زنوبيا
ملكة تدمر) ولقد كثّر هذا الاسم مرة أو
اللقب مرة أخرى في لفظ « هبة الله » ،
ومعنى الأسماء الثلاثة واحد . ثم تنوع هذا
الاسم بتنوع المضاف ، فكان عندنا : فضل
الله ، رزق الله ، حب الله ، شكر الله ، سعد
الله ، نصر الله ، خير الله ، عون الله ،
حسب الله ، إلخ . ويمكن أن نفهم عددا
الأسماء في تراكيبها الحاضرة على

أنها تركيب إسنادي أو تركيب إضافي فنقول :
رَزَقَ الله (على أنها فعل وفاعل) أو رَزَقُ
الله (على أنها مضاف ومضاف إليه) .

ثم بدا للناس أن يلزموا في المضاف إليه
كلمة الدين وينوعوا المضاف ، وأحب هنا
أن أبدأ بلقب « أسد الدين شيركوه » ، وقد
اتفق أن يكون اللقب (أسد الدين) والاسم
(شيركوه) متقاربين . إن «شير» من الفارسية
معناها « الأسد » ، وكوه في الفارسية أيضا
معناها الجبل . فإذا عرّبنا الاسم قلنا هو
أسد الدين أسد الجبل .

وتفنن الناس في المضاف الذي أضافوا
إليه لفظ « الدين » ، فقالوا : شمس الدين
وبدر الدين وقمر الدين ونجم الدين ، كما
قالوا فخر الدين وعز الدين ونصر الدين
وسعد الدين وكمال الدين وخير الدين وزهر
الدين ونصير الدين وشرف الدين وغير ذلك .
ثم قالوا أيضا « صدر الدين » .

ويبدو أن الذين أحبوا هذه الأسماء
والألقاب كانوا من غير العرب ، وكانوا
يكتفون بأن يلمحوا المعنى العام ولم يلقوا بالآل إلى
ظلال المعاني . فإذا قبلنا أن يكون معنى عز الدين
وناصر الدين ونصير الدين هو معز الدين وناصر
الدين (وهذان تركيبان موجودان أيضا في
الأسماء والألقاب) ، فما معنى شرف الدين
وكمال الدين ؟ أ معنى ذلك أن الشخص
المسمى كان شرفا للدين وكان كمالا للدين
(بعد أن كان الدين ناقصا) أم أن هذا

الشخص المسمى « كمال الدين » يمثل الكمال في الدين ؟ ثم إذا نحن قبلنا أن يكون للدين صدر في الاسم « صدر الدين » أنقصد أن الشخص المسمى يحتل الصدارة في الدين أم نعى أن للدين صدرا فلنصح أنه يجب أن يكون للدين أعضاء أخرى ؟ ثم كيف يكون الإنسان « تاج الدين » أو تاجا للدين ؟ ثم زاد الناس في تفننهم فقالوا : سيف الدولة وفخر الدولة ، كما قالوا : نظام الملك وفخر الملك ، وغير ذلك .

إن هذا التساؤل ينقلنا إلى موضوعين مهمين : إلى تقليد بعض الناس بعضا في الأسماء الرائجة وأسماء المشهورين ، ثم إلى أن الكثيرين من الناس يقصدون لفظ الاسم لا معناه .

يعرف في التاريخ حقب يتوفر الناس فيها على أسماء معينة حتى ليظن الباحث أنه ليس في اللغة سوى هذه الأسماء . في الأجزاء الثلاثة التي ألفتها في تاريخ الأدب في المغرب والأندلس كان الاسمان اللذان يغلبان على كل اسم آخر اسم محمد واسم عبد الله ولم يكثر هذان الاسمان في الأسر المختلفة فحسب ، بل كانا يكثران في الأسرة الواحدة أيضا . لقد كان الرجل وابنه وحفيده ، وابن حفيده وحفيد حفيده ، في كثير من الأحيان يحملون اسم محمد ، ونسقت مرة نسب أديب فقلت : هو محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد (مكررة خمس مرات) ..

ومما زاد صعوبة البحث على أن كل محمد ، في العادة ، كان يسمى ابنه عبد الله ، فأصبح عندنا : أبو محمد محمد بن محمد وأبو محمد عبد الله بن محمد وأبو محمد بن عبد الله ، وغير ذلك من الأسماء وكناها إذا نحن مضينا في المخالفة بين الاسم والكنية ، وهذا يرجع إلى أن نفرا كثيرين كانوا — ولا يزال نفر قليل منهم — يحبون أن يسمعوا أسماءهم هم ينادى بها أبناؤهم .

ولم يقتصر حب التقليد في التسمية على الأسماء الواردة في الأسرة الواحدة ، بل تعدى التقليد إلى الأسماء التي يتسمى بها المشهورون — سواء أكانت تلك الأسماء لأصدقاء أو لأعداء — ففي عام ١٩٥٦ ، بعد أن انتهت الهجمة الأميركية الإسرائيلية على مصر بأثر الإنذار الذي وجهه رئيس المجلس السوفياتي الأعلى نيقولاى بلغانين سمى أحد المعلمين في مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت (وكان اسمه هو أحمد) ابناً له ولد في تلك الأيام «بولغانين» . ثم إن صاحبنا استفاق من وهمه وبذل اسم ابنه هذا . وفي مطلع الاجتياح الإسرائيلي للبنان رزقت امرأة في الجنوب اللبناني مولودا ذكرا فسمته «بيغن» .

وفي العام ١٢٩٣ للهجرة (١٨٧٦ م) جاء إلى عرش بنى عثمان سلطان شهير قدير يدعى عبد الحميد ، فكثرت التسمية باسمه في أقطار العرب جميعا . وبعد الانقلاب

الذى قامت به الوزارة التى كثر أعضاؤها وأنصارها من «الدنما» (بالضم) : اليهود المتسمين بأسماء إسلامية ، وسقط به السلطان القوى عبد الحميد ، وجيء على أثر ذلك بالسلطان الضعيف الضعيف (مكررة مرتين) محمد رشاد ، سنة ١٣٢٦ للهجرة (١٩٠٨م) كثر فى البلاد العربية اسم رشاد . ثم نسيت التسمية بهذا الاسم ، لأن عوام الناس لا يرون فى خلع الأسماء على أولادهم إلا كما يرون فى خلع الألبسة على أبدانهم .

فى العام ١٩٢٠ ولد فى مصر أمير سماه أبواه «فاروقا» ، فاندفع الناس عندنا فى هذه التسمية اندفاعاً كبيراً . ثم هدأت الفورة فقل أن نسمع الآن بطفل جديد يسمى فاروقا — على ما فى هذا الاسم من المعنى ، وعلى ما لهذا الاسم من المجد التاريخى منذ أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولكن الأسماء أيضاً زىّ يشع ثم يخبو لمعانها — عند جماعات من الناس بالسرعة التى انتشر بها ذلك اللامعان .

وفى كثير من الأحيان لا يدرك الناس من الأسماء إلا ما يأخذ بأسماعهم منها . ففى عام ١٩٥٢ ، بعد الانقلاب على الأسرة العلوية فى مصر ، كان النجم اللامع فى مجلس الثورة جمال عبد الناصر ، فكثرت عندنا فى لبنان الإعجاب بهذا الرجل واندفع الناس مدة طويلة فى تسمية أبنائهم باسمه . ولكن القليلين منهم كانوا يسمون أبنائهم «جمالاً» . أما الكثيرة فكانوا يدعون أبنائهم

«عبد الناصر» (مع أن عبد الناصر اسم والد جمال عبد الناصر) . ويبدو أن الجهل فى الناس لا يقتصر عادة على جانب من حياتهم ، بل يغطى جوانب كثيرة منها .

عندنا فى لبنان شارع مطروق مزدحم أطلقت عليه الحكومة اسم «شارع عمر ابن عبد العزيز» غير أن الناس يقولون شارع عبد العزيز :

وهذه الغفلة فى إطلاق الأسماء على المسمين بها لا تظل دائماً بريئة كما رأينا فى عبد الناصر مكان جمال ، وفى اسم عبد العزيز مكان عمر بن عبد العزيز . هنالك آباء لا علم لهم بلسان العرب وتاج العروس يسمون بناتهم «رُحَاب» (بالضم) . وهنالك اسم أوضح معنى من هذا لا أريد ذكره هنا لأننى لا أحب أن أتعرض لتيار السياسة ، مع أنى أجد السباحة فى البحر الخضم وأحمل شهادة فى السباحة من بيروت ومن برلين .

ومن الدلائل على غفلة نفر من الناس فى تسمية أولادهم قلة معرفتهم بمعانى الأسماء وألفاظها . عندنا فى بيروت رجل نائب فى مجلس الأمة ووزير سابق وصاحب مركز راتب فى الجامعة . لهذا الرجل ابن سماه «إيهابا» (بالياء بعد الهمزة) ، مع أن العرب سموا «إيهابا» . وكنت جمعت من أوراق البكالوريا اللبناثية الرسمية (نهاية المرحلة الثانوية) عدداً من الأسماء كتبها أصحابها بأيديهم ، منها (والكلام من ذاكرتى الآن) : أسمى

ولكن الناس يؤخذون عادة بالألفاظ ،
وقلما ألقوا بالا إلى المعاني .

ومن الأسماء الرائجة اليوم بين جماعات
منا هذه الغرائب : فادي ، فادية ، نادين
نورا (بالتفخيم) ، ريم (بالألف الطويلة ،
على أنها عندهم مونث ريم) ، مايا ، وأمثالها :
هذه كلمة في الأسماء المعبّدة وما يتعلق
بها من قرب ، أرجو أن أكون قد كشفت
بها عن جانب يستحق أن يخصصه الباحثون
بمقال أكثر تفصيلا .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان

(بالألف المقصورة) ، سوهيلا (بلام ثم
ألف طويلة في آخرها) ، ثوريا (بالواو
بعد الثاء) ، ليندا (بالألف المطواة) وعندنا
رجل سمى ابنة له «ليندا» ، فسألته مرة :
كيف يتهجى اسم ابنته بالفرنجية ، ففعل
وأخطأ . إن كلمة ليندا من اللغة الأسبانية ،
وهي تكتب بلامين في أولها ، ولم يكن هو
يعرف ذلك ، وأحسب أنه لم يكن يعرف
أن معنى ليندا في الأسبانية «جميلة» .



لغة الخبر الصحفي

للاستاذ سعيد الأفغاني

تنفق

وزارات التربية والتعليم
في العالم العربي مئات

الملايين سنوياً ، لتزود الناشئين بعربية سليمة ، يها يكتبون ويقرؤون ويتحدثون بطلاقة . ومتى صاروا في سن المراهقة انضم إلى آثار المدرسين فيهم أثر الصحافة ، فإما نهضت بلاغتها بمستواهم وإما انحطت به فيما تنشر من ركككات وأخطاء . . . ثم جاء أخيراً الجهاز الإعلامي الجديد : الإذاعة ، فصرنا نلمس في غير ما قطر عربي ضعف بعض المذيعين في ثقافتهم عامة وفي لغتهم العربية خاصة ، شأنهم في ذلك شأن بعض الصحفيين ، حتى صارت الصحافة والإذاعة في بعض الأحيان أداة هدم ، تهدم بالليل كل ما تعب في بنائه المدرسون في النهار ، وطفقت الدول تنفق على الإذاعات والصحافة عشرات الملايين لهدم ما أنفقت في بنائه مئات الملايين .

من هنا كان خطر هذه الأجهزة عظيماً في الخير وفي الشر ، ولقد تصدى عدد من

أولى الغيرة على اللغة للتببيه على أخطاء شائعة منذ مطلع هذا القرن في مقالات متسلسلة في الصحف والمجلات ، نفتت في وقتها ثم جدت غيرها بتأثير الترجمة الحرفية والضعف بالعربية ، حتى لقد يثس بعض الغيّر وقالوا : « لا علاج على الأرض لهذا الوباء » بعد أن قدموا خططا مختلفة للإصلاح لم يستجب لها . أقول هذا وأنا أعلم صحفاً عدة في العالم العربي تولوا بلغاء ، وقاموا على سلامة لغتها ، فصارت مضرب المثل في نشر الفصحى بين العامة والارتفاع بمستواهم . إن الصحافة وكل جهاز إعلامي سلاح ذو حدين منه النفع ومنه الضرر . وأرى أن الإصلاح ممكن وأن العلاج في (ضمير) الصحفي والمذيع ، فهو الذي يسوق صاحبه إلى أن يأخذ نفسه بإتقان لغته وتوخي السلامة لها وأن يقوى فيها بيانه وأدائه ، ولا حاف على الأرض أقوى من (الضمير) .

بهذا التفاؤل أبدأ حديثي عن لغة الصحافة خاصاً منها لغة الخبر (١) فقط .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع في دورته الثامنة والأربعين (الأربعاء ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

(١) استمرت خمساً من نشرات الأخبار من مصلحة الإذاعة بدمشق لتكون الأمثلة منقولة بالحرف .

الخبر أول ما يقصده قارئ الصحيفة أو المستمع إلى الإذاعة . فوجب أن تكون العناية به صوغا وأداء بالغة، من حيث سلامة لغته وجودة أدائه ، وإذا كان لكل فن بلاغته فبلاغة الخبر هي في سرعة وعي القارئ أو السامع له دون عناء ، باللفظ السهل الموجز الخالي من التزويق أو التفخيم خلوه من الابتذال ، وألا يثقل الخبر بالعواطف السلبية ولا الإيجابية . وبعبارة ثانية أن يكون كالخط المستقيم : أقصر مسافة بين نقطتين : مراد الكاتب ووعي السامع أو القارئ . ولهذا أمور تعين عليه وأمر تعيقه .

فما يعين عليه في رأي أمران : قصر الحمل ، ومراعاة فعلية الحملة العربية :

١ - قصر الحمل :

الحمل القصيرة أدعى إلى متابعة الذهن لها بيسر وراحة ، أما الحمل الطويلة فإما أن يضيع المقصود منها على القارئ أو المستمع وإما أن تسبب له - إذا اهتم بالموضوع - شيئا من الإرهاق . وإذا كان الضرر من طول الحملة يسيرا على القارئ في صحيفة لإمكان إعادته القراءة والإمعان فيها فإن المستمع لا سبيل له إلى استعادة الخبر . هاكم مثلا على خبر أذيع ونشر الشهر الماضي :

«دعا وزير الخارجية الإيراني في تصريح أدلى به خلال توقفه في مدريد وهو في

طريقه إلى نيكاراغوا - المشاركين في اجتماعات مكتب التنسيق التابع لمنظمة دول عدم الانحياز - إلى تأييد النضال الشعبي الذي تخوضه نيكاراغوا ضد الاعتداءات السياسية والعسكرية والاقتصادية الذي (كذا) تقوم به الولايات المتحدة ضد نيكاراغوا» (١)

هذا الخبر جملة واحدة بدأت بـ (دعا)، ثم ترابط بعضها ببعض بظروف وحروف جر حتى انتهت . وربما يخفف من هائلتها إعادة الفعل (دعا) قبل قوله (إلى تأييد) الذي فصله عن الفعل (دعا) ٢٢ كلمة، ومع هذا تظل الحملة غير مستساغة الطول .

٢ - فعلية الجملة الخيرية :

تعني الحملة العربية بالحدث قبل المحدث، لذلك كثيرا ما يتصدرها الفعل . وحين تقوم أغراض بلاغية تدعو إلى العناية بالمحدث أولا يقدمونه ، وهذا طبعا غير وارد في الأخبار ؛ لأن الهدف منها اطلاع القراء أو المستمعين على الأحداث الجارية . وقد كثر الخروج على هذه البديهة في الأخبار وأكثر ما تشيع في موجزات الأنباء فقد جاء في النشرة السابقة : « الرفيق فلان . . . (وبعد ثماني كلمات) يقول في جريدة النهار . . . » ولو بدأ بالفعل (قال الرفيق . . . في جريدة النهار) كان أقرب إلى طبع العربية، ولعل إلف الترجمة الحرفية السريعة مسؤول إلى حد ما عن تجاوز السليقة السليمة في مثل هذا.

ذلك بعض ما يعين على بلاغة الخبر ، أوحى به قرائتي لخمس نشرات حديثة ، من ما تراكم في ذكرائي من أمثال لها في غير قطر عربي . وأما ما يعيق هذه البلاغة - بلاغة الخبر - فأمر منها

١ - التلوث بآثار الترجمة الحرفية السريعة:

منذ القديم تسرب بين محرري الصحف ضعفاء بالعربية أقوىاء في لغة أجنبية ، وتحرير الصحف - كإعداد الإذاعات - تلاحقه السرعة باستمرار ، فتقذف الجرائد إلى السوق كل يوم كلمات وتراكيب ركيكة ، ويثقفها القراء المحدود والثقافة ، فتشيع حتى ليقع فيها البلغاء من حيث لا يشعرون ، ثم يتصدى لها المطلعون الغير على لغتهم بالتخطئة والإصلاح ، ولو استشار المحررون معجما موثوقا به أو أحد العلماء أو رجعوا إلى مصحح متمكن في صحيفتهم لحف الضرر .

لكن هذا أيضا لا يقوم به إلا متعلم . ولكل زمان أخطاؤه وانحرافات ، وأنا أعرض إلى ما وجدته من ذلك في نشرات الأخبار المذكورة ، ناظما ما تشابه منها تحت عنوان واحد .

٢ - اضطراب الأزمان في الخبر الاعلامي الواحد :

الغفلة عن دقة المدلول الزمني للأفعال في اللغة العربية تربك قارئ الصحيفة :

وفي حين نقل الخبر إلى الجمهور ، على الكاتب التزام صحة التعبير في أسهل أسلوب ، إذ لا مجال فيه للاستعارة والمجاز والأغراض البلاغية ، فلهذا مقامات أخرى .

إنك لتضحك إذا قيل لك : (امس سيزورك فلان) وقد تألف هذا من بعض الأروام الذين ينطقون كلمات بالعربية ، فنستعيدهم الكلام لفهم ما يريدون ، لكننا لا نستطيع أن نقرأ في صحيفة أو نسمع ن إذاعة في بلد عربية مثل هذا الخبر :

« السيد الرئيس يتلقى اليوم مكالمة هاتفية من الرئيس اللبناني » (١) وكانت المكالمة قد تمت قبل كتابة النشرة بساعات فما معنى (يتلقى) هذه ، أو هذا الخبر « قوات الاحتلال الصهيوني تمنع قافلة للجيش اللبناني من العبور » (٢) : ويكون المنع حصل قبل يوم على الأقل . أو تسمع مثلا في إذاعة مسائية : (في الساعة العاشرة من صباح اليوم يستقبل وزير الداخلية وفود المحافظات) . فتتسبم عجا من الفوضى في استعمال الأفعال .

٣ - الفصل بين المتضايفين :

المضاف والمضاف إليه بمنزلة الكلمة الواحدة (٣) ، فلا يفصل بينهما بالمعطوف

(١) النشرة الرابعة المسائية في ١٤ / ١ / ١٩٨٣ (٢) النشرة الثالثة في ظهيرة ٧ / ١ / ١٩٨٣

(٣) لدالتهما على شيء واحد ، وقد أوقعت ضرورة الوزن بعض الشعراء قديما فعطف على المضاف قبل مجيء المضاف إليه ، والضرورات لا يقاس عليها .

وقع ذلك للأعشى في قوله : إلا علالة أو بداهة سابح نهد الجزيرة .

ولأبي زبيد الطائي في قوله : يامن رأى عارضا أسر به بين ذراعين وجهه الأسد

وحرف العطف ؛ فمن الخطأ الذى تروجه الصحف والإذاعات أمثال قولنا : (على مديري ومعلمي المدارس الحضور ..) أو (رفع مديرو وموظفو وعمال شركة كذا مطالبهم إلى وزارتهم ...) والصواب أن يقال : (على مديري المدارس ومعلميها) أو (رفع مديرو شركة كذا وموظفوها وعمالها مطالبهم) من ذلك ما جاء في خبر (تشكل خطورة على ما أسماه أمن ووجود إسرائيل)^(١) ، وفي خبر آخر (ومناقشة وتقويم الأحداث)^(٢) وظاهر أن الصواب (ما أسماه أمن إسرائيل ووجودها) و(مناقشة الأحداث وتقويمها). إن الصحف والإذاعة مسؤولتان عن شيوع هذه الركاقة حتى فسدت تعابير الناشئة والكبار من كثرة التكرار ، فهما ينبه المدرسون إلى الخطأ صباحاً ، تعقبهم في المساء المذيع أو الصحيفة بالخطأ نفسه فيرسيخ الخطأ وينسى الصواب. وما أشك في أن أول من أذاع هذا الخطأ صحفى أو مذيع اشتغل بالترجمة الحرفية عن الفرنسية مثلاً :

٤ - تتابع الإضافات :

فستسيع العربية تتابع إضافتين مثل : (خالد تلميذ مدرسة الميدان) وإن كان قولك (تلميذ في مدرسة الميدان) أسوغ وأخف ، فإن زدت إضافة ثالثة (كتاب

تلميذ مدرسة الميدان) وقع الثقل ، فإن زدت إضافة رابعة فأنت في محبوحة الثقل وغايته ، كما جاء في خبر «إن وزراء دفاع دول معاهدة وارسو سيعقدون اجتماعهم»^(٣) وزاد كرم محرر الخبر فأثففتا بخامسة حين قال : «لجنة وزراء دفاع دول معاهدة وارسو تتابع اجتماعاتها في براغ» .

ولو فصل هذه القناني الخمس المركز بعضها فوق بعض عمودياً فقال (لجنة وزراء الدفاع لدول معاهدة وارسو) لزال المحذور ، فإذا كانت الترجمة الحرفية هي التي جنت على المحرر لأن الخبر مترجم فما عذره في قوله (....) يصدر مرسوماً بتحديد موعد إجراء انتخابات مجالس المحافظات ...) (٤) فهل هذا مترجم أيضاً ؟ للترجمة الحرفية بلاء على ملكة المترجم بحيث لا تمضى على معاناته لها مدة حتى تفسد ملكته ويقضى على أصالتها . وله أن يستغنى عن كلمة (إجراء) لعدم ضرورتها فيقول (.. مرسوماً بتحديد موعد لانتخابات مجالس المحافظات) إذاً لأراج واستراح وعافى الناس من الركاقة . ومثل ذلك ما جاء في خبر (أمين سر منظمة طلاب حرب التحرير) (٥) .

(٢) النشرة الرابعة مساء ١١/١/١٩٨٣

(١٠) النشرة الثالثة في ظهيرة ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشرة الثالثة في ظهيرة ٧ / ١ / ١٩٨٣

(٥) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

(٤) موجز النشرة الأولى في صباح ١٠ / ١ / ١٩٨٣

ه - عدوى الخطأ :

مضى على بعض الأقطار العربية عشرات السنين تتداول مصطلحات عربية صحيحة لمقابلاتها الأجنبية ، ثم سرت إليها عدوى من غيرها الذي ما يزال مبقيا على ركازات المترجمين :

من ذلك قولهم أمين عام التنظيم ، مدير عام السكك الحديدية ، وهذا أشنع تركيبا من تتابع الإضافات ؛ إذ ليس في التركيب إلا إضافتان وهذا ليس بمستنكر ، إنما المستنكر إضافة كلمة (عام) النكرة إلى (التنظيم) وإلى (السكك) إذ مامعنى (عام التنظيم) و(عام السكك) ؟ إن الإضافة تكون لمعنى وهذه لا معنى لها ، فليس شيء اسمه (عام التنظيم) ولا (عام السكك) فحين تقول (أمين وزارة الداخلية) مثلا تدرك أن لكل من الإضافتين معنى مفهوماً (وزارة الداخلية) واضحة المعنى، وكذلك (أمين وزارة الداخلية) ، أما حين تقحم بينهما كلمة (عام) فيسقط التعبير لأن (عام وزارة الداخلية) لا مفهوم له ولا يدل على شيء . وهذا لحن وركعة تسربا إلى بعض الأقطار حديثا ، منع أن الصواب ما كانت درجت عليه من قولها (الأمين العام لوزارة الداخلية) وهو التركيب العربي السائغ الواضح الدلالة الذي كنا نستعمله منذ أزمان في غدد من الأقطار . وما أظن أني سمعت مثل هذه اللجنة النابية إلا من قريب في إذاعة الأردن وسورية . والأمل

أن نلتزم السلامة التي كنا عليها فنقول (الأمين العام لوزارة الداخلية) و(المدير العام للسكك الحديدية) :

ومما وقع فيه العدوى أيضا كلمة (كادر وكوادر) ، فنذ أكثر من أربعين عاما نستعمل كلمة (ملاك وملاكات) لأجهزة الدولة والمؤسسات ، فلاك وزارة أو شركة مجموع الدرجات فيها لموظفيها ولعدددهم فنقول مثلا (ملاك وزارة العدل ممثلا قاضي صالح وممثلا قاضي بداية واستئناف وتميزه وخمسون مفتشا وخمسة كاتب من درجة كذا و . . .) ووقعت النكسة من سنوات قريبة فصرنا نسمع من بعض الصحفيين والإذاعات ؛ (كادر وكوادر) الفرنسية بينما لا يزال الاسم الرسمي كلمة (ملاك) ، جاهلين ما قطعته بلادهم من خطوات ، كذلك عاد إلى الظهور - بدل الاتفاقات - الكلمة الأجنبية (بروتوكولات) على سماجة اللفظة وثقافتها . وكنت لا تقرأ في الصحف إلا (مديرين) جمعا للمدير ، فأخذ بعضهم في الصحف والإذاعات يقول (مديراء) وهو جمع خطأ جدا ، إذ لا نقول في جمع مشير مشراء ولا في جمع معيد معداء ، وسألنا صاحب الجريدة مرة عن كتبها في جريدته فامتعض وقال : هو مسجل ويتطوع أحيانا في إعانة بعض المحررين . . . وكانت إذاعة دمشق وصحفها منذ إنشائها ، حتى الآن تقول (سينشأ الضباب صباحا) ، ثم تسرب إليها في فترة قصيرة كلمة (الشبورة) بدل (الضباب) وهي من دارجة بعض قرى لبنان

ثم رجعت كلمة (الضباب) بفضل يقظة مسؤول فيما أقدر . أكتب الله علينا أن يقود مخطئنا المصيب ؟ .

وجاء في نشرة واحدة مرة (أذاع راديو بيروت) وفي نشرات بعدها (قالت إذاعة بيروت) أهناك اتجاهان في إذاعة واحدة ؟ أحدهما يقول : إذاعة بيروت ، والآخر يقول : راديو بيروت ؟ .

مازلت أقول إن (الضمير) أشد ما نحتاج إليه في أعمالنا .

٦ - كلمات تدل على غير المقصود منها :

جاء في نشرة صباحية في ٩ / ١ / ١٩٨٣ (ليقوموا بواجباتهم) والكاتب يريد (بالراجب عليهم) ، واجبي ما يجب لي عليك ، والواجب على ما ينبغي على القيام به تجاه غيري والفرق بينهما جلي .

وجاء في نشرة أخرى « ما سبق للعرب أن أقروه في سابق اجتماعاتهم » (١) اللفظ يدل على ما سبق اجتماعاتهم ، وهم لا يريدون هذا ، بل يريدون ما قروره في اجتماعاتهم السابقة ، وفرق ظاهر بين التركيبين .

وجاء فيها أيضا « وقد فشلت سلطات الحكم العسكري الصهيوني في مساومته » . وهم يريدون (وقد أخفقت) ، لأن معنى

الفشل : الضعف ، ومعنى الإخفاق الخيبة وعدم النجاح ، والفرق بينهما واضح :

وجاء في خبر آخر قولهم (إن التضخم المالي سيرتفع بمعدل ١,٤ بالمئة عن نفس المعدل في التضخم خلال العام الفائت (٢)) .

كلمة نفس لها معنيان : الأول واحدة من النفوس ، والثاني : التوكيد ، فأما المعنى الأول فتقدم فيه كلمة (نفس) تقول : (نفس الرجل طيبة) وفي المعنى الثاني : التوكيد ، يجب أن تتأخر (نفس) حتما ، تقول (رأيت الرجل نفسه) ، وفرق كبير بين (نفس الرجل) و (الرجل نفسه) وتقديم المؤكّد على المؤكّد لحن تسرب من الترجمة الحرفية وعدم الانتباه إلى اختلاف اللغات في استعمالاتها . والصواب أن يقال (سيرتفع بمعدل ١,٤ في المئة على المعدل نفسه خلال العام الفائت) .

أما قولهم : وهذا إن دل على شيء فهو يدل على اهتمامنا : فهو تركيب درج منذ سنوات وهو مترجم حرفيا عن تركيب أجنبي يوردون أمثاله خطأ في مقام تقوية الدلالة على شيء ما وهو هنا الاهتمام . والذي ينعم النظر في التركيب يجده على العكس ، فهو يعني أن هذا لا يدل على شيء ، فإن كان فيه دلالة على شيء ما ؛ فرضا - فهو يدل على الاهتمام . وهذا مع ركبته مضعف للمعنى المراد ،

(٢) النشرة الأولى في ٧ / ١ / ١٩٨٣

(١) الثالثة في ١٠ / ١ / ١٩٨٣

والصواب إسقاط الجمل الشرطية كلها بحيث يبقى (وهذا يدل على اهتمامنا) ، فإن أردنا الحصر قلنا (وهذا إنما يدل على اهتمامنا) .

٧ - متفرقات مما يشيع الآن في الصحف والإذاعة :

أتكلم هنا على خمس كلمات لا يجوز إغفال التنبيه عليها لتسربها إلى الخاصة أيضا فهي من الخطأ الحديث :

يتمركزون ويتمحورون : « يتمركزون »^(١) فيها « في العربية (يركزون) ولا داعي إلى إقحام الميم ثم الاشتقاق منها فليست من أصل الكلمة .

وفي خبر^(٢) : (دعا إلى نبذ التمحور حول الأنباء القطرية) هذه أبشع من الأولى ومعناها غير صحيح ، هم يريدون معنى (يدورون حول الأنباء القطرية) وأتوقع أن يتجنب الإعلاميون هذه الركة ، حفاظا على لغة الصغار والكبار حتى العلماء منهم ، فإن التكرار الكثير للفظ المهجين على السمع يزلقه على ألسنتهم من حيث لا يشعرون ولا يريدون .

أكد على :

وجاء في خبر واحد (. . .) التي أكدت عليها المؤتمرات . . . يؤكد يوميا على التزامه^(٣) يتكرر هذا اللحن في كل صحيفة

ونشرة تقريبا فيصعب إحصاؤه ، والجملة السابقتان من خبر واحد وقد مل المصلحون من الإشارة إلى هذا اللحن ، فالفعل (أكد) ينصب مفعوله بنفسه ، وإقحام (على) بعده هجنة قبيحة ، وتكرارها هو الذي أشاعها ، والصواب أن نقول (أكدتها المؤتمرات) و (يؤكد يوميا التزامه) أي بإسقاط (على) بعده (يؤكد) .

أي :

في خبر « لم يتقرر بعد عقد أي قمة »^(٤) « منعت دخول أي طالب »^(٥) « تعارض أي علاقة مع الكيان الصهيوني »^(٦) هذه الاستعمالات لم تقتصر على الصحف والإذاعة ، بل عمت بها البلوى حتى تسربت إلى الكتب المدرسية والثقافية بل إلى اللغة الدارجة ، التي يتفصح بها ، وصارت كالوباء الذي عم وطم ، وأصلها الترجمة الحرفية الحاطئة لـ (Any)

الإنكليزية ، وهذا المعنى لا ينطبق على (أي) العربية التي حصر استعمالها في الاستفهام والشرط والموصولية والكمالية . والكلمة الصحيحة التي يجب أن تحل مكانها هي كلمة (كل) قبل المضاف إليها أو كلمة (ما) الدالة على التنكير بعدها فنقول (لم يتقرر بعد عقد قمة ما) ، « منعت دخول كل طالب » ، « تعارض كل علاقة مع الكيان الصهيوني » .

(٢) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

(٤) النشرة الثالثة في ٧ / ١ / ١٩٨٣

(١) النشرة الأولى في ١٠ / ١ / ١٩٨٣

(٣) النشرة الأولى في ٢٠ / ١ / ١٩٨٣

(٥ ، ٦) النشرة الرابعة في ١١ / ١ / ١٩٨٣

مع :

كلمة (مع) تأتي بعد جملة تامة الدلالة وتعني مصاحبة ما قبلها لما بعدها ، فحجيتها قبل أن تتم الجملة هو محط الإنكار . وفي العربية أفعال تدل بطبيعتها على المشاركة ولا يأتي فاعلها واحداً ، بل متعدداً مثل (اجتمع ، اتفق ، تشارك) تقول : اتفق سليم وخالد ، واجتمع البائع والسمسار ، تشارك المجتتمعون ، فإن قلت (اتفق سليم) كان قولك غير جملة ، لأن الفاعل لم يستوف بعد ، ولا تأتي هنا كلمة (مع) البتة بل لا بد من معطوف بالواو فنقول (اتفق سليم وخالد) . وعلى هذا فقول بعضهم (اتفق سليم مع خالده) لحن غير جائز . جاء في الأخبار هذه الحمل (وكان قد اجتمع مساء أمس مع السفير الأمريكي)^(١) والصواب (اجتمع هو والسفير) أو (اجتمع بالسفير) وجاء أيضاً : «الالتقاء مع المسؤولين لعقد اجتماعات مع المسؤولين»^(٢) والصواب (للقاء المسؤولين ... لعقد اجتماعات بهم) . وأعجب مما تقدم خبر جاء فيه «قال وزير الخارجية الإيراني : إن حرب بلاده مع العراق هي حرب دفاعية»^(٣) أكانت إيران والعراق تحاربان معاً في صف واحد حتى نقول (مع) ؟ هذا ما يفيد الخبر عربياً . إن المكان هنا لحرف (اللام) لا (مع)

التي عكست المعنى : والصواب : «إن حرب بلاده للعراق هي حرب دفاعية» . كذلك قولهم (اتفقت إنكلترا مع فرنسا) خطأ لأن (اتفقت إنكلترا) ليست جملة فلا تأتي بعدها (مع) ، و(اتفق) فعل مشاركة ينبغي أن يكون فاعله متعدداً ، والصواب (اتفقت إنكلترا وفرنسا) .

هذا :

تكثر كلمة هذا في الأخبار والإذاعات والبيانات ، مفردة مبتدأ لا خبر له ، بل لا معنى للكلمة البتة ، وحتى الآن لا نعلم المراد منها ، ولا خبر لها قد يفهم من قرينة أو كلام سابق . فمن عرف خبرها ومعناها فليفدنا أفاده الله ، هي كالنقطة بين كلامين ، استحدثت قريباً جداً ، فلتسموها (هذا الإذاعية) لا معنى ولا إعراب ، هي صوت والسلام .

وبعد ، فكل منا في مجاله يستطيع إزالة التشويه عن صفحة البيان العربي الناصعة ، وقد أنيط بنا جميعاً -صحفيين ومذيعين وجامعيين ومجمعين ومدرسين ومسؤولين- رفع لواء العربية ووقايتها من كل ضعف ، وضمان المسؤولين عن الصحف وسائر أجهزة الإعلام هي التي تجعل منها أداة هدم أو أداة بناء .

سعيد الأفغاني

عضو المجمع المراسل من سورية

لغة الصحافة في قطر الجزائري

د. محمد بن أحمد بن محمد

أيها العلماء الأعلام والزملاء الكرام .

استجابة للقرار الذي اتخذته هيأتكم الموقرة ، القاضي يجعل موضوع لغة الصحافة خلال العصر الحديث ، موضوعا أساسيا تدور حوله مناقشات دورتنا الحالية ، يسعدني أن أقدم هذه الملاحظات حول صحافتنا العربية بالقطر الجزائري ، وهي ، والحمد لله ، صحافة مزدهرة يانعة سليمة الفكر ، جيدة التحرير ، حاملة قسطها الأوفى في نشر اللغة العربية وإحلالها المقام اللائق بها ، في أرضها ، وبين أهلها وذويها .

ولا تجهلون سادتي الحلة أنه منذ ربع قرن كامل ، كانت الجزائر تخوض معركة الحرب التحريرية الوحيدة في العالم العربي من حيث طولها الذي زاد عن سبع سنوات عجاف ، ومن حيث شدتها وفظاعة وقائعها ، ومن حيث وحشية المستعمر في قمعها ومحاولة القضاء عليها وكذلك من حيث الانقلاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي أحدثته بعد النصر المبين . فمن خرائب الاستعمار الفظيع الذي ملك الأرض وما فوقها وما تحتها ، وجعل ابن البلد

الحر خادما ذليلا حقيرا ، أخرجت دولة مسلمة عربية فتية ، قوية ، محترمة الجانب لوائها مرفوع وكلمتها مسموعة .

إن جزائرنا اليوم ومنذ عشرين سنة فقط ، ذات حكومة مركزية قوية ، يديرها حزب واحد هو الذي قاد الأمة في معركة التحرير الشامل ، فرفع العلم ووطد أركان الاستقلال . وهي ذات مجالس شعبية عديدة ، ولها ميثاق وطني ، ودستور صودق عليهما من طرف الشعب بما يكاد يشبه الإجماع ، وكلاهما يقرر بصراحة أن الإسلام دين الدولة ، وأن العربية هي لغتها الوطنية وأن الاشتراكية هي نظامها الاجتماعي والاقتصادي — والبلاد تسير ضمن هذا الإطار سيرا متواصلا ، فهي ترعى الدين الإسلامي وتحميه . وتنشئ في كل مكان المساجد العديدة الهبة ، وعمما قريب تفتح أبواب الجامعة الإسلامية الكبرى في مدينة قسنطينة ، ثم هي تعلم العربية الفصيحة بلهجتها القرآنية " بيد عن الأربعة ملايين من صبيان الأمة دكورا وإناثا ، أي خمس عدد السكان البالغ ٢٠ مليوناً ، وهي ماضية في تعريب الثانويات والكليات بصفة مستمرة

(*) ألقى في الجلسة الرابعة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ)

الموافق ٢٤ من فبراير سنة ١٩٧٣ م .

وقد تم تعريب عدد كبير منها كالحقوق والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، والعلوم الاجتماعية .

أما الصحافة عندنا فهي تابعة كلها للنظام السياسى الحاكم . نظام حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ، وليست لنا إطلاقا صحف معارضة ، ما دمتنا متفقين على الأسس ، إلا أننا نملك ونستعمل حرية النقد اللاذع والتوجيه الصحيح ، وتشمل الصحافة العربية عندنا ثلاث صحف يومية سليمة التفكير ، جيدة التحرير ، هى : « الشعب » بالعاصمة الجزائر ، و « النصر » بقسنطينة فى شرق البلاد ، و « الجمهورية » بوهـران فى غربها . كما لنا عدد لا يستهان به من المجلات الثقافية والعلمية والأدبية والفنية ، أهمها . المجاهد الأسبوعى ، والأصالة ، والثقافة ، والمرأة الجزائرية والحيش ، ومجلة التاريخ ، ونحو عشر مجلات شهرية أخرى .

أما الكتابة فى هذه الصحف والمجلات فهي — كما سترون — من النثر العربى الفصيح ، ربما تمتاز بالحوودة ، والمتانة ودقة التعبير لا يستعمل من العربية القديمة غريبها^(١) ، بل هو منطلق من البيان القرآنى المدهش ، الذى يدخل الأذن بغير إذن ، ويسمو بالفكر وبالروح معا إلى أعلى الدرجات ، فالصحافة عندنا من حيث التحرير ومن حيث التفكير ، لا تشرف الجزائر وحدها ، بل هى تشرف مغربنا الكبير ، وتشرف عالم العروبة الفسيح .

ولقد رأيت أن أنقل لمجمعكم السعيد نبذا مما تكتبه عندنا مختلف الصحف والمجلات متناولة شتى المواضيع ، لكى تروا سادتى الحلة رأى العين ، سلاسة التحرير ، ودقة التعبير ، ولكى تطلعوا — حفظكم الله — على ما يشغل رأى العام عندنا من مشاكل العرب — وما أكثر مشاكل العرب — ومشاكل العالم ، ومشاكلنا الداخلية الخاصة^(*) .

(١) ولا يستعمل من العامية شيئا .

(*) ولى قبل ذلك ثلاث ملاحظات أود بيانها : أولا : أنى لا أريد من وراء ما سأقدمه لكم ، إطراء للجزائر ، أو تنويه بشأنها كلا . فلست والحمد لله إقلييميا ، إنما أريد أن أقدم لكم صورة حية من صور الكفاح فى بلد كان فرنسى الجنسية واللغة والحكومة ؛ وكانت العربية محرمة الاستعمال فيه ، يعاقب معلمها ومتعلمها إلا ما ندر ، ولم تكن له منذ ربع قرن إلا صحيفة واحدة ، تمثل العروبة والإسلام الصحيح ، هى « البصائر » ، وما أدراك ما هيه . فى عشرين سنة من الاستقلال الشريف ، أصبحت لنا ، وبفضل أبائنا ، هذه الصحف التى ذكرت ؛ ونكتب يوميا وأسبوعيا مثل ما سأقدمه لكم .

ثانيا : أنى إن تكلمت عن الصحف الجزائرية ، فسكأنى أتكلم عن صحف المغرب العربى عامة ، فلغتنا واحدة فى المغرب الأقصى الشقيق المحبوب ، وفى تونس العزيزة الغالية . وطريقة تفكيرنا واحدة ، وآمالنا البعيدة واحدة . وجهادنا العنيف فى سبيل الإسلام واللغة والوطن واحد .

ثالثا : تعقيبا على ما جاء فى المحاضرة القيمة المجيدة التى تفضل بها الأستاذ الجليل سعيد الأفغانى بالأمس ، أقول إن كتاب الأخبار فى كل صحفنا ، ربما وقعوا فى نفس الأخطاء اللغوية أو النحوية التى تفضل بذكرها فالصحيفة =

١ - الدين الاسلامي :

تقول صحيفة الجمهورية تحت عنوان «الإسلام قوة وحضارة» .

«لقد كان الدين الإسلامي وما يزال كاسحا للجهل بجميع أشكاله وهو من بين الديانات جميعا أقرب إلى العقل وأكثر تقبلا للتلاؤم مع الإنسان في مغامرة الوجود المتجددة لأنه يعيد عن الهمجية ومظاهر الجهل ومتناسب هو وذكاء الإنسان ؛ لأن العقيدة الإسلامية هي الوحيدة المعروضة دون لبس أو غموض .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الإسلام هو قوة حضارية .

إن الإسلام تحصل على قوة البعث والانبعاث لارتباطه بالواقع في أصوله وجذوره وهو حياة الجماعة ونظامها الاجتماعي ويكفل توزيع الخيرات بالعدل بين الناس وهو التعاون في جميع صوره وأشكاله، هو التعاون بين الضعيف والقوى وعطف الغنى على الفقير ، وأساسه العمل في ظل الحرية

والنظر إلى مستقبل الحضارة والرقى نظرة واقعية. وعندما تعود الحضارة الإسلامية -وهي عائدة لا محالة - فإنها تعود بروح جديدة وطموح . إن العلماء قد فسرُوا الإسلام بشكل يتفق والمصلحة العامة ، وكانوا يستنبطون من القرآن ما ينفع الناس .

وبعد ذلك جاء بعض الزنادقة الذين كانوا يجهلون روح القرآن الحقيقية وبدأت البدع والخرافات الخاطئة التي أبعدتهم عن القانون الإسلامي ، مما جعل الشعوب الإسلامية تعيش في فتن مزقت شملهم وفتحت الأبواب للاستعمار الأجنبي .

إن ما يحتاج إليه العالم الإسلامي اليوم هو إعادة اكتشاف الإسلام كما مورس أيام الخلفاء ، وتطويره كما طوره المجتهدون والعلماء من الرعيل الأول الذين تفهموا روح القرآن الحقيقية .

لأن القرآن الكريم يعلمنا أن الحياة هي عملية خلق متطور وثابت. ولكل جيل الحق

= اليومية تقتضى السرعة في الإنشاء والتجهيز ، وهذا ما يمكن أن يحدث الخلل في السياق العربي المتين ، وكتاب الأخبار في كل الصحف العربية شرقا وغربا ، ليسوا جامعيين ، ولا مجمعين بل هم في الغالب من المترجمين و كتاب الطبقة الثانية أو الثالثة . ونرجو أن يجيء وقت قريب يستريح فيه قراء العربية من هذه التراكمات النابتة .

رابعا : ليست لنا في الجزائر ولا في أي قطر من أقطار المغرب العربي صحف باللغة العامية . وليست لنا في كل بلادنا المغربية ، دعوة لإحلال العامية مكان العربية الفصحى . بل إننا جميعا نجاهد الجهاد الكبير في سبيل رفعة العربية وانتشارها ، حتى تصبح قريبا بحول الله ، لغة العامة والخاصة .

بعد هذا أعود للموضوع فأقدم لكم شيئا مما جاء في الصحف الجزائرية عن مختلف الشؤون .

في حل مشكلاته الخاصة، فعلى الخليل الحالي من المسلمين أن يتفهم روح القرآن الحقيقية وفق مبادئه العامة، في ضوء تجربتهم المريرة وشروط كبيرة في العمل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، من معاني الرقي والتقدم من أجل سعادة الإنسانية. ولكي يستطيع المسلم أن يحقق ذلك عليه أن يرسى عقائده بشجاعته وبقوته المعنوية لتجاوز السلبيات التي كانت وما زالت سببا في تدهور أمته العظيمة، بعد انتصار ساحق على كل مظاهر السلبية، وبعيد كل التطور والتقدم الذي عرفته الأمم والشعوب التي ارتضت الإسلام ديناً، وتركيز الضوء على سلبياتنا التي ينبغي محاربتها نستطيع أن نقول إن الشرائع الدينية المتعلقة بتنظيم المجتمع لم تكن جامدة كما يعتقد الغربيون بل كانت تتطور يوما بعد يوم. ومن المؤكد أن حالة الشعوب الإسلامية أصبحت مريعة لكن ذلك لا يعود إلى الإسلام وإنما عكس ذلك؛ فجمود المسلمين اليوم سببه التخلي عن الشرائع الإسلامية والتباعد عنها أكثر فأكثر.

وهذا يعني العودة إليه لأن هذه الأمم لا تصلح إلا بما صلح به أولها كما قال مالك رضي الله عنه.

٢ - مقاومة الإباحية والتحلل :

تقول «الجمهورية» أيضاً :

«في قاموس الخير نجد كل معاني العظمة والكرامة والوطنية والجهاد والإيثار

ونكران الذات واحترام القيم، والتقاليد والعادات الحسنة.

وفي قاموس الشر نجد كل معاني الانحلال والإباحية والخبث والخيانة وحب الذات، والتنكر للقيم والعادات الحسنة، ونشر العادات السيئة، وفي قاموس الشر يكمن التفكك، الذي يجد صاحبه نفسه جاهلاً كل شيء عن مجتمعه، وإن عرفه فإنه يسعى إلى تقديمه بصورة لا تتفق والواقع، لأن حب الذات وعبادتها يدعو دائماً صاحبه للقيام بأعمال منافية للمجتمع، وما دام الأمر يتعلق بكسب مادي فإن هؤلاء يجتهدون ولو بالافتراء على الواقع، وتزلفا وقربى، للوصول إلى الهدف.

فهل، حقاً، أصبحت الشهرة الأدبية تتم اليوم عن طريق كتابة روايات إباحية، وكتابات لا أخلاقية؟ يبدو أن هذه الشهرة وإن تحققت لأن «الموضة» كذلك، فهي شهرة زائفة، وستذهب أدراج الرياح، كما ذهبت شهرة الحلاج وغير الحلاج.

ذلك أن أدب العورات، الذي يحاول البعض نشره تقليداً لموجة غربية، هو أدب بائد لا محالة، فعندما يجمع هذا الأدب في جملة واحدة، بين كلمات كهذه «كان يمارس العادة —» «— وكان معلم قرآن وعضواً في جمعية العلماء» فهذا

يعنى أن كلاما كهذا هو إلى الهذيان أقرب منه إلى الأدب ، وقد يستمر صاحبه في الهذيان حتى يقول سخفا ، لا شعرا ولا أدبا .

قد يقولون في كل من كتب مثل تلك الفقرة ، أو فيمن يريد إشاعة أدب « العورات » هو أديب ثورى وتقدمى، وهذا يدعوننا إلى الترحم على الثورية ، إذا كان ذاك مقياسها ، وعلى التقدمية ، إذا كانت الإباحية معيارها ؛ لأننا سنصف كل من قال « وكان صديقا لعلى أبو طالب » — هكذا — والغلط من عندهم ، سنصفه بالثورية كما قد يصفون كل من ندب بالإباحية وأدبها بالرجعية والسلفية وقراء « الكتب الصفراء » كما جرت العادة من قبل .

لكن ، إذا كان رفض أدب الإباحية ، يعنى بالضرورة إلصاق تهمة الرجعية ، فهل من الثورية ، أن تقول أديبة : وفى جلسة سمر التقيت فيها بنزار قباني ، على كؤوس

وبعد ، لقد حمت حول الموضوع ، ولم أدخل في صميمه . لأنه ليس من اختصاص الصفحة الخوض في مثل هذا الموضوع ، ومع ذلك فإننا نؤكد ، أن معلم القرآن سيطر خادما لهذا الكتاب العظيم وستبقى الجزائر

تذكر بوفاء مآثر رجال جمعية العلماء . وسيظل على بن أبى طالب — رضى الله عنه — رمز البطولة والفصاحة ، لو فكك بعضهم نفسه إلى أجزاء ، ثم التحم بأجزاء أخرى من ذوى أدب العورات والمعرة ، لما استطاع أن يأتى بحديث من مروياته أو خطبة من خطبه .

لقد قلنا شيئا ، وبقيت أشياء ، نرجو مخلصين ، من هؤلاء الإباحيين ، عدم الخوض فيها لأن ذلك يعنى نشر الغسيل على الملأ ، ولأن قصص المحون والفساد أصبحت ممجوجة ، ولو طعمت بأغراض ومجتمع يسعى إلى بناء ذاته ومستقبله ، انطلاقا من واقعه ؛ فهو مجتمع يسمو عن قصص السخف والدعارة والانحلال .

ومن هنا ، تبدو بعض القصص والروايات المتداولة والمعلن عنها للإشهار ، روايات لا قيمة لها أخلاقيا ، على الأقل من وجهة نظرى . أما فنيا ، فقد كان لها الحظ في تقييمها من طرف غيرنا . وكان لها الحظ أيضا . عندما وصفت بالثورية ، وأصحابها بالثوريين . وكما قلت ، فكم هى مغبونة تلك الكلمات وخاصة في الوطن العربى ، ومسكين من وصف بها تملقا وزلفى ، لأنها أوصاف ما أريد بها وجه الله .

وأخيرا ، لقد كان من المفروض أن
تنشر هذه الكلمة في الصفحة التي نشر
فيها التفكك ، ويأني الله ورسوله إلا أن
تنشر في رحاب الكتاب والسنة ، لأنها
كلمة خير ، أما الذين يزعمون أن الكتابات
الإسلامية ليست أدبا ، فنشكر الله على ذلك ،
لكن هؤلاء ينسون أنهم لا يزالون عالمة
على تلك الكتب التي هي محور رسالات
جماعية ، وستبقى كذلك .

٣ - أما في ميدان السياسة العربية ، فتكتب
صحيفة الشعب ، تحت عنوان :

(لبنان يدفع)

«تحدث التقارير الصحفية عن المأزق
الذي آلت إليه المفاوضات الثلاثية ، وصعوبة
التوفيق بين المطالب اللبنانية في إجلاء الاحتلال
الإسرائيلي عن لبنان ، وأبين الأطماع
الصهيونية في تكريس نتائج الاحتلال لهذا
البلد .

وهذه الصعوبات الطارئة لم تفاجئ بطبيعة
الحال إلا أولئك الذين كانوا يتخيلون
أن قوات الاحتلال الصهيوني دخلت إلى
لبنان لمجرد القيام بحملة تأديبية ضد قوات
المقاومة الفلسطينية ، وأنها ستسحب من تلقاء
نفسها بمجرد تحقيق هذا الهدف .

والواقع أن التذرع بتصفية وجسود
المقاومة الفلسطينية من لبنان لم يكن إلا
شجرة من غابة الأطماع الصهيونية التاريخية
في لبنان .

إن ما عرضته إسرائيل في جلسات المفاوضات
المتنقلة بين « خلدة » و « كريات شمونة »
يوضح بكل بساطة أنها لا تريد فقط تحويل
لبنان إلى بلد منزوع السلاح نهائيا ، ولكن
تحويله إلى مجرد بلد تابع ومجال حيوى
واستراتيجى أيضا .

ولكن في مقابل هذا الإصرار الصهيونى
على تحقيق جميع أطماعه والتهام لبنان
سياسيا وعسكريا ، ماذا يملك لبنان المحطم
الجريح المحتل لرفض إدارة المحتل الذى
يجم على نصف أرضه عسكريا وسياسيا .

لا شيء غير التفرج العربى الذى تركه
يواجه مصيره المحتوم ألا وهو الاستسلام
أو المحو من الخارطة السياسية للمنطقة . أما ما
يقال عن الاستياء الأمريكى من التصلب
الصهيونى فى المفاوضات فليس إلا مجرد
مسرحية ، وذرا للرماد فى العيون ، وإسرائيل
دخلت إلى لبنان بإرادة أمريكية وهى
باقية بإرادة أمريكية ومطالبها جزء لا
يتجزأ من الإرادة الأمريكية ومصالحها
من صميم المصالح الأمريكية .

إن الأمل فى قدرة أمريكا على الضغط
على إسرائيل هو بمثابة انتظار الضغط من
شارون على بيغن أو العكس .

إن مهزلة الاستياء الأمريكى مهزلة من
فصل واحد ، وستنتهى هذه المهزلة بإعلان
عجز أمريكا انطلاقا من التجربة بأن الضغط
أن يودى إلا إلى نتائج عكسية ، وسيطلب

من لبنان—مادام لا يستطيع مواصلة الرفض—
دفع ثمن التصلب الصهيوني والعجز الأمريكي
والغياب العربي .

وفي نفس الموضوع ، تكتب مجلة
المجاهد ، وهي اللسان الرسمي لجهة التحرير
الجزائري ، تحت عنوان :

« الكلام الرديء ، في الزمان الرديء » :
« ما بعد بيروت ، جملة ما تزال تتصدر
عناوين الصحف ، ولا يكاد يخلو منها أو
من مضمونها أى تحليل ، بصرف النظر عن
هوية الكاتب ونيته .

نقرأ ذلك ونسمعه كأن بيروت
نهضت من كبوتها واستعادت عافيتها أو كأن
ما أصابها ، وأصاب أهلها ، لا يزيد عن
كونه حادثا من الحوادث التى تقع فى هذه
المدينة أو تلك ، بين حين وآخر لسبب من
الأسباب العادية .

نقول ذلك ونتعود على سماعه ، وكأن
الاجتياح الصهيوني الهمجى ، المدعوم فكرا
وعملا ، من قبل الإمبريالية الأمريكية ، الذى
حصد الرؤوس ، وزرع الدمار ، وخرّب
النفوس ، وما يزال شبحه الرهيب يلقى
بظله الأسود على ربوع لبنان . . يلاحق
الشكالى والأيتام . . كأن شيئا من ذلك
كله لم يحدث ، وكأن بيروت ليست هى
لبنان ، وليست أول عاصمة عربية مستقلة ،
تطوّاها أقدام الصهاينة ، منذ بدأ الصراع
العربي الإسرائيلي المرير .

إن هذا الـ (ما بعد) الذى أصبح محور
ردود أفعالنا ، تجب مقاومته لأنه لا يخلو
من مضامين ، هى فى الأساس من إحياء
العدو .

إننا نقول ذلك ، وكأنه ما كان ولم يعد
يهمنا من أمر بيروت إلا خروج المقاومة
وما دمنا قد حققنا ذلك ، فلا يحق لنا أن
نفكر فى بيروت ، ولا فيما لحق شعبها ، بل
من اللائق أن ننتظر (ما بعد) أخرى ،
تكون منطلقا لما نقول ونردد . إن رجحان
كفة العدو طوال حقبة الصراع العربي
الإسرائيلي لا يعود فحسب إلى تفوقه فى امتلاك
أحدث الأسلحة ، وتحكمه فى كيفية استعمالها .
ولهذا نراه عمدا ، وما يزال ، إلى شل الإرادة
العربية بالحرب النفسية ، يمهّد بها لكل
عدوان ، ويؤكد بها كل انتصار عقب
حرب ١٩٦٧ . وقف موشى ديان على حافة
قناة السويس ، وقال للصحفيين ، مزهوا
بانتصارات جيشه : (لن تقوم للعرب بعد
اليوم قائمة . . ولن يفكروا فى شن حرب
على إسرائيل . . إننا اليوم نسكن فى عظامهم !) .

ولما انصرف ، انفرّد به أحد الصحفيين
وقال له : هل تعتقد حقا أن إسرائيل
انتصرت وضمنت السلام أمام هذا البحر
العربي الذى يعد بالملايين ، ويزخر
بالإمكانيات ؟

التفت ديان إلى محدثه ، ورد عليه
قائلا فى شبه تهديد : يا عزيزى هناك جنرال

واحد - لا أحد غيره - قادر على قهر العرب والانتصار عليهم إنه جنرال اسمه اليأس !!

وهذه الـ (ما بعد) هي إحدى بنات هذا الجنرال ، وما أكثر أخواتها ، التي دسها العدو في نفوسنا وشغلنا بها لكي لا نفكر في فلسطين ١٩٤٨ ولكي ننسى حريق المسجد الأقصى ، وأصبحت القدس بكاملها عاصمة للعدو ، وحتى لا ننشغل (بثورة الحجارة) التي عمت الضفة والقطاع ، فجعلنا باجتياح الجنوب ومحاصرة بيروت ، وإخراج المقاومة منها .

لقد تمكن المرض منا وسكن عظامنا ، ولعله لن تطول وقفتنا عند جملة (ما بعد بيروت) وما أحسبني خرجت من أسر الجنرال الذي أشار إليه ديان !!

٤ - في الميدان الاجتماعي :

تقول جريدة «الشعب» :

استعرضت الأخت زهور ونيسي - كاتبة الدولة للشؤون الاجتماعية ، أمام مجلس الوزراء المنعقد صباح أمس الأحد تحت رئاسة الرئيس الشاذلي بن جديد ، رئيس الجمهورية الأمين العام للحزب - الخطوط العريضة للبرنامج المشترك لصالح المعوقين الذي يدخل في إطار تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من السكان سواء على مستوى الوقاية أو إعادة التأهيل والإدماج .

ويؤكد هذا البرنامج للوقاية بين وزارة التخطيط والهيئة العمرانية ووزارة الصحة وكتابة الدولة للشؤون الاجتماعية ، يؤكد المكانة الهامة للمعوقين التي أكدت عليها النصوص الأساسية للبلاد ، كالميثاق الوطني والدستور وقانون الصحة والقانون العام للعامل ، ويدعو ضرورة الحلول المرضية للمشاكل التي يواجهها المعوقون ، والتي تتطلب تدخل الدولة قصد إعداد وتنفيذ برنامج في إمكانه تدعيم السياسة الحالية لصالح هذه الفئة من المواطنين .

وقد تعرض التقرير في البداية إلى الوضعية الحالية للمعوقين مع تصنيف الأنواع المختلفة لهذه الفئة التي يبلغ عددها بحسب تقديرات وزارة الصحة سنة ١٩٧٩ ثمانمئة ألف معوق من بينهم :

٢٠٠ ألف معوق عقلي

٣٠٠ ألف معوق جسدي

٢٠٠ ألف معوق حسي (وهم : الصم - البكم - المكفوفون) .

ويهدف هذا البرنامج الذي يسير في إطار الخطة السنوية (١٩٨٣) لتسطير برنامج لفائدة المعوقين حسيا (وهم : المكفوفون - الصم - البكم) وسوف يتم إنجاز هذا البرنامج كما يلي : - إنجاز ١٦ مدرسة للصم البكم تستوعب كل منها (١٥٠) طفلا ، أي بمجموع ٢٤٠٠ مقعد ، وبفضل هذا الإنجاز سوف ترتفع نسبة المتكويين من ١٢,٥ إلى ٤٣ %

— إنجاز ٨ مدارس خاصة بالمكفوفين تبلغ قدرة استيعابها ١٥٠ مكان، أى توفير ١٢٠٠ منصب للتكوين ، وبذلك سترتفع نسبة التكوين من ٤ إلى ١٦ ٪ ثم توسيع بعض المدارس كمدرسة الشباب الصم البكم بوهران ، وإنشاء ملحق خاص بالفتيات بمدرسة الصم الكائنة بالحراش ، وتهيئة وترميم وتجهيز المؤسسات الموجودة .

بالإضافة إلى هذه العمليات المقررة في إطار برنامج خاص بالبنائيات الجاهزة لسنة ١٩٨٣، هنالك مشروع لإنجاز مدارس لتكوين المختصين ومن بينهما :

— ٣ مدارس لتكوين المختصين في الإعاقة بالبليدة وباتنة ومعسكر .

— ٣ مدارس للمعوقين السمعيين : اثنتان بالجزائر وواحدة بجيجل .

— ٧ مراكز طبية نفسية تربوية : اثنتان منها في الجزائر وواحد على مستوى كل من ولايات قسنطينة ووهران و أم البواقي وعنابة وسعيدة .

— كتبت صحيفة «النصر» :

« إن الله خلق الإنسان ومعه عقله مع يديه ، فإذا لم يستخدم عقله كانت يده أقرب إلى قوائم الأنعام والسوائم . يقف هذا الأخ من قضية تنظيم النسل موقف العداة — يؤكد أن تنظيم النسل لا تقره شريعة ولا يوافقها العقل والمنطق ، وقد أقبح العقل والمنطق ظلما وعدوانا، فالعقل يقول بأن كل جهود

التنمية تلتهمها الزيادة السكانية . والمنطق الإنسانى أدرك منذ القديم أن الإنسان المبدع يساوى عشرة آلاف رجل على حد تعبير « هيراقليطس » . وقد أكدت الشريعة أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

لم يكن العدد في يوم من الأيام هو الحكم الفاصل في تقرير النجاح أو الفشل والنصر أو الهزيمة، والتاريخ يقول : إن حملة العبادلة قد استطاعت هزيمة الملك « حيروديوس » و « جرجير » — كما لقبه العرب — رغم أن النسبة كانت ١ إلى ٦ ، وحملة العبادلة هي أولى الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا .

وفي العصر الحديث استطاعت إسرائيل أن تهزم العرب في كل الحروب رغم أن النسبة كانت ١ إلى ٥٣ .

هـ — وعن «النقد الذاتى» تقول مجلة «المجاهد» :

« إذا كان طموحنا في التقدم مرهونا بما يؤديه الفرد والجماعة في مختلف المرافق، فإن الإشارة إلى بعض السلبيات التي تكبح خطواتنا نحو تحقيق أهدافنا يعد أمرا ضروريا شل :

— عدم احترام الزمن : مما لا شك فيه أن المجتمعات المتقدمة تقدر عامل الزمن وهو سر من أسرار تقدمها، ونحن — للأسف — مازالت عندنا مقولات : قتل الوقت وتضياع

الوقت، وهى مقولات شائعة نستعملها فى حياتنا العملية اليومية دون خجل أو تأنيب ضمير .

— ذهنية البايك : رغم النصوص والقوانين والإجراءات الهادفة إلى جعل العامل مسيراً ومنتجاً مسؤولاً ، فما زالت بقايا عقلية البايك تتحكم فى سلوك وتصرفات قطاع لا بأس به من العمال المسؤولين على السواء ، وهو ما يدل عن قلة إدراك ووعى بالتحويلات التى عرفها مجتمعنا منذ الاستقلال إلى يومنا .

ذلك أن التسيير الاشتراكى للمؤسسات اليوم حقيقة ثابتة لا تحتاج إلى برهان رغم وجود الذهنيات المشار إليها ، والتى ستمحى من أذهان أصحابها كلما ازداد نشاط الحزب ومنظماته الجماهيرية فى أوساط الشعب بمختلف فئاته .

— قلة الوعي السياسى : إن ضعف مستوى الوعي السياسى لدى المواطن يجعله عرضة للإشاعة وتصديقها ، لكونه يفتقر لأدوات تحليل ما يسمع ويشاهد ويعيش ، وهو ما يسهل مهمة أعداء الثورة ويزيد من نفوذهم ؛ لأنهم — كما يقول علماء الإدارة — يمثلون « التنظيم الغير الرسمى » ، أى أن نقدهم للأشياء لا يلزمهم بتصليحها وتسويتها ، وهو ما يجعلهم يركزون على نقائص الأمور دون إظهار جوانبها الإيجابية ، والخطر يكمن فى تأثير نقدهم على المواطن غير الواعى .

هذه بعض المظاهر التى يجب على الحزب ومنظماته الجماهيرية واتحاداته المهنية والثقافية

ووسائل الإعلام بمختلف أشكالها أن يهتموا بها بشكل مكثف ، وحتى تكون هناك صلة دائمة بالعامل فى وحدته والفلاح فى مزرعته والطالب فى كليته من أجل تحقيق شعار المؤتمر الاستثنائى للحزب « من أجل حياة أفضل » والحياة الأفضل لا تكون دون مضاعفة جهودنا الرامية إلى رفع الإنتاج سنة بعد أخرى ، وهى مهمة وواجب كل عامل منا ، عليه أن يلتزم أمام نفسه أولاً بالقيام بواجبه حسب جهده ومقدرته .

٦ - وفى الأدب تقول ((الجمهورية)) :

« وقد أصبح من الضرورى أن يكون الشاعر فناناً وفيلسوفاً فى الوقت نفسه ، وهذا ما تدعو إليه وبإلحاح . فالقنان قلب ، والفيلسوف عقل ، وهما مجتمعان كفيلا أن يخلق الشاعر الحقيقى ،

وبالنسبة للشاعر سمير رايى فهو يتوفر على خاصية الفنان ، ولكنه يفتقر إلى خاصية الفيلسوف صاحب الرؤية الواضحة والموقف الثابت ، والمعين ، وهذا ما لاحظته بعض المتدخلين حين قال : إن القصيدة عند سمير موقف غامض ولكن إمكانية التطور موجودة بدليل أن هذا الشاعر بدأ الكتابة فى وقت متأخر وفى ظرف قصير من الزمن استطاع أن يفرض وجوده بقوة فى الساحة الشعرية .

وقد لاحظ هذا الأخير أن هناك علامات تؤشر على أن سميراً لو استمر فى الكتابة

لوصول إلى إبداع شعري قوى وأصيل، ومن هذه العلامات :

١ - قدرة الشاعر سميح على الإمساك بنبض القصيدة فنيا :

٢ - قدرته على تشكيل الحملة الشعرية المفعمة بالحس اللغوي ، فالشاعر إنما يبدع عن طريق اللغة ، وبفضل « إحساسه اللغوي ».

٣ - للشاعر سميح أذن موسيقية مرهفة الإحساس ، ومن ثم فإن الجانب العروضي - أي الميزان - لديه سليم من الكسور ،

وكما يرى الشاعر زيتلي هذه كلها مؤشرات تدل على أن سميحاً قادر على تطوير أدواته الفنية بغية المزيد من العطاء الشعري الجيد .

وعلى العموم فإن الأمسية - رغم حضور جمهور متواضع - كانت هامة وجدية ، ونتمنى من اتحاد الكتاب أن يواصل مثل هذه النشاطات لاسيما في هذا الزمن ، والبقية تأتي .

٧ - وفي النقب الأدبي تقول « (الجمهورية) » عن رواية ظهرت حديثاً :

اشكالية الرواية :

« يمكن أن نقول : إن نهاية الأمس تطرح سؤال وظيفة الثورة من حيث هي فصل تاريخي في علاقة هذا الفعل بالمجتمع الذي قام فيه، إذ أن الرواية تشدد على العلاقة بين الثورة والقرية ، فالثورة تعيش التاريخ أما القرية فتعيش خارج التاريخ . لهذا يصبح

دور الثورة هو نقل القرية وإنسان القرية من زمن الراحة والسبات إلى زمن الحركة والانطلاق . إن قدرة الثورة على نقل الإنسان من وضع لا تاريخي إلى وضع تاريخي هو الذي يحدد معنى الثورة الحقيقي ، فتحقيق الانتقال هو تحقيق الثورة وغياب هذا الانتقال هو غياب الثورة ، بل يمكن أن نقول أكثر من ذلك ، إن إمكانية تحقيق الفعل التاريخي هي إمكانية ارتباط هذا الفعل بحركة التاريخ وامتلاك آفاق جديدة، ينطبق هذا على الثورة وعلى الدين وعلى الدولة، فالثورة لا تظل ثورة إلا بتطورها المتجدد الذي يحدد مهامها المتجددة، فهي تبدأ بتحرير الأرض، ثم هي تنتهي إن لم تحرر الإنسان من كل أشكال البؤس والحصار ، أي أن الثورة تنتهي عندما تحرر الأرض من المستعمر ثم تنسى تحرير الإنسان من الاقطاع والجهل ، وكذلك حال الدين فالدين لا يمكن أن يلعب دوره التاريخي إلا عندما يرتبط بالأرض والإنسان والهموم اليومية ، فهو دعوة مفتوحة على الدنيا وعلى السماء ، أو دعوة سماوية هدفها تحرير ما هو « دنيوي » . أما خلع الدين عن ما هو (أرضي) وحصره في (السماوي) فقط فإنه طرد للدين من التاريخ ومن مسار الزمن التاريخي ، وما يصدق على الدين يصدق على الدولة ، فارتباط الدولة بالتاريخ هو ارتباطها بوظيفتها في خدمة الإنسان وتحريره ، أما عندما تنقطع عن الإنسان فهي تدور في عالم أجهزتها الرسمية وبذلك تنسى التاريخ وينساها التاريخ .

٩ - أما في الميدان العلمي ، فتقول صحيفة الشعب في اكتشاف (فيروس) السرطان :

«لقد أتيت لنا أن نكتشف بواسطة المجهر الإلكتروني الذي يكبر ما بين مائة وخمسمائة ألف مرة تلك الفيروسات في خلايا خنجر الإنسان المصابة بالسرطان ، غير أن مجرد اكتشاف الفيروس أمر غير كاف أبداً ، فمن الضروري جمعه بكمية كبيرة وفصله عن كافة المواد الأخرى وتركيزه ودراسة خصائصه ؛ لتشخيصه بشكل شامل ، وهذا ما قمت به مع الأكاديمي جدانوف والدكتور إيلين .

وتسنى لنا إثبات أن هذا الفيروس يشبه من حيث سماته كلها ذلك الفيروس الذي يسبب سرطان أثناء القروود .

ثمة ثلاث فئات من الفيروسات التي تسبب الأورام الخبيثة في أجسام الحيوانات ، وهي فئة « س » التي تسبب فيروساتها سرطان الدم وورم المعى الخبيث لدى الحيوانات ، وفئة « ب » التي تسبب السرطان لدى الفئران ، وفئة « د » التي تتضمن فيروسات السرطان المستخرجة من أجسام القروود والإنسان .

ولقد تركزت جهود العلماء في الماضي على اكتشاف ودراسة الفيروسات من فئة « س » ، أما نحن فنجحنا للمرة الأولى في اكتشاف نوع جديد من الفيروسات من فئة « د » .

وعند المقارنة ذلك الفيروس بجميع الفيروسات المعروفة والمستخرجة من

بحاكم بن هدوكة مفاهيم الثورة والدين والدولة في علاقتها بتحرير الإنسان وتحقيق دورها الاجتماعي ، أي أنه لا ينقد هذه المفاهيم المطلقة ولا يدعو إلى هدمها ، وإنما إلى ربطها بالحركة التحريرية ؛ لهذا يهاجم تعاليم الدين الصماء بلا هوادة ، لكنه في هذا الهجوم لا يهاجم الدين كدين ، بل يهاجم الشكل الجامد من الدين ، الذي ينسى الإنسان وبؤسه ، ويقبع صامتا في خدمة الجهل والإقطاع ، وفي هذا الإطار يدعو بن هدوكة إلى ربط الحاضر بالماضي ، والمعاصر بالتقليدي والراهن بالقديم ؛ إذ أن كل المفاهيم لا تعثر على دلالاتها إلا في شكل وظيفتها في حاضر الصراع وفي صراع الحاضر .

٨ - وفي الثقافة تقول ((الجمهورية)) :

«أما على الصعيد العربي ، فإن أحياء هذه الذكرى يرجع أساسا إلى سنة ١٩٦٦ ، حيث تم تأسيس الجهاز العربي لمحو الأمية بموافقة مجلس جامعة الدول العربية ، إلا أنه رغم هذه المدة الزمنية الطويلة نسبيا ، نرى الأمية ما زالت ضاربة أطنابها بالدول العربية ، حيث تصل نسبتها إلى ٧٠ ٪ مما ترك التخلف والفقر عالقا بها ، علما بأن أراضيها ترخر بنخيرات لا تحويها بلدان أخرى متقدمة كثيرة ، وأنها قد استقلت منذ زمن بعيد ، وعليه ، فأين نحن من شعار محو الأمية إذا كانت الأموال العربية تستغل في مشاريع لغير صالح جماهير أمتنا .»

الحيوانات ، اتضح أنه يختلف عنها ويشبه
الفيروس المستخرج من ثدى القردة المصابة
بالسرطان ، وتبين الأبحاث أن العينات
المضادة لذلك الفيروس موجودة في خلايا
سرطان الثدي عند الإنسان .

لقد ظهرت في العقود الأخيرة فرضيات
لبداية حول أسباب نشوء الأورام الخبيثة
ولكن وجهة نظر العلماء السوفيات - وفي
مقدمتهم زيلبيرت عضو أكاديمية العلوم
الطبية - بدأت تتغلب تدريجيا .

١٠ - وفي الاقتصاد ، تقول مجلة الجيش وهي من ابداع مجلاتنا :

(وأعترف عن نقل هذا المقال بطوله ،
نظرا لأهمية ما فيه من معلومات غزيرة) .

«تقييم الوضع الاقتصادي غداة الاستقلال :

لقد ظلت الجزائر ما يقرب من قرن وربع
قرن تئن تحت السيطرة الاستعمارية من عام
١٨٣٠ إلى عام ١٩٦٢ ، هذه الفترة التي عرفت
فيها البلاد أبشع أنواع الاستغلال والنهب
الاستعماري ، حيث استنزفت خيراتها وشرد
أبنائها ، وطردها إلى قمم الجبال الصخرية
والمناطق الفقيرة ، بعد أن وزعت الأراضي
الصالحة للزراعة والمناطق الحصينة على
أقلية بسيطة من المعمرين حولت خيرات
هذه الأرض لصالح «المثروبول» ، بينما بقي
أبناء البلاد يعانون من الجوع والفقر والتشرد
والجهل ، وعرضة للأمراض الفتاكة .

ولكن رغم هذه الظروف الحالكة
والوضعية الاجتماعية المزرية ، لم ينطفئ بصيص
الأمل ، بل كانت المقاومة متواصلة
ومستمرة منذ دخول المستعمر - ابتداء من
مقاومة الأمير عبد القادر - إلى أن كانت
الثورة التحريرية الكبرى سنة ١٩٥٤ التي تحدى
الإرادة الاستعمارية ووقفت في وجه أعنى
قوة في العالم آنذاك : «الحلف الأطلسي» ،
فاقتلعت بذلك جذورها بعد سبع سنوات
ونصف من الكفاح المستميت للحصول
على الاستقلال ، الذي كانها تقديم مليون
ونصف مليون شهيد من خبرة أبنائها ، وفعلا
تحققت آمالها بتاريخ ٥ يوليو ١٩٦٢
الذي اشرقت فيه شمس الحرية على كامل
التراب الوطني ولكن كيف وجدت الجزائر
نفسها في هذا التاريخ ؟

لما أحس الاستعمار الفرنسي بنهايته في
بلادنا ، بدأ ينظم خطط التخريب والنهب
للاقتصاد الجزائري قبل انسحابه بحيث جعل
الدولة الجزائرية المستقلة ترث اقتصادا مخربا ،
تسيطر عليه متناقضات السياسات الاقتصادية
التضخمية التي طبقها السلطات الاستعمارية
في إطار (مشروع قسنطينة) . وتسلمت الجزائر
مصيرها السياسي وهي تواجه وضعها اقتصاديا
 واجتماعيا متدهورا ، خلفه الاستعمار ، حيث
وجدت نفسها أمام ٣٠٠ ر ٠٠٠ يتيم
وحسوا إلى ٤٠٠ ر ٠٠٠ من المعتقلين
والموقوفين في السجون وما يزيد عن

٧٠٠٠٠٠ راجىء خارج الوطن و ٣٠٠٠٠٠ راجىء
مهاجر ، خاصة من القرى إلى المدن
وما يقرب من ٣ ملايين من المجمعين الذين
أخرجوا من ديارهم وقراهم؛ لتجمعهم داخل
مراكز أقيمت لهذا الغرض والتي تشبه
المحتشدات، وما يزيد عن ٣٠٠٠٠٠ راجىء
مجاهد، حاربوا في الجبال، عادوا منهكي
القوى، أكثرهم معطوب أصابه رصاص العدو
وشظايا القنابل وغارات النبال ، ولذلك كانت
إعادة تنظيم السكان وتثبيت الوضع الاجتماعى
والاقتصادى من الصعوبة بمكان قبل البدء فى
معالجة الجروح الغائرة التى تركها الاستعمار
البغيض فى الجسم الجزائرى ، من جراء
التخريبات المادية فى الهياكل الاقتصادية
والإدارية والاجتماعية المختلفة .

فلقد دمرت ٨٠٠٠ قرية تدميرا كليا
مما نتج عنه تشريد عائلات، وبقاؤها بدون
مأوى كما أحرقت آلاف الهكتارات من
الغابات مع أن البلاد كانت فى حاجة ماسة
إلى تشجير واسع ، وتعرضت مساحات
شاسعة خاصة فى المناطق الجبلية إلى (سياسة
أرض محروقة) ولا زالت معالمها حتى اليوم
تمثل مشهدا من مشاهد التخريب كما تركت
الأراضى مهملة سنوات طويلة ، كذلك
أشجار الفواكه بقيت بدون علاج
وقاى ، وأدى الانخفاض الكبير فى عدد
المواشى من ٧ ملايين إلى ٣ ملايين رأس
إلى حد انقراض بعض أنواع منها تقريبا
كالبقرة .

وكانت مصالح النقل أهم المصالح التى
يمكن القول بأن المستعمر قد اهتم بها فى
الجزائر ، وفى شمال البلاد بخاصة ، وذلك
لتمكنه من تحويل الإنتاج وخيرات البلاد
من مصادرها إلى فرنسا . هذه المصالح قد دمرت
فهدمت الطرق ونسفت الجسور وبلغ
التدمير حدا أصبح معه من اللازم أن تؤدى
خدمات استنفدت الجزء الأكبر من ميزانية
مصلحة الجسور والطرق لسنة ١٩٦٣ .

١١ - وفى الميدان الفنى نقول : صحيفة الشعب عن المسرح الجزائرى :

«أطرف ما يقوله أشباه المثقفين هذه الأيام ،
إنه من باب السخرية القول إن هناك
مسرحا فى الجزائر .

وللحكم على هذا الرأى ، نقول : إن
الموقف السالف الذكر من الظاهرة المسرحية
لا يدهشنا ما دام يبدو صحيحا ظاهريا، إذ
تنبع هذه الصحة من كونها تعكس واقعا
حقيقيا لم يستطع مروجوه التعبير عن
خلفياته ومسوغاته الموضوعية ، وأبرز مثال
يجسد ضحالة آرائهم وسطحيته، يتجلى من
خلال عدم تمكنهم من التفرقة بين حجم
المسرح فى الساحة الثقافية وتأثيره فى المجتمع ،
وبين الظروف التى تحيط برجال مسرحنا ،
والتي تحدد بدورها مدى ذاتية أو موضوعية
المستوى الذى يظهر به مسرحنا حاليا .

إن المستمع لمقولة « ليس هناك مسرح
فى الجزائر » يتخيل أن المسرح قد غلق

أبوابه وفر رجاله إلى حيث لا يدرى أحد
أو أنهم اعتادوا التكاسل ووجدوا مبرر
عدم الاهتمام بقطاع المسرح ؛ لينتهزوا هذه
الفرصة ويبقوا وراء الكواليس في انتظار
المرتب الشهري ، وحتى لا يقال : إنهم
يتقاضون أجرا مقابل لا شيء ، نجدهم يقدمون
مسرحية أو اثنتين في السنة ، يقتبسون الأولى
ويترجمون الثانية .

وللأسف الشديد مازالت هذه «الفتاوى»
تنتشر من يوم إلى آخر وبين عشية وضحاها ،
وأصبحت بفعل التداول أحكاما موضوعية
يتقبلها العقل بكل سهولة ، وذلك ما يهدد
ويزيد في الوضعية المتدهورة التي يمر بها
المسرح الذي مازال حيا يرزق ، وإن
تسببت علاقة وسائل الاعلام به في الظرف
الذي يعرفه ، إلى جانب الإهمال الكبير
الذي مازال يعانيه إلى حد كتابة هذه
"طور" إلى أن تقول الصحيفة :

«وانطلاقا مما سبق ، نقول : إن المسرح
لا يمكن أن يستمر بهذه الوضعية ؛ لأن
المسرح الذي يعتمد على المبادرات الشخصية
أو الاجتهادات الفردية لا يمكن أن يتوصل
إلى توفير كل شروط الإبداع ، لأنها تبقى
محدودة بإمكانيات ضيقة لا يمكن أن ترتفع
إلى مستوى العملية الإبداعية الشاملة ،

ومن هنا ، فإن التفكير في مستقبل مسرحي
أضحى الإجراء الملح ، قبل أن يتوقف
المسرح نهائيا كما قال أحد المسرحيين
الجزائريين .

١٢ - وأخيرا عن الرياضة ، تقول صحيفة
«الشعب» :

« انطلقت أمس بالملاعب الملحق للألعاب
القوى (مركب ١٩ جوان) للألعاب
الخماسية العسكرية تحت إشراف العقيد علي
بوحجة عضو اللجنة المركزية للحزب ،
وقائد الناحية العسكرية السابعة الذي كان
مرفوقا بالمقدم علي القاسمي عضو اللجنة
المركزية ومدير المصلحة المركزية للرياضة
العسكرية وعدد من رجال الجيش .

وبعد الإعلان عن الانطلاقة الرسمية
للدورة واستعراض الوفود الممثلة للنواحي
العسكرية السبعة والأكاديمية العسكرية
لمختلف الأسلحة بشرشال والمدرسة العسكرية
للتربية البدنية والرياضة والمدرسة العليا للتقنيات ،
فتح المسبح الأولمبي المغطى التابع للمركب
أبوابه في وجه المتنافسين ؛ ليتباروا على تحقيق
أحسن النتائج الممكنة في النوع الرياضي
الأول المسجل في برنامج الألعاب الخماسية
التي تضم - بحسب التسلسل - السباحة (اليوم
الأول) واجتياز الحواجز ، ورمي

القنابل اليدوية (اليوم الثاني) والعدو الريفي
والرمي (اليوم الثالث والأخير) :

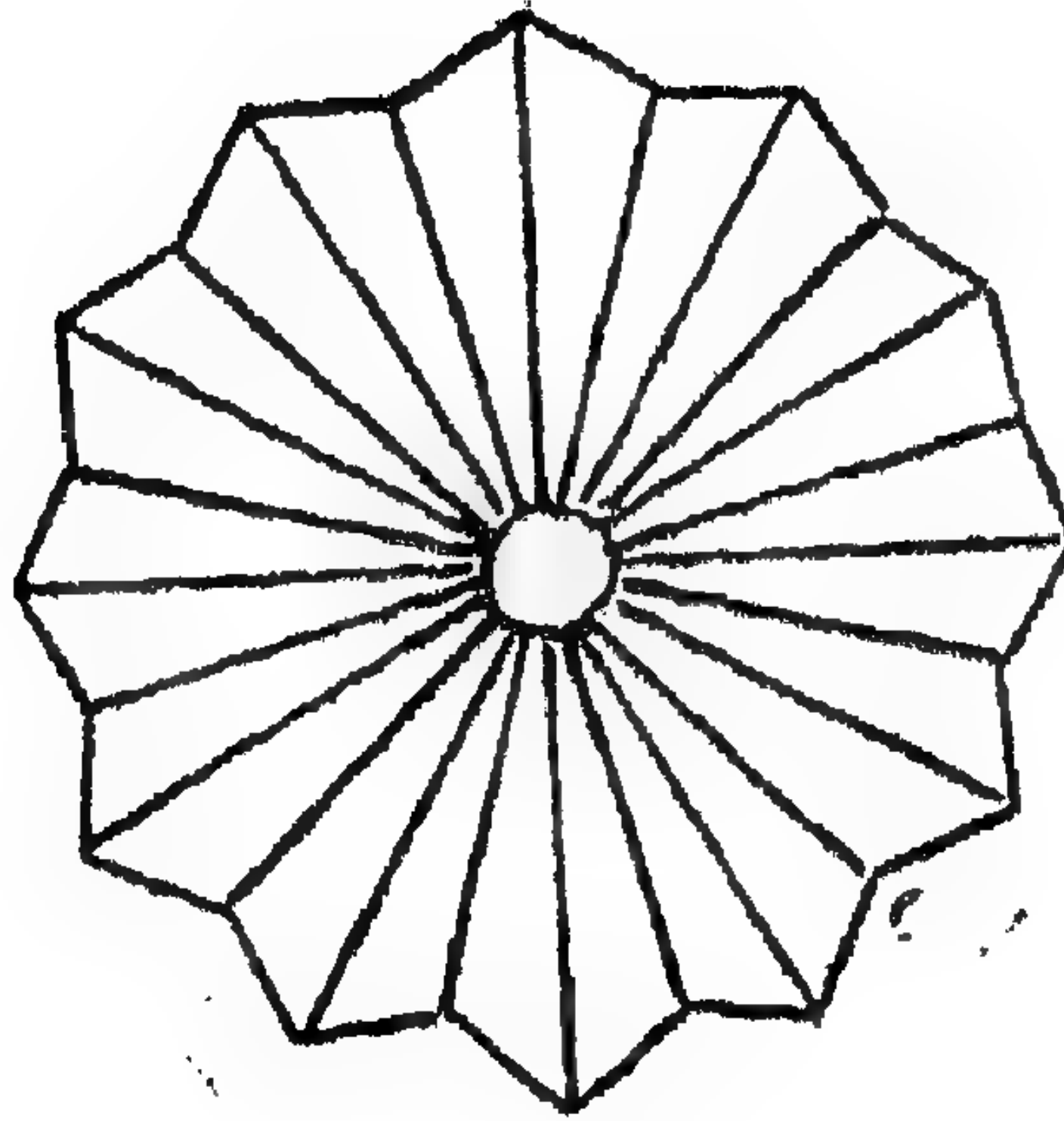
وكان على المتسابقين قطع مسافة ٥٠ م أى
طول المسبح فى أقصر ظرف زمنى مع احترام
شروط اجتياز الحواجز الأربعة التى وضعت
فى الرواق بين نقطتى الانطلاقة والوصول .

وسيتواصل الجو التنافسى صباح اليوم
بالمدرسة العسكرية للموسيقى ببني مسوس
التي تحتضن مسابقتي اجتياز الحواجز
ورمي القنابل « .

وهكذا أيها السادة الأبرار ، أنهى هذا
العرض المفصل عن لغة الصحافة عندنا
منذ الاستقلال؛ وأيتم فيه رأى العين سلامة
العربية ، وجودة التعبير ، وحسن التنسيق
فى مختلف شعب الحياة اليومية التي يهتم بها
الشعب العربي الجزائري اهتماما عظيما .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى الاختيار
والتفصيل ، مع اعتذارى عن تطويل
اقتضاه المقام . ولكم الشكر الجزيل .

أحمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر



لغة الصحافة

للكاتب محمد عزيز الحبابي

لغات ولسان :

يتكون اللسان العربي من لغات ؛ من بينها لغة الصحافة . فكما لنا لغة خاصة بالفقه وأخرى بالتجارة ، وثالثة بالفلسفة ، ورابعة بالرياضيات ، . . . لنا لغة الصحفيين .

لن يفصل هذا العرض لغة الصحافة عن المكونات الأخرى . للسان العربي ما دامت كلها تتعامل فيما بينها وتتخاصب . بيد أن لغة الصحافة فعلا أكثر نفوذا إلى وعى الشعوب وإلى ذاكرتها التاريخية والجمعية .

تدخل لغة الصحافة في لغات الإعلام وهي اللغات الأولى من حيث التأثير المباشر على الأفراد وعلى الرأى العام ، ومن حيث الانتشار إنها أقوى من لغة المهذبة . فأفق هذه ضيق ؛ إذ ألفاظها وتعابيرها تنحصر في المحسوسات البدائية ، يتعلمها الطفل ، عفويا وفطريا . وهناك لغة ثالثة يدركها كل من يشملهم المدرس ، وعددهم بالعالم العربي ينمو ببطء ؛ لأن النمو الديمغرافي يعاكسه . ولغة المدرسة ليست ، وللأسف ؛

لغة جميع الأطفال ، بل تكتسب بجهود وتحصيل وحظوظ ، ويذهب نحوها الأطفال ؛ خلافا للغة الصحافة التي تأتي عند القارئ وتغزوه يوميا ، وفي كل أطوار سنه . إنها تهاجم بصره وتغريه . فهي على الأرض في الطرق ، وفي المكتبات ، وفي قاعات الانتظار ، وفي مكان العمل ، وفي «الباص» والقطار والطائرة . لغة الصحافة تتابع المؤبجين حيثما حلوا .

لغة الصحافة سيف ذو حدين معلق فوق الرقاب ، فكما تقول الحق ، نشرا ودفاعا ؛ تؤكد الباطل وتسانده وتذيعه ، وكما تنمى التواصل بين البشر لصالح التطور الحضارى والرقى العام ، تقطع أحيانا روابط التواصل بين الأفراد والشعوب ، وتعكر صفو الوعى الفردى والجماعى . ولقد صدق من صرح بأن الصحافة هي السلطة الرابعة ؛ أى إنها تأتي بعد السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وقبل السلطة الخامسة التي تتكون من تجمع الصحافة مع باقى السلطات فى يد واحدة احتكارا واستبدادا .

(*) ألقى فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٦ من فبراير سنة ١٩٨٣ م) .

من هنا خطورة الصحافة . إنها في إمية
دائمة : إما أن تستعمل لغة واضحة ودقيقة
وصحيحة المعنى والمبنى ، (وإن الدقة
والوضوح يستلزمان صدق الأخبار ، وحسن
النية) ، وإما أن تستعمل لغة مهلهلة تقريرية
ومبهمة ، ومن هنا الخلط بين المفاهيم والالتباس
بين المعاني ، فيحصل سوء فهم وسوء
تفاهم يستغلان استغلالات سلطوية وتحالفية ،
فتسخر أفرادا وجماعات لصالح قلة من
الهيئات الخاصة .

إذا كانت تلك الأدوار المزدوجة في ما
تقوم به الصحافة ، وكان نفوذها على ذلك
المستوى من الخطر ، وجب التحري عن
لغات الصحافة . ولغة هنا لا تنحصر في
معرفة قواعد النحو والصرف والتراكيب ،
بل إنها أيضا قدرة تتسرب للذهن وللضمير
فتوجهها إيجابيا أو سلبيا .

(فاوست) يسكننا :

فاوست بطل أسطورة جرمانية قديمة
ترمز - على ما يظهر - إلى أن الإنسان الذي
يتناول على الواقع - عوضا من أن يتكيف
معه - لا بد من أن يتعرض لأخطار وتجارب
قاسية . ولن يتغلب على وضعه إلا بنقد
ذاتي جريء يفتح به بصره على الواقع ولو كان
مرا .

فوقف العرب من لسانهم موقفان : موقف
عاطفي ، الحب فيه يعمى ويصم ، وموقف يعتمد
الموضوعية ويخضع للواقع حلوه ومره .

من مميزات الكائن البشرى السوى الحرص
على عدم ضياع هويته الأصلية . إن ضياع لسان
قوم ، يكسر هيكل مجتمعهم ، إذ لا فرد ولا
مجتمع دون لسان وتواصل . فالكائنات
العاقلة تتساكن فيها قوى متضاربة ، وأى
فرد لا يحافظ على الاعتدال بينها يخسر
مقومات هيكله السيكلوجي المجتمعي ،
فيكون ماله مآل (فاوست) .

وبدل أن يبقى رجلا يتمتع بالحياة ،
طبيعيا ، ويكتسب من المعرفة ما تسمح به
قدراته ، يتحمل المخاطر ، ويبذل الجهود
التي تقتضيها المغامرة من أجل الجاه والمعرفة
دون تهاون - تنازل (فاوست) عن روحه
لـ (ميفيستوفيليس) أمير الشياطين ، وبالمقابل
التزم هذا الأخير بخدمة (فاوست) مدة
أربع وعشرين سنة ، يوفر له ملذات فوق
العادة ، ويمنحه أقصى ما يمكن من المعرفة .
فأعرض (فاوست) عن اللجوء إلى اللسان
القومي وإلى تعاون مع أبناء جنسه ، فأعرض
وبات يتحدث بلغة (ميفيستوفيليس) وحدها .

وما إن تراءى لـ (فاوست) أن مشروع
التعاقد دخل حيز التنفيذ ، حتى انطلق وهو
خلو من الروح الفردية والجماعية ، يعمل
في الكون كمن أصبح قادرا على فهم
كل شيء والسيدارة على كل شيء . وسرعان
ما أضحي متجبرا في العالم :

ولم يمر إلا وقت قصير حتى اضطرب
وجدانه أمام الفراغ والسأم . فجند مجموع

قواه للهدم والعنف متخبطا في الكون ،
غائبا عن المحيط الإنساني وعن الواقع ، وهل
من سبيل إلى الاندماج في مجتمع وإدراك
واقعه دون معرفة لسان ذلك المجتمع . فالروح
النضوى المتسرب بين كثير من المثقفين
العرب يتأتى من شعورهم بالاغتراب داخل
أمتهم لأنهم يجهلون ، أو يتجاهلون لسانها
إما لا اعتبارا ناقصا ومتجمدا ، وإما لانهارهم
بالسنة الغرب .

وبعد أن تخلى فاوست عن لسان قومه
والتألف معهم ، غدا يقتله الحنين إلى
هويته الأصيلة ، وبدأ ضميره يستيقظ
رويدا رويدا : لكن ، هيات أن تنسجم
طبيعتان في شخص واحد كما جاء في القرآن :
« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

جن (فاوست) من البحث عن ذاته
وعن قيم يزن بها بنود العقد الذي يربطه
بـ (ميفيستوفيليس) بعد أن اقتنع بأن الصفة
خاسرة ، قسمة ضيزى .

كيف يقيم ويقوم الخسارة ، وقد استرخى
من قبل تراثه ولسانه والروح والكرامة ؟
يلتقى (جوتيه) بفاوست في القرن التاسع
عشر ، ويأخذ بيده ليشرح له من جديد .
استعاد فاوست كل أبعاده وغدا لا يستوحى
سلطة الفكر والمعرفة إلا من إنسانيته ،
وبلغة الأم ، اللغة المتجذرة في كيان شخصه
وفي أعماق ذاكرته ، إذ الكوعى فاوست
وضعه المزيّف والمزيّف ، فدخل معركة

ضد من اغتصب منه الروح ، فكانت عاقبة
(ميفيستوفيليس) الخسران المبين . أما
فاوست الإنسان فقد صار يحقق ما يرنو
إليه من توق للعمل ، إلى أن أصبحت
حركاته قصدية في مغامرات إنسانية ؛ لأنه
الترم بتحقيق مثل عليا ، كما أدركها بوجدانه
ووعيه وعقله وحده ، على ضوء قيم شمولية
مشتركة أخذها من الثدي والمهد ، وعن الأم
والأب والإخوة ورفاق الطفولة في البيت
والمدرسة والشارع .

لا نهضة بلا لسان متطور :

فتى يستعيد فاوست العربي العصري روحه
لينحى عن الطريق كل آثار ميفيستوفيليس ،
ويجعل قوتى : الدفع ورد الدفع متكاملتين ؟ .

متى سنستأنف ، متعاونين ، المسيرة
نحو آفاق جديدة تضمن الكرامة للجميع ،
وتصحح الاتجاهات الاقتصادية والمعنوية معا ؟

تود شعوبنا بكل أحشائها أن تتجاوز
القطيعة والانشقاق الصراعى بين مسؤوليها
نحو الانتصار على التخلف . ولا كفاح
ناجع دون مناخ ثقافى تفتح فيه الشخصية
الفردية وتنتعش فيه الذاكرة الجماعية عن
طريق اللسان القوي .

وصفت الصحافة بأنها « صلاة يومية »
أى أنها بعد أن بدأت قليلة الانتشار
واختيارية الوجود في حياة الأفراد والجماعات ،
أصبحت لازمة وشبه مقدسة ، وها هي اليوم

تغزو الآفاق وتتابع الناس ، حتى من لا يحسن القراءة منهم ، هجوما مسموعا ومرثيا بل تتسرب حتى أسرة الناس ، مما جعل لغتها أقوى انتشارا وتأثيرا في الأعماق .

فالسؤال إذن : هل للصحافة العربية على اختلاف أنواعها ، لغات في مستوى الأدوار المنوطة بها ؟

بصفة إجمالية ، إن الواقع المعيش يجيب بالنفي . ففي الوقت الذي تفككت فيه كل عرواتنا، وباتت « الأمة » العربية بلا جامع مشترك (لا سوق اقتصادية مشتركة ، ولا توحيد في برامج التعليم ، ولا أحلاف دفاعية ، ولا نظرة منسقة في السياسة ، والديبلوماسية ، ولا ولا) كل ما تبقى لنا هو اللسان العربي لنتواصل به ، رغم الاختلافات والتنافي ، وهمسا يتناوبان الظهور والاختفاء ، فوق ساحة الدول العربية ، مع مر السنوات .

نعم ، باللسان العربي يقع اللقاء والافتراق أى به نتصل ، والضمير في « نتصل » لا يعود إلا على حاملي الشهادات وعلى المؤجدين عموما ، أما جمهرة الشعبين العرب ، فلا يحسنون قراءة ولا كتابة . إن الدارجات تغرقهم في قطيعة مع لسان تراشهم ، ويفصل بعضهم عن بعض ، كلما انتقلوا من مكان عاميتهم إلى مكان عامية أخرى . هكذا العاميات والدارجات تغرقنا في اللاتفاهم بيننا .

فماذا يستفيد المصري ، الأُمى والمثقف على السواء ، من أخيه المغربي عندما يقول له : « الخوهه لوليا طالعلى الزعفف ؟ وماذا يستفيد المغربي ، كيفما كان مستواه ، عندما يسمع شقيقه ابن الكنانة يصرح : « أنا عايز أُود زى ده » ؟

إنها شقة تزداد مع الأيام ومع المسرح ومع السينما ، ولغة الأغاني ، عمقا وتعقيدا . فقراءة الصحف والمجلات ميزة من امتيازات نخبة المتعلمين .

والقراء نوعان : نوع يتهجى العناوين ويتفرج على الصور ، ونوع يستوعب ما يقرأ . والقراءة الحق لا تكتفى بالتأبجد ، بل لا بد من تعلم جد طويل الأمد ؛ لأن اللسان العربي ليس سهلا كما يزعم البعض . إنه عسير جدا لعلتين : أولا هما أنه ليس لسان الخطابات اليومية في السوق والبيت . . . ثانيا هما أنه يجند البصر على حساب السمع . إن العربية ، حتى المكتوبة ، لا تخلو من صعاب لا يتغلب عليها إلا أفذاذ قلائل .

على رأس لائحة تلك الصعوبات : أن الكتابة العربية معوقة لفقدان الحركات على الحروف ، وكل جهاز أو جسد أصابه عطب ما في حركاته ، بات مشلولا .

قد ننتصر — إن قليلا وإن كثيرا — على القطيعة وعلى صعوبة القراءة إذا جندنا الإذاعة والتلفزة ، وكذلك السينما والمسرح والأغنية

في خدمة اللسان العربي ؛ أى الجامع المشترك
بيننا ؛ لأنها أدوات فعالة لترسيخ الحمل
السليمة والألفاظ الصحيحة في الذاكرة
والنطق المستقيم في الحديث .

فهل سيصح العزم على القيام بذلك ؟

من الجواب ستكون بداية الإصلاح
الأشمل ، أو نهاية المحاولات المتفائلة ، فمن
الصحفيين من يضعوا مصطلحات وعبارات
وترجمات تفرض نفسها بفضل التكرار
فيتعود عليها البصر أو السمع فتستقر بالذاكرة .
وهذا ناموس طبيعي ، لأن ما يجد قلبا خاليا
يتمكن . والواقع أن بعض ما يوضع ارتجالا
(الخبر الصحفي لا ينتظر) أو بعد بحث
وتأمل ، يكون مقبولا لسلسلة بنيانه
واشتقاقه ، كما أن بعض ما يقترحه
صحفيون آخرون لا يقبله الذوق ، أو يكون
غير دقيق .

كذلك ، يرجع الفضل إلى الصحافة في
ترويح ألفاظ عربية كانت مهجورة ، فأعادوا
لها الحياة .

نقطة ثالثة . حينما يقع اكتشاف أو
اختراع ، سرعان ما يسميه الصحفيون
قبل الجامع والجامعات والمعاهد العليا .
وعندما تضع إحدى هذه الهيئات أسماء لتلك
الاكتشافات ، تكون الأسماء التي أطلقها
الصحفيون قد استقرت .

فهل من حل لهذا الوضع ؟

أندخل الجامع والهيئات العلمية الأخرى في
حرب مع الصحافة ؟
تلك سلسلة من التساؤلات وليست الوحيدة
على كل حال .

ومهما يكن من اجتهادات ، فإن الوضع
الحالي غير مشجع . استمعوا إلى إذاعة
الرباط ، مثلا ، فكل الأغاني بالعامية ،
وأحيانا بكلمات يمجها الذوق العام نفسه مثلا :
« عينيك كيف الزليط » (زليط les allumettes
الفرنسية) . طبعاً ، قد تصادفون ، عرضاً
أغنية بشعر عربي ، لكن ذلك من النادر ،
والنادر لا حكم عليه أو به . بنفس الإذاعة
المسرحيات بالدارجة ، وأرقاها بالعامية .

تتبعوا بإذاعة القاهرة مباراة لكرة القدم
بين الزمالك والأهلي ، فتسمعون خليطاً عربياً
إنجليزياً ، لا هو هذا اللسان ولا هو ذلك :
أفسايد (عوضاً عن الشرود أو التسلل)
و كورنر (عوضاً عن ركنية أو جانبية)
وبنالتى (فى مكان ضربة جزاء) .

ولنتصفح برامج المسرحيات المعروضة حالياً
فى مسارح العالم العربى جميعه ، وللشرايط
السينمائية فى قاعات العروض العربية كلها ،
سنجد أن جلها أجنبي ، والباقي بالعاميات
باستثناء قلة القليل .

فإلى أين نسير ؟

إن القضية ليست فى تصحيح وزن صرفى
أو اختيار لفظ أفصح من آخر ، أو تأكيد

قاعدة نحوية . إن القضية مصيرية ،
وبالتالى تستوجب تغيير بنى أجهزة الإعلام
والثقيف ، وغربة الأطر المسؤولة . استبدال
فنانين وصحفيين بآخرين يفرضهم مستواهم
الفنى واللغوى ، ويعون مسؤوليتهم حق الوعى .

لقد جلس البعض على كراسى فى الحكم
أو الإدارة ، واستلذوا السكوت و«مَاعْلِيْش»
ويتجنبون كل رجوع إلى ضمائرهم ليصالحوا
ما حولهم . فثم من باع ضميره ، كما
فعل (فاوست) مقابل الهدوء ، حتى
لا يزحزحوا عن كراسيهم ، ومنهم أنصاف
مثقفين ، لا هم يعملون على إصلاح ما بهم
من نقصان ، ولا هم تحركوا ؛ لأن الحركة
تفضحهم . الكل يتأمر على العربية وعلى
ما حملت من تراث إنسانى وما يمكنها أن
تساهم به لصالح الإنسانية .

فكان الجميع ملتزم بالسكوت نحوى
(ميفيستوفيليس) أمير الشياطين الذى اشترى
من (فاوست) روحه .

ننتقل الآن إلى وجه ثان من المشكل:
إنه استلاب التخاطب اليومى عند كثير من
المثقفين العرب الذين انهبوا بالغرب فتغربوا
لغويا وسلوكيا . تلك غربة واغتراب وتمغرب .
إنه عائق ليس أقل خطورة من العوائق
السابقة . بل على العكس ، إنه انتحار
لشخصية الأمة بواسطة انتحار كرامة أطرها
العليا والوسطى ، وذوبان الآمال المعلقة
عليها .

لا مجال للخلق العفوى فى عالم الفكر أو
المعانى والمثل ، كما هو الحال فى عالم الماد .
لا بد من مواد أولية ومن فكر ليفهمها قبل
أن يتصرف فيها . ومن المسلم به أنه لا فهم
ولا فعل إلا عن طريق اللسان . فبالألفاظ
تسمى الأشياء ، وتتحول مفاهيم ندخل
بها فى حوار مع ما نريد إدراكه ، فيبدأ
الاكتشاف والتصرف فى الموضوعات
المدركة . لذلك ، لن تلعب أية لغة أدوارها
إذا تجمدت أو جمدت .

لقد أتى دهر على لساننا كان خلاقا
مبدعا كشافا ، ثم أغلق باب الاجتهاد فى
الفقه ، وجف معين علم الكلام ، وبالتالي
تجمدت العربية . اجتهد الأجداد عندما
ترجموا ، واجتهدوا عندما فكروا ،
بل حتى عندما سامروا فى ليالى المرح
والدعابة ، ثم أصابتهم الأمواج من كل
مكان ، وجاعتهم ريح عاصف ، فكان
ما كان .

إن الذبذبة والحيرة ، كالوثوقية ، عرقلة
للفكر ، تمنعانه من مرونة التصرف
فى الواقع . فالوثوقية المادية ، والوثوقية
المثالية ، تعارضان توحيد الرؤية والالتحام
بالواقع . إنهما حازان فى طريق بناء المستقبل ،
بل حتى فى سيورة تصوره ؛ لأن التفكير
مضمونا خارجا عنه يتجاوزه . فمعيار اليقين
ليس فى الفكر ، بل فى علاقة الفكر بالحياة
وتطابقه مع ما جرياتها . وما جريات حياة
اليوم هى السرعة والتفتح ، فاللسان

العربي معرض لتحويلات العصر ، ومن يحاولون تجسيده يقتلونه .

ذاك هو معنى «الإنسان حيوان سياسى» ، مدنى بالطبع» ؛ على اعتبار أن السياسة هى التى تسيّر المجتمع وتنظم العلاقة بين الأفراد . فلا قوانين للفكر توجهه وتجعلنا نخضع لها قبل أن نخضعها لنا .

الفكر أفقى ، وإن ظنه البعض عموديا ، بيد أن أفقيته محدودة ، مكانيا وزمانيا . إنه «آلة» تاريخية وتأريخية . ومن هنا تصدر عن الفكر دلالات حضارية . فعمليات الفكر قصدية ، غائية . لذلك ، كلما أردنا تحليل فعل فكري ، وجب أن يقوم التحليل بلسان واضح ودقيق ومتحرك .

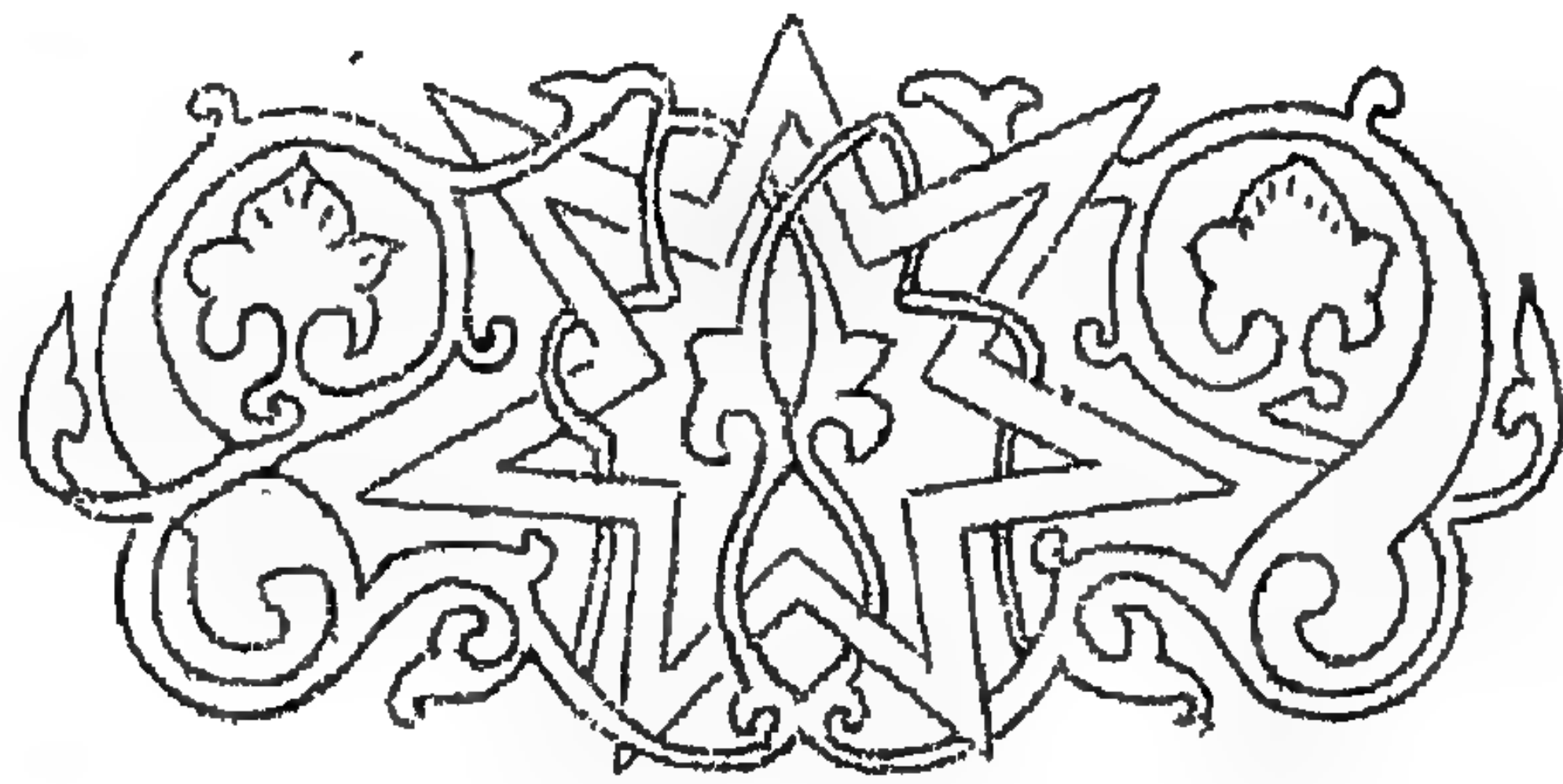
إن ماهية الفكر ومضمونه يتلازمان كما أن أى فعل فكري ، فى فرديته ، لا ينفصل عن فعل الفكر بصفته موضوعا . فالشعور

حضور الذات مباشرة فى ومع محيطها . ومن وظائف الفكر المتميزة أن يعين الشعور ليرتفع على مستوى الإحساس إلى الوعى ، ولينتقل بالوعى إلى التأمل فى علاقات الذات بمحيطها . إن التأمل شرط سابق على أى تخطيط للوسائل الكفيلة بإصلاح خلال علاقات الذات بمحيطها وبالتاريخ .

ليس المحيط المجتمعى فضاء جغرافيا وحسب ، بل ثقافة تتجلى فى السلوك والعادات والأعراف ، المكتوب منها وغير المكتوب ، كما أن التاريخ ليس أحداثا وآثارا وحسب ، بل إنه أيضا ، ذاكرة جماعية تسكن اللسان القومى ، بكل لغاته وتتحرك بحسب ديناميته . فهو الذى يسقى الفكر والحدس والإحساس ، من الداخل ومن الخارج ، فمثل من يحاول إيقاف هذا الرافد أو الآخر (برفض الاجتهاد والتفتح) كمثل من يحاول إيقاف الحياة فى تدفقها .

محمد عزيز الجبالى

عضو المجمع المراسل من المغرب



من كناشتنا لنوادير

مؤلفه: عبد السلام هارون

(٤)

وكان ذلك في وقعة الزلاقة التي هزم فيها الأدفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، وغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ بلادهم خيراً

تامور الزكاة :

الزكاة إحدى الدعائم الخمس في الإسلام ، ولعلها أكثر هذه الدعائم خضوعاً لرقابة الحكام والولاة ، الذين وظفوا لها الدواوين والعمال لإحكام أداؤها ومصارفها . والناظر في كتابي : الأحكام السلطانية للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ ، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨ ، يجد دستوراً شافلاً لتنظيم الأموال ما كان منها زكاة ، وما كان فيئاً أو جزية أو خراجاً .

ويذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أن مسلمة بن عبد الله الدمشقي - أحد الرواة عن عمر بن عبد العزيز - كان صاحب « تامور الزكاة » فهذا استعمال قديم لكلمة « تامور » العربية الأصلية التي فسرت بأنها دفتر

أول جمال يراها الأوربي :

حينما عبر يوسف بن تاشفين من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس في سنة ٤٧٩ ورأى الأدفونش اجتماع الغزائم على مناجزته ، علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى ، يقول ابن خلكان : ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورجلاً من الفريقين ، كل أناس قد التقوا على ملكهم ، فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها ، فأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جمالاً ، ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها . وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأى مصيب ، كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها .

(*) أقيمت في الجلسة الرابعة لمؤتمر الجمع في دورته التاسعة والأربعين (الخميس ١١ من جادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٤ من فبراير ١٩٨٣ م) .

الزكاة ، فكأن مسلمة هذا كان المسجل
لموارد الزكاة ومصارفها :

والتامور في اللغة : غلاف القلب ، أو
حبته ، أو دمه ، كما أن التامور وعاء الولد
وماء الركبة ، يقال : في الركبة تامور ، أى ماء .

رقيق العين :

أخذنا نحن العرب - كما أخذ الناس
جميعا ، أن نتفاعل ونتشام بما نجد وما نلقى :
ولعل أقرب الأمور فيما يتفاعل به الناس هو
العين إذا ما بدت خليجاتها .

ومن النصوص القديمة في ذلك ما أنشده
الأمدي في المؤتلف والمختلف ٧٣ من قول
جميل بن سیدان الأسدي ، وهو أحد
الأعراب :

أيا جُمِّل هل دين مؤدى لحينه
فقد حل ذاك الدين ، واحتاج طالبه
فطالت به أحلامه إن قضيته

وظل بما منَّيت يلمع حاجبه

وقال الأمدي تعليقا على هذا : يلمع
حاجبه : يختلج ، كأنه يبشره بوصال .
ويقول أيضا : وعندهم أن الحفن فوقاني
إذا اختلج فهو بشارة . وأنشد أبو عبيدة :
لم أدر إلا الظن ظن الغائب

أبيك أم بالغيب رفّ حاجبي

أى اختلج . . . ويقال : إن الحفن
الأسفل يؤذن بغم ، كما أن الأعلى يؤذن
ببشارة .

أجرة الخان في اليوم :

الخان كلمة فارسية معربة ، وهذا
يعطى أن أسلافنا العرب إنما اتخذوا نظامها
- من بعد - نقلا عن الفرس . فقد كانت خيام
العرب وبيوتهم ونيرانهم بأعلى اليفاع ،
وذبايحهم هي الخان لكل مسافر أو نزير
يقرونه تمام القرى ، ويتبعونه الكرامة
حيث مال وبخروج العرب من
جزيرتهم في أسفارهم كان من الطبيعي
أن تنشأ الخانات والمنازل في طريق السفر
وفي المدن أيضا .

ولعل خانات المنازل في السفر كانت
أقل نفقة ، فإن منها ما كانت تتكفل به
الدولة الإسلامية في مختلف عصورها ، ولا
كذلك المدن ، ولسنا نعرف بالتفصيل
ما كان يجري في خان الخليلي بالقاهرة
المعزّية ، على مر العصور وكر الدهور .

والذي نريد أن نصل إليه هو مستوى
الأجور في هذه الخانات . وقد عثرت على نص
نادر لولد ابن عائشة الذي توفي أبوه سنة
٢٢٧ . يقول الولد شاكيا لأبيه مالتى من
ضيق في بغداد ، وأن آماله الجسام فيها
تثارت بين يديه ، فكتب في آخر
كتابه إليه :

أنا في الخان أؤدى كل يوم درهمين
نازل فيه على نفسى على سبعة عین
وأراني عن قليل لا بسا خفى حنين

فأين هذى الشكوى مما نراه فى خانائنا
وقنادقنا ؟

أما لفظ « الخان » فيقول فيه الجوالقي
٢٣٩ : « والفندق بلغة أهل الشام : خان
من هذه الخانات التى ينزلها الناس مما
يكون فى الطرق والمدائن ».

أما صاحب القاموس فلم ينص على تعريبها،
والذى فيه أن الخان هو الخانات أو صاحبه.
وأما صاحب اللسان فينص على التعريب
ويقول : « الخان : الخانات أو صاحب
الخانات ، فارسى معرب ، وقيل :
الخان الذى للتجار » .

وأما أدبى شير فيقول : الخان فارسى
بحت ، وهو الخانات ، وهو موجود فى
جميع اللغات الشرقية الدارجة ، وهو يطلق
على الدكان والمخدع والماخور . وأما
الميدانى فى « السامى » ٤١٣ ، فيعرفه بأنه
« كاروان سراى » أى منزل القوافل على
الطريق ومحط رحالهم :

عاشوراء :

يوم عاشوراء هو العاشر من المحرم عند
العرب ، وتاريخه قديم جدا ، يرجع إلى
ما قبل الإسلام . وفى صحيح البخارى
عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان
يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهلية ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه
فى الجاهلية ، فلما قدم المدينة صامه وأمر

بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك يوم
عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه .

وفى الصحيح أيضا من حديث ابن
عباس أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قدم
المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال
ما هذا ؟ قالوا : هذا يومٌ صالح ، هذا
يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم
فصامه موسى . قال : « فأنا أحق بموسى
منكم » فصامه . وبذلك صار صوم يوم
عاشوراء فرضاً ثم أصبح فيما بعد سنة إسلامية .

ولسنا بحاجة إلى سرد مباحج هذا العيد
عند مسلمى مصر ، والتزامهم إلى الآن
بجعل ما يسمونه العاشوراء من حبوب القمح ،
لا يكاد بيت من بيوتهم يخلو من صنعها
أو ذوقها .

وحين نكرا البصر إلى أصله عند اليهود،
نجد أنه العاشر أيضا، لكن لا من المحرم، بل
من شهرهم العبرية ، وهو شهر تشرى .

ويذكر البيرونى فى الآثار الباقية ص
٢٧٧ أن صوم هذا اليوم هو الصوم المفروض
من بين سائر صيام اليهود ، ويسمى صوم
الكبشور ، يصومونه خمسا وعشرين ساعة
ومن لم يصم وجب عليه القتل .

ومما يذكر أن البيرونى كان من أعظم
العلماء خيرة بطون اليهود . وصيغة فاعولاء
من الضيع النادرة فى العربية لا تكاد نجد
مثلا إلا تاسوعاء وهو التاسع من المحرم

والضاروراء: الضراء، والساووراء: السراء
والدالولاء: الدلال .

ولم أجد هذا الإحصاء في مرجع إلا في
لسان العرب في مادة (عشر) عن ابن بزرج،
وزاد عليه ابن الأعرابي: الخابوراء: موضع .
ولم يتعرض ابن خالويه لهذه القضية، وعقد لها
السيوطي في الزهر ٢ : ٦٩ فصلاً زاد فيه
عن ابن خالويه: ساموعاء، قال: «وهو
اللحم في التوراة. ولم أجد هذا في كتابه ولعله
من كتاب آخر» .

سنة الفقهاء :

قال أبو جعفر الطبري في تاريخ سنة
٩٤ من الهجرة «وكان يقال لهذه السنة :
سنة الفقهاء ، مات فيها عامة فقهاء أهل
المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين
عليه السلام ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد
ابن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام » .

واقصر الطبري على هذا . ولم يذكر علي
ابن الحسين بوصفه فقيهاً ، بل ذكر وفاته
فقط .

وقد وجدت الصفدي في نكت الهميان
١٣١ ، يعين هؤلاء الفقهاء في دقة وتفصيل
وذلك في ترجمته لأبي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام بن المغيرة ؛ إذ يقول :
« وكان من سادات التابعين ، ويسمى :
راهب قریش » . ويذكر أنه توفي سنة ٩٤

للهجرة ، وهذه السنة تسمى سنة الفقهاء ؛ لأنه
مات فيها جماعة منهم . وهؤلاء الفقهاء
السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد ،
وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا . . .
وقد جمعهم بعض الشعراء في بيتين :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة

فقسمة ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم : عبيد الله ، عروة ، قاسم

سعيد ، سليمان ، أبو بكر ، خارجه

ولمّا قيل لهم الفقهاء السبعة ؛ لأن الفتوى
بعد الصحابة صارت إليهم وشهروا بها ؛
وكان في عصرهم جماعة من العلماء مثل
سالم بن عبد الله بن عمر ، ولكن الفتوى
لم تكن إلا لهؤلاء السبعة .

وأقول : أما عبيد الله في هذا الشعر فهو
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي
وكان ، مع زهده وورعه ، شاعراً مجيداً :
وقال ابن عبد البر : كان أحد الفقهاء العشرة ،
ثم السبعة الذين تدور عليهم الفتوى .

وأما عروة فهو عروة بن الزبير بن
العوام حفيد أبي بكر ، أمه أسماء بنت أبي
بكر ، وهو أخو عبد الله بن الزبير ومصعب .

وأما قاسم فهو القاسم بن محمد بن أبي
بكر الصديق . وكان ابن سيرين يأمر من
يحب أن ينظر إلى هدي القاسم فيقتدى به .
وكان صموتا شديد الصمت ، فلما ولي
عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة : اليوم

وكانت السنة الرابعة بعد التسعين من الهجرة
خاتمة لحياتهم الحافلة بالفتوى والتشريع .

سم الخياط :

لم يختلف المفسرون واللغويون في تفسير
هاتين الكلمتين . فالسم هو الثقب . والخياط
هى الإبرة التى يخاط بها . ولكنهم ذهبوا
مذاهب شتى فى تأويل قوله تعالى : «حتى
يلج الحمل» ويشدد خلافهم حين تختلف
القراءات بين «الحَمَل» و «الجُمْل» بالضم
وتشديد الميم ، و «الحَمَل» بضم ففتح مع
التخفيف ، و «الجُمْل» بضم فسكون
و «الجَمَل» بفتح فسكون . وقد تكفل
أبوحيان بنسبة هذه القراءات الخمس فى
الآية الأربعين من سورة الأعراف :

وقد اتفق السبعة على القراءة الأولى
«الجَمَل» وفسّر بهذا الحيوان المعروف زوج
الناقة ، كما فسرّها ابن مسعود تهكما منه
بالسائل الذى لم يعرف معنى الحمل فى القرآن
واختلفوا فى «الجُمْل» : أهو جبل السفينة
الغليظ ، أم هو الحبل الذى يصعد به فى النخل .
أما سائر القراءات فلا يخرج تفسيرها كذلك
عن الحبل الغليظ .

فواضح أن أعلى القراءات هذه هى قراءة
«الجَمَل» بالتحريك . وقد وجدت نحو هذا
فى إنجيل متى فى الفقرتين ٢٣ ، ٢٤ من
الإصحاح التاسع عشر : «فقال يسوع
لتلاميذه : الحق أقول لكم ، إنه يعسر أن
يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم

تنطق العذراء ! يعنونه بذلك : قال ابن
عبد البر فى بهجة المجالس ٢ : ٦٤ : «كان
القاسم بن محمد يلبس الخبز ، وسالم بن
عبد الله يلبس الصوف ، وكانا يتجالسان
فى المجلس ويتحدثان الدهر ، لا ينكر واحد
منهما لباس صاحبه . . .

وأما سعيد فهو سعيد بن المسيب
الحزومى ، وأبوه المسيب من أهل بيعة
الرضوان . وفيه يقول الإمام أحمد :
«أفضل التابعين سعيد بن المسيب» ويقول
ابن حبان : «ما نودى بالصلاة من أربعين
سنة إلا وسعيد فى المسجد» .

وأما سليمان فهو سليمان بن يسار الهلالي ، مولى
أم المؤمنين ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وكان سعيد بن المسيب يقول للسائل : اذهب
إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقى اليوم .

وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن عبد
الرحمن الذى أسلفت شيئا من ترجمته
فى أول هذا الفصل .

أما سابع هذه الحلقة فهو خارجة بن
زيد بن ثابت الأنصارى ، وأبوه أبو خارجة
زيد بن ثابت كاتب الوحي ، وبه
كان يكنى . قال المصعب الزبيري فى كتاب
نسب قريش : «كان خارجة وطاحه يقسمان
المواريث ويكتبان الوثائق ، وينتهى الناس
إلى قولهما» .

فهذا تاريخ رجال الحقبة الأولى من
أحقاب التشريع الإسلامى فى عنفوانه .

أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله .

الجمل عند اليهود :

جاء في غزوة بني قريظة من السيرة ، أن سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد صالت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء ، سألته رفاعه بنى سموعل القرظي . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم وكان رفاعه هذا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعه ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الحمل - وهي عبارة تحتاج إلى وقفة وتفسير - قال : أي الراوى : فوهبه لها فاستحيته .

وهذه رؤية صادقة لحال من كان يدخل الإسلام من عرب اليهود ، فإنه يجد الإسلام قد وسّع له مجال الطعام في مطعم هو أشيع المآكل عند العرب وأقربها إلى أذواقهم ، وهو لحوم الإبل وشحومها .

وقد نص القرآن الكريم على ما كان من تحريم كثير من اللحوم والشحوم على بنى إسرائيل «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ، ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون » . يقول أهل اللغة والمفسرون

إن المراد بذوات الظفر يعم ذوات المناسم من الإبل والنعام ، لأنها كالأظفار لها ، وكذلك ما ليس بذى أصابع منفردة كالبط والأوز .

في مجال التأليف :

بسط الإسلام نوره على دنيا الثقافة بسطا عريضا ، فكان نشاط التأليف عبقرى من حيث العدد والكم ، ومن حيث النوع والكيف والكيف ، كما يقولون . وأمامنا أمثلة عظيمة من نشاط الجاحظ وأبي عبيدة ، والمدائني ، وابن سينا ، والصفدي ، وابن منظور . ولعل من ألمع المؤلفين في العصور القريبة العلامة ابن حجر ، وجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١) الذي يقول : شرعت في التصنيف في سنة ست وستين وثمانمائة - أي في السابعة عشرة من عمره - وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه » وقد استمر السيوطي بعد مقاله هذا يكتب ويؤلف . وقد عدّ له بروكلمان ٤١٥ مصنفًا ما بين مطبوع ومخطوط والعلامة فلوجل ٥٦٠ مصنفًا ، وذكر له الأستاذ جميل العظم ٥٧٦ مصنفًا بين كتب ورسائل ومقامات (عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فائمة فأكثر) .

وفي تاريخ ابن أبي عمير ١١٣ : أن مؤلفاته بلغت ستمائة مؤلف . وكان السيوطي قد برع في علوم كثيرة . وكان علم الحساب والمنطق في موقع منه يحشاه ويهيبه . يقول

« وأما علم الحساب فهو أعسر شيء على
وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت في مسألة
تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله » :

ويقول أيضا : « وقد كنت في مبادئ الطلب
قرأت شيئا في علم المنطق ، ثم ألقى الله
كراهة في قلبي ، وسمعت أن ابن الصلاح
أفتى بتحريمه ، فتركته لذلك ، فعوضني الله
تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف
العلوم » :

ويروي لنا السيوطي في ترجمة إسماعيل
ابن أبي بكر اليماني ، أنه كان غاية في الفهم
والذكاء ، صنف كتابا سماه «عنوان الشرف»
مجموعة في الفقه ، وفيه أربعة علوم غيره
تخرج من رموزه في المتن عجيب الوضع ،
وهو : نحو ، وتاريخ ، وعروض ، وقواف
في خمس كراريس في كامل الشامي .

ثم يقول السيوطي عن نفسه : « وقد
عملت كتابا على هذا النمط في كراسة
واحدة في يوم واحد وأنا بمكة المشرفة ،
وسميتها : النفحة المسكية والمنحة المكينة ،
جعلته مجموعة في النحو ، وفيه عروض
ومعان ، وبديع ، وتاريخ . ولا ريب أن هذا
عمل عبقرى يفخر به التأليف العربي .

لسان العرب :

قد يظن أن هذه التسمية تسمية فريدة
بين المعاجم ، وأن أول من أطلق هذه التسمية
على كتاب هو جمال الدين محمد بن مكرم

ابن منظور الإفريقي المصري . ولكنني عثرت
على نص في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
(ص ٤٤٠) يذكر أن لابن سينا الحسين بن
عبد الله كتابا سماه لسان العرب في عشرة
مجلدات .

ومن المعروف أنه كان للرئيس ابن
سينا مشاركات شتى في علوم العربية ، منها
كتاب أسباب حدوث الحروف ، وكتاب
الملح في النحو .

ويذكر القفطي في ترجمة أبي منصور الجبان -
معاصر ابن سينا ومنافسه في الدولة البويهية -
أن أبا منصور هذا شرع في تصنيف كتاب
في اللغة أحسن ترتيبه وتبويبه ، واستوفى
فيه اللغة غاية إمكانه ، وجاء كبيرا وسماه :
« لسان العرب » ومات قبل إخراجها من المسودة ،
فبقى على حاله . فهذا لسان عرب ثالث .

ولعل السر في إقبال ابن سينا على التأليف
اللغوي ، ما كان من هزيمته أمام أبي منصور
الجبان في مجلس علاء الدولة بن فخر الدولة
ابن بويه . يقول القفطي في إنباه الرواة
(٤ : ١٧٠) : « وبعد انفصاله من المجلس
- يعني الرئيس ابن سينا - نظر في اللغة وتبحر
فيها ، وعمل رسائل أودعها به نوعا متوافرا
من اللغة » .

تهذيب الحيوان :

من بين ما صنعت في مؤلفاتي : تهذيب
سيرة ابن هشام ، وتهذيب إحياء علوم
الدين للغزالي ، وتهذيب كتاب الحيوان

وقد ظن بعض الإخوة من الأدباء أني قد انفردت بهذا العمل في كتاب الحيوان، وراقه صنيعي، وكتب إلى مثنيا. والحق أنه قد سبقني إلى تهذيب الحيوان عالمان جليلان من علماء القرن السابع، أما أحدهما فهو شاعرنا المصري هبة الله بن جعفر بن محمد سناء الملك، المعروف بابن سناء الملك (٦٠٨) قال ياقوت في ترجمته: وصنف كتاب روح الحيوان، لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ. ويقول ابن خلكان (٢): (١٨٨) بعده في ترجمته له أيضا: واختصر كتاب الحيوان للجاحظ، وسمى المختصر: روح الحيوان. وهي تسمية لطيفة.

كما يشير صاحب كشف الظنون إلى أن للموفق البغدادي اختصاراً آخر للحيوان. والموفق هذا هو عبد اللطيف بن يوسف ابن محمد، المعروف بابن نقطة، المتوفى سنة ٦٢٩، وكلا المختصرين قد ذهب في طيات التاريخ، فلم نر لأحدهما أثراً.

مقامات الحريري:

جاء في تاج العروس (زوك): وزا كان مدينة بالعجم، منها عبيد الزاكاني صاحب المقامات التي ضاهى بها مقامات الحريري فأغرب وأعجب، وهي بالفارسية، رأيتها في خزانة الأمير صرغتمش.

أجزاء القرآن الكريم:

يروى اليعقوبي في تاريخه (٢: ١١٣) أن مصحف علي بن أبي طالب كان في

سبعة أجزاء: الجزء الأول: البقرة وسورة يوسف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وحكم السجدة، والذاريات، وهل أتى على الإنسان، وآلهم تنزيل السجدة والنازعات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت، وسبح اسم ربك الأعلى، ولم يكن، وهو جزء البقرة، وعدد آياته ثمانمائة وست وثمانون آية، وهو ست عشرة سورة.

وعلى هذا النمط وتعداد الآي الست والثمانين والثمانمائة يكون جزء آل عمران (١٥ سورة) وجزء النساء (١٧ سورة) وجزء المائدة (١٥ سورة) وجزء الأنعام (١٦ سورة) والأعراف (١٦ سورة) والأنفال (١٦ سورة).

وقد وجدت في مطالعاتي وفيما أحيت من التراث أن أول محاولة لتجزئة القرآن كانت تجزئة حسابية عددية لا تجزئة مصحفية كما هو المألوف في المصحف الكريم المتداول بيننا اليوم، وهي المحاولة التي رواها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في مجالسه (١: ٦٣) التي حققها منذ خمسة وثلاثين عاماً يعزوها إلى القارئ المكي حميد الأعرج المتوفى سنة ١٣٠، أنه حسب نصفي القرآن بعدد الحروف، ثم ثلاثة أثلاثه وأربعة أرباعه إلى أن انتهى إلى عشرة أعشاره، وبلغ من دقته أنه كان يجزئ الكلمة الواحدة في التعداد فيجعل على سبيل المثال (ما) نهاية للثمن الأول من المصحف و(واهم) بدءاً للثمن الثاني، وهي كلمة (مأواهم). ومن

البديى أن هذا التقسيم إنما هو ضرب من العناية والدراسة لا دخل له بتجزئة الكتاب الكريم . ومهما يكن فإنه يدل على عبقرية حسابة .

أما أقدم تقسيم مصحفى منصوص عليه فهو التقسيم الرباعى المنصوص عليه فى البرهان للزركشى (١ : ٢٤٤) بناء على تأويل الحديث عن واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت السبع الطول مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثانى مكان الزبور وفُضِّلَت بالمفصَّل » .

فالسبع الطول أولها البقرة وآخرها براءة ، لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة -- أى التوبة -- سورة واحدة . والمئون ماولى السبع الطول ؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب . والمثنى ماولى المئين لأن الأنباء والقصص تثنى فيها بصفة خاصة . والمفصل : ماولى المثانى من قصاص السور ، سمى مفصلاً لكثرة الفصل بين السور بالبسملة .

ونحو هذا التقسيم مع شئ من التفصيل فى الإتيان للسيوطى (١ : ١٧٩ - ١٨٣) .

ولعل أول إشارة لتحزيب المصحف وتجزئته إلى ثلاثين ، ماورد فى البرهان للزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤) ١ : ٢٥٠ إذ يقول :

«وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها » .

ولعل لفظ (الرابعة) الوارد فى هذا النص يعنى به المجموعة التى تربع ؛ أى تحمل وترفع .

وقد شاعت أيضاً كلمة (الخمسة) ويذكر المرتضى الزبيدى فى مستدرک تاج العروس أن الخمسة بالفتح ، ويكسر : المصحف ، عامية . ووصفه اللفظة بأنها عامية ليس كما ينبغى ، والأولى أن يقال إنها مولدة صحيحة ؛ لأن القارئ يهتمها بإكمال تلاوته لها جميعها فهى تسمية باسم المرة .

الفية ابن مالك :

من المعروف أن عدد الأبيات التى نظم فيها ابن مالك ألفيته هو الألف . وقد بدا هذا واضحاً فى كل مخطوطاتها وطبعاتها . لكنى وجدت الصبان فى حاشيته على شرح الأشموني (٤ : ٢١٧) فى اب الوقف يقول ، تعليقاً على بيت ابن مالك :

ووصلها بغير تحريك بنا
أديم شدّ فى المدام استحسنا
قال : يوجد فى بعض النسخ قبل هذا البيت :

ووصل ذى الهاء أجز بكل ما
حرّك تحريك بناءً لزمنا

من تاريخ الخط العربى :

يقولون : إن أول من جوّد المصاحف خالد بن أبى الهيثاج ، وكان منقطعاً إلى الوليد ابن عبد الملك ، يكتب له المصاحف ، وكذلك

أخبار العرب وأشعارها . ومن بعد خالد عرف مالك بن دينار السامي ، مولى سامة ابن لوئى المتوفى سنة ١٣١ ، وتعاقب التجويد بعد ذلك حتى بلغ غايته على رأس الثمائة على يد أبى على محمد بن مقله ، وابنه عبدالله ابن مقله . وأبو على هو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط وضبطها فى إحكام صادق ، وسمى خطه بالخط المنسوب ، وفيه يقول أبو عبيد البكري صاحب المعجم :

خط ابن مقله من أروع مقلته

ودت جوارحه لو أصبحت مقلا

وفى أوائل القرن الخامس ظهر أبو الحسن على بن هلال البغدادي ، المعروف بابن البواب المتوفى سنة (٤١٣) وقد نوّه أبو العلاء المعري الضرير بابن هلال هذا فى إحدى بغدادياته ، إذ يقول فى نعت الحلال :

ولاح هلال مثل نون أجادها

بجارى النضار الكاتب ابن هلال

وجارى النضار : ماء الذهب .

ويقول ابن خلكان : وسألنى بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين من جملة أبيات فى صفة كتاب :

كتاب كوشى الروض خطت سطوره

يد ابن هلال عن فم ابن هلال

فقلت له : هذا يقول : إن خطه فى

الحسن مثل خط ابن البواب ، وفى بلاغة

الفاظه مثل رسائل الصابى ؛ لأنه ابن هلال أيضا .

والصابى الذى يشير إليه ابن خلكان هو المترسل أبو إسحاق بن إبراهيم بن هلال ، المتوفى قبيل سنة ٣٨٠ .

وبذلك نستطيع أن نضيف إلى معجم المثنى والمثنى « ابنا هلال » . . .

ومن عرف بجودة الخط بعد ابن هلال ، ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى ، صاحب المعجمين ، المتوفى سنة ٦٢٦ ثم ياقوت بن عبد الله الرومى المستعصم مولى المستعصم ، المتوفى سنة ٦٨٩

الثقة بالتواريخ المعاصرة :

من الخطأ الفاحش الدليل أن يكلف مؤرخ معاصر تكليفا ديوانيا أن يكتب تاريخا بإيعاز من ولى الأمر مهما سمت منزلته وعرف بالنزاهة ونقاء الحبيب وسلامة النفس ؛ إذ ليس من طبيعة البشر إلا أن يجاملوا معاصريهم ومن هم فوقهم مهما تصنعوا من عدالة وإنصاف . فهذا الأسلوب مضیعة للتاريخ وبهتان عظيم .

ومن نماذج هذا الخطأ فى القديم ما أمر به عضد الدولة بن بويه الديلمي أبا إسحاق الصابى السابق الذكر ، أن يصنع له كتابا فى أخبار الدولة الديلمية ، فعمل الصابى هذا الكتاب وسماه «الكتاب التاجى» فماذا حدث بعد ذلك؟ قيل لعضد الدولة هذا :

إن ضديقا للصبا في دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبويض ، فسأله عما يعمل فقال : أباطيل أنمقها وأكاذيب ألقها !

يقول ابن خلكان راوى الخبر : « فمحركت ساكنه وهيبت حقه . ولم يزل مبعداً في أيامه » .

وكان عضد الدولة قبل هذا التكليف قد أرهبه واعتقله ، وعزم على إلقائه تحت أيدي الفيلة . فشنعوا فيه ، ثم أطلقه ورسم له أن يكتب هذا التاريخ الملقق المنمق .

القسامة :

جاء في اللسان (قسم ٣٨٠) : القسامة بالضم : ما يأخذه القسام من رأس المال عن أجرته لنفسه من رأس المال ، كما يأخذ السامرة رسماً مرسوماً لا أجراً معلوماً ، كتواضعهم أن يأخذوا من كل ألف شيئاً معيناً . . وذلك حرام .

ثم يقول : قال الخطابي (وهو أبو سليمان حمد أو أحمد بن إبراهيم بن الخطاب المتوفى سنة ٣٨٨ ، وكان فقيهاً محدثاً) قال : ليس في هذا تحريم ، إذا أخذ القسام أجرته بإذن المقسوم لهم ، وإنما هو — أى التحريم — فيمن ولي أمر قوم ، فإذا قسم بين أصحابه شيئاً ، أمسك منه لنفسه نصيباً يستأثر به عليهم . وفي هذا النص الذى أورده صاحب اللسان ما يكون ضميمته وسنداً لما يجرى من خلاف حول المعاملات المصرفية الحديثة .

في مجال النحو واللغة :

الدال اليايسة :

من أغرب ما وجدته في تعبيرات الضبط اللغوى المعجمى ، ما جاء في كتاب : « تحفة الأييه فيمن نسب إلى غير أبيه » من نوادر المخطوطات (١ : ١٠٦) يقول مؤلفة الفيروزباده في ضبط جحدم : بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليايسة ، بدلاً من قوله : « الدال المهملة » ، كما هو المألوف عند أصحاب المعاجم .

(ترجمة الجيم في الأعلام والكلمات الأعجمية) يختلف العرب المعاصرون في ترجمة ما أوله جيم غير منطوقة من الأعلام والكلمات الأعجمية ، فأهل مصر يجعلونها جيماً قاهرية ، وكثير من العواصم العربية يجعلها غيناً أو كافاً .

جاء في طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١٢٩) : « ويقول أبو بكر الرازى في كتاب الحارى : إنه ينطق — أى يطرد — في اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم غيناً وكافاً ، فيقال — مثلاً — جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز » .

الاعراب :

كما أسرف قوم في إهمال الإعراب جهلاً أو تخلصاً من الأخطاء ، نجد أن قوماً من العرب قد أسرفوا على أنفسهم

فأجروا الإعراب في الكلمات كلها وصلاً
ووقفاً .

وجدت في كتاب سيبويه (٤ : ١٦٧
هارون) « وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة
يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو ،
ومررت بزيدى وعمرى . جعلوه قياساً واحداً ،
فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف .

تنوين الموصوف بابن :

من المعروف عند علماء الرسم أن تنقص
ألف ابن وابنة إذا وقع أحدهما مفرداً
نعتاً بين علمين مباشرين أو لهما غير منون
وثانيهما مشهور بالأبوة ، ولو ادّعاء بشرط
ألا يكون في أول سطر .

وهذا هو الجارى في مألوف الرسم
أو الإملاء كما يقولون ، ونص عليه علماء النحو
أيضاً ، لكن هناك خلافاً في نحو : أبوبكر بن
أبي قحافة ، وعبد الله بن أم مكتوم ؛ أى
إذا وقع ما قبل الابن مضافاً أو وقع ما
بعد الابن مضافاً .

يقول الصبان - وهو نص نادر - :
« وجزم الراعى بوجوب تنوين المضاف
إليه ، وكتابة ألف ابن إذا كان الموصوف
بابن مضافاً ، كما في قام أبو محمد ابن زيد .
واختاره الصفدى في تاريخه بعد نقل
الخلافاً واختاره أيضاً المصنف - أى ابن مالك
إذا كان المضاف إليه ابن مضافاً ؛ أى في
نحو رأيت محمداً ابن زين العابدين » .

فهذان النموذجان عندهما يكتبان ويقرعان
بتنوين ما قبل الابن ، وبإثبات ألف ابن
في الكتابة كذلك .

والراعى الذى ذكره الصبان هو محمد
ابن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسى ،
نزيل القاهرة ، المتوفى سنة ٨٥٣ ، له شرح
على الألفية والآجرومية .

واحد عشر

والواحد والعشرون

الفصيح فيهما أن يقال : أحد عشر
والحادى والعشرون لكنهما وجهان جائزان .

وفي التصريح (٢ : ٢٧٧) : « وحكى
الكسائى عن بعض العرب واحداً عشر على
الأصل ، فلم يلتزم القلب كل العرب » .

وقد علق الأشمونى على هذا بقوله :
« وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم :
واحد عشر فشاذ نبيه به على الأصل المرفوض » .

ثم يقول : « قال في شرح الكافية : ولا
يستعمل هذا القلب في واحد إلا في تنييف ؛
أى مع عشرة أو مع « عشرين » وأخواته .

أى أن :

نخطئ كثير من الكاتبين والمتكلمين
في استعمال أن المفتوحة الهمزة بعد أى
التفسيرية ، والصواب « أى إن » بالكسر ؛
لأنها تكون تفسيراً لكلام سابق ، أى
لجملة لا لكلمة ، وإذن فإن الواقعة بعدها
هى بدء الكلام فوجب كسر همزتها .

ومثاله ما أسعفتي به ابن منظور حينما أنشد
بيت أمية بن أبي الصلت في مادة (عول) :
سأع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيعة ورا
وفسره فقال : « أى إن السنة الجديدة
أثقلت البقر بما حملت من السلع والعشر » .
ولو أخطأ لقال : أى أن السنة الجديدة .
وعلى هذا إذا فسرنا قول الشاعر :
وترميني بالطرف أى أنت مذنب

وتقليني لكن إياك لا أقل
قلنا : «أى إنك مذنب» لا «أى أنك
مذنب» .

أما أى المفسرة للمفرد فلا تأتي بعدها .
إن مطلقاً ، بل نقول : هذا عسجد ، أى
ذهب ، وغضنفر ، أى أسد ، وما بعد
أى عطف بيان أو بدل عند البصريين ،
وعطف نسق عند الكوفيين .

الطريقة :

كلمة مولدة قديماً ، تستعمل بمعنى
الكمية التى يجب عملها مطلقاً ، من نسج
أو بناء أو طلاء ، أو تصنيع ، أو كتابة أو
تأليف . وجاء في ترجمة عبد الملك بن سراج
النحوى من كتاب «بغية الوعاة» ٣١٢ أنه طال
عمره مع البحث والتنقيب ، وكان يقول :
«طريحتي في كل يوم سبعون ورقة» . واشتقاقها
من الطرح ، كأن الشيء يطرح أمامه ليعمله ، أو
كأنه طرحه من وراء ظهره بعد أن كان
مثقلاً به . وعبد الملك هذا ممن توفي سنة (٤٨٩)

الحازون :

كلمة عربية أصيلة ينسب إليها الشكل
الحازونى المعروف . وهى أحد ما جاء على
وزن فَعَلُول كالزرجون للخمر والكرم
والقربوس لحنو السرج ، والقرقوس للقمح
الأملس الغليظ . وفى اللسان : «الأصمعى :
حازون : دابة تكون فى الرمث » . وفى
القاموس : «دابة تكون فى الرمث أو من
جنس الأصناف » ، ويفسره الدميرى
فى «حياة الحيوان» بأنه دود فى جوف أنبوبة
حجرية يوجد فى سواحل البحار وشطوط
الأنهار . وهذه الدابة تخرج بنصف بدننها من
جوف تلك الأنبوبة الصدفية ، وتمشى
بمنة ويسير تطلب مادة تغذى بها ، فإذا
أحسّت بلين ورطوبة انبسطت إليها ، وإذا
أحسّت بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت
فى جوف الأنبوبة الصدفية حادراً من
المؤذى لحسها ، وإذا انسابت جرت معها
بيتها .

وفى معجم المعالوف ٢٣١ : «والحازون عند
عامة أهل الشام : الصغبر منه يسمونه فى العراق
زلنطح وسانطح . ويقول الصبيان : سلنطح
ياسانطح ، طلع قرونك وانطح .

قلت : ولعل هذا تأصيل لما تقوله
عامة المصريين للرجل العيسار المزهوب
الجانب - لعدم مبالاته - «ظانط حجي» يعنون
أنه إذا استثير صارع قرنه برأسه لا يبالي
ما صنع . و«جى» هى علامة النسبة فى التركمية .

من غرائب التصحيف :

والتصحيف آفة من آفات العلماء لا يكاد عالم
فاضل يخلو منها، مهما أوتي من علم . جاء
في شواهد الأشموني قول ذي الرمة :

ويسقط بينها المرثى لغوا

كما ألغيت في الدية الحُوارا

والبيت بهذه الصورة السليمة موثق
مفسر في ديوان ذي الرمة، ويقول الصبان،
وهو نحوي جليل في التعليق عليه ٤ : ١٩٢ :
قال البعض : لبس بنظم ، وانظر ما ضبطه

وما معناه ، فإنني لم أقف عليه ، لكن وجد
في بعض النسخ على كونه نظما من بحر الوافر :

ويسقط منهما المرثى لَقُوا

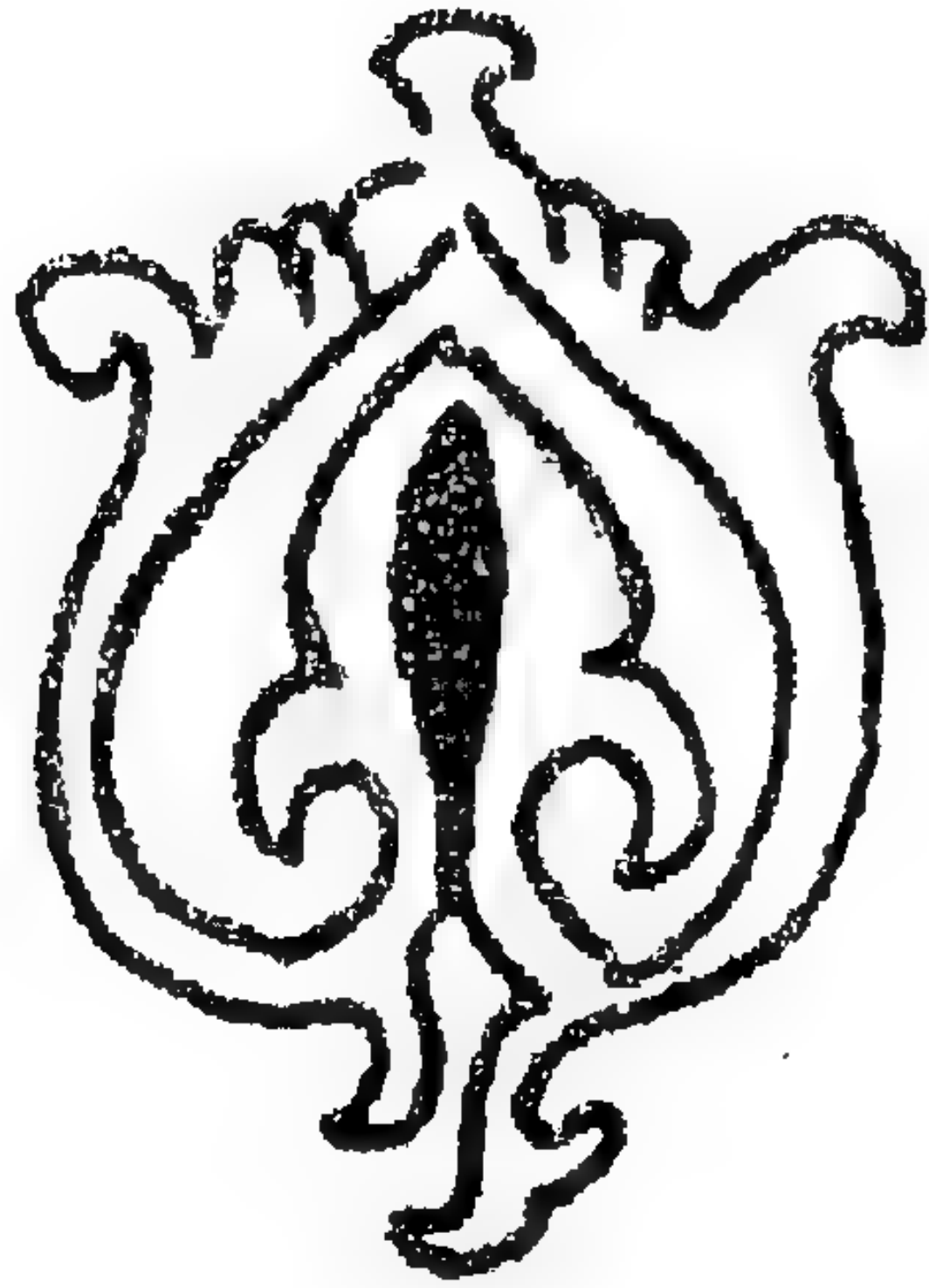
كماء العنّيب في الدُّبّة الحوّاء

بضمير التثنية في «منهما» وضبط «لَقُوا»

كغزو ، وسكون نون العنّيب وتخفيف
باء الدُّبّة وواو الحوّاء .

وهكذا أفلت الزمام من عالم جليل ،
ولكن لم يفلت زمامنا في الحكم له بالفضل
فلكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة .

عبد السلام هارون
عضو المجمع



تصحيح الأخطاء

للأسناد محمد الفاسي

الجرائد والمجلات ، أي ما كنا نطلق عليه اسم الصحافة .

سيدى الرئيس :

أيها الزملاء الكرام :

ولقد اهتم العرب منذ القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بتصحيح الأخطاء في كتب يسمونها عادة أخطاء الخواص ، والأمر ليس خاصا بالعربية ، فاللغات الحديثة كلها تتعرض لهذه الأخطاء بسبب تعميم التعليم الابتدائي الذي يجرى كل واحد على الكتابة والتأليف، حتى من كانت بضاعته مزجاة، وإذا أخذنا مثالا لذلك في اللغة الفرنسية، نرى كبريات الصحف اليومية تخصص ركنًا لتصحيح أوضاع اللغة الفرنسية، وتوجد هيئات ترعاها الحكومة تسهر على سلامة اللغة، وترجع الناسد منها إلى الصواب ، وتبعد الدخيل الإنجليزي الذي يغزو الآن لغات الدنيا، وتحل محله ألفاظا فرنسية ، وفي الأسبوع الماضي قدم السيد «الانج» وزير الثقافة الفرنسي للصحافة مائة كلمة فرنسية لتحل محل نظيراتها الإنجليزية .

وقبل أن أتعرض لتصحيح بعض هذه الأخطاء والتحريفات، وأنا أعني بهذا منذ

إننى أشكر مجتمعنا العتيد على اختياره موضوع لغة الصحافة لأبحاث هذه الدورة من المؤتمر، لأن أمر تفشي الأغلط في لغتنا من حيث اللغة والصرف ومعانى الألفاظ والتراكيب ودخول الهجئة عليها ، بلغ من الخطورة حداً جعل كل المهتمين بمستقبل اللغة العربية يخافون عليها؛ إذ أن هذه التحريفات أكثر ضرراً عليها من الدعوة إلى العامية ، لأن هذه الدعوة قد برهن الزمن للعقلاء من أمتنا على مضرتها وتسليحوا ضدها بشتى الوسائل، ولكن نسبة هذه الأخطاء للصحافة وحدها صار غير صحيح في وقتنا هذا ، فمنذ كتب «اليازجى» عن لغة الجرائد ومن جاء بعده ممن عالجوا هذا الموضوع ، ظهرت وسائل أخرى إعلامية أعمق أثراً في المجتمعات، وأشمل نفوذاً مما تسرب حتى في أقلام العلماء والكتاب ، ثم إن هذه الوسائل لم تبقى محدودة في نطاق بلد واحد، ولكنها انتشرت في كل العالم العربي أكثر من انتشار

(*) ألقى في الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ)

المرافق ١٥ من فبراير ١٩٨٣ م .

زمن طويل . واجتمع لدى الشيء الكثير منها
عدة مقالات في جريدة الرسالة التي تصدر
في مدينة سلا بالمغرب في هذا الموضوع
تحت عنوان «تصحيح الأوضاع» - أقول
قبل ذلك ينبغي أن أشير إلى أسباب تمحاش
هذه الظاهرة التي عملت وسائل الإعلام
المسموعة - أكثر من غيرها - على تفشيها ،
والسبب الأول هو إصرار العرب على عدم
استعمال الشكل والضبط على ما يكتبون .
فن هنا مئات الأغلاط اللغوية والنحوية ،
وإذا كنا في العصور الماضية لا نحتاج إلى
ذلك ، لأن عدد المثقفين كان قليلا ، وكان
لهم من الوقت ما يكفيهم في صغرهم
وشبابهم لتعلم قواعد النحو العربي الكثيرة
المتسعة ، فإن ظروف العصر الحاضر لا تساعد
على ذلك ، وأنا أعتقد أن العربية أسهل
اللغات ؛ لأن قواعد هاليس فيها شذوذ ؛ كما هو
الشأن في اللغات الغربية مثلا ، وذلك لأن
واضعي النحو العربي كانوا من العباقرة
النبغاء ؛ إذ اهتموا إلى جعل قاعدة لكل ظاهرة
نحوية كتابة وإعرابا ، مما جعل من جهة أخرى
حفظ هذه القواعد والاستيلاء عليها يتطلبان
زمنًا طويلا لذلك ، حيث يضيق بنا الوقت
لاستيعابها ، واليوم يتعين ، بل يجب تلافى
الأخطاء بشكل كل ما ينشر على الناس .
ولاحظُ فائدة هذا في طبع « المصحف
الشريف » الذي لا يلحن فيه أحد مطلقا
بفضل الشكل الكامل لكل ألفاظه .

والسبب الثاني : العجلة في نشر الخبر ،
مما لا يدع وقتا للمحرر التلغزى والإذاعى
للبحث والتنقيب عن اللفظ المناسب والتركيب
الصحيح ، ثم إن للمترجمين مسؤولية
عظمى في هذه الحالة السيئة التي صارت
إليها اللغة العربية ، وقد لاحظت هذا في
منظمة اليونسكو ونهت عليه ، وكم مرة
في أثناء الاستماع إلى مترجم أو مترجمة
أطلب الكلمة من الرئيس لأقول : إننى لم
أناضل النضال المرير أنا وزملائي العرب
لإدخال لغتنا إلى اليونسكو لكن نراها اليوم
تمزق بهذه الصورة ، ثم إننى عقدت مع
ثلة من المترجمين جلسة أطلعهم فيها على
ما أخذ بينتها لهم كتابة بعد ذلك .

ثم إن من المسؤولين على إفساد لغتنا
أصحاب المتاجر والمعامل وكل من يعلق
على محل عمله أو يكتب على سيارات نقله
أسماء ما يقوم به من عمل ، وأثال هؤلاء
يجب أن يردعوا .

وفي المغرب ، عند تأسيس الأكاديمية
الملكية المغربية ، جعل مؤسسها وراعيا جلالة
الملك «الحسن الثاني» - نصره الله - من أهدافها
أنها «تقوم بالمحافظة على صفاء اللغة العربية
وصحة الترجمة ، وأن ما تقرره من ذلك
ملزم» . ومن أمثلة هذه الانحرافات : الشركة
التي تسمى نفسها « المغرب خشب » وهي
تعنى بذلك بكل بساطة : « شركة خشب
المغرب » ، وكذلك « المغرب حليب » ولو

كان هذا التركيب صحيحا لكان معناه أن المغرب محلوب ، ولكنهم يعنون بذلك فقط : «شركة حليب المغرب» ومظاهر هذه التشويهات كثيرة :

ومن أسباب هذه الأخطاء الإهمال وعدم الاكتراث ، بدليل أننا نرى في كتابة علماء ومثقفين أغلاطا لا نجد لها حتى عند تلاميذ المدارس الثانوية ولا يمكن أن تنسب للمطابع ، لأن المطابع يمكن أن يغلط في حرف ، وأما أن يطبع من عنده تركيبا خاطئا - عرض صواب الكاتب - فهذا بعيد .

وهذه اللامبالاة ناتجة عن كسل فكري ، لأن الانتباه وتوخى الصواب - خصوصا في لغة المخاطبة - يتطلبان مجهودا عقليا يكسل عنه المتكلم والكاتب أحيانا ، وهكذا نسمع ونقرأ ألفاظ القناعة بمعنى الاقتناع ، ولا ندري من أين جاء هذا الخلط ، لأن كل عربي سليم الذوق يعلم أن من لم ينتظر أكثر مما جاءه في حظه واكتفى به فهو قانع ، أما الذي تشرح له مسألة حتى يصدق بها فهو المقتنع ، وقد حصل له الاقتناع ، ولكنك صرت لا تسمع في الخطب ولا تقرأ في الكتابات إلا القناعة ، وعسى الذين يغلطون في هذا المفهوم يرجعون عن غلطهم ويقتنعون بصواب الاقتناع عوض القناعة .

الغلط ناتج عن الرغبة في الهروب من النسبة إلى الجمع ، ظنا أن لفظة الشفاهى نسبة إلى شفاه جمع شفة ، والواقع أن الشفاهى - بمعنى غير المكتوب - هو نسبة إلى المصدر أى شافه يشافه مشافهة وشفاهها ، كما نقول : ناضل مناضلة ونضالا ، أما شفوى فهو ما ينسب لشفة كالحروف الشفوية مثل : الباء والميم ونحوهما : ومن هذه الأغلاط الشائعة استعمال لفظة المراقب أو المراقبين لمن يشاركون في اجتماعات عامة وطنية أو دولية بدون أن يكونوا أعضاء عاملين ، وبدون أن يكون لهم حق التصويت ، فهم مجرد ملاحظين observer, observew

وكنا في المغرب لا نسمع ولا نقرأ إلا لفظ ملاحظ حتى أخذ مديعونا يقلدون من يقول : «مراقب» عوض «ملاحظ» ، ولو تنبه هؤلاء إلى معنى المراقب لوجدوه أكثر حتى من عضو مطلق ، لأن من له حق المراقبة هو الذي يفحص أعمال من له رقابة عليه وينتقده ويوجه له اللوم إن اقتضى الأمر ذلك .

وكذلك المتبعون لأحوال بلاد ما - من حيث السياسة - فهم كذلك ملاحظون لا مراقبون ، ولكنك لا تسمع ولا تقرأ إلا «يرى المراقبون» ، «ويقول المراقبون» : ونحو هذا . . . وقد وصلت أخيرا هذه العدوى إلى المغرب .

ومن الأخطاء الكتابية ما يتعلق بالهمزة ، وخصوصا الهمزة المضمونة في وسط الكلمة ، التي تكتب هنا في مصر فوق الياء مثل :

ومن ذلك استعمال لفظة الشفوى لما هو غير مكتوب والمقصود الشفاهى ، وهذا

صاحبها : والله لا أدري بالضبط ولكن
المعجم هنا وسأناديه ليخبرنا بذلك « معجم
الأدباء » ج ١٠ ص ١٠٠ .

ومن الأغلاط الشائعة: النسبة إلى كلمة
لاعلة في آخرها وبدون موجب بزيادة
واو .. وهذا ينم - كمظاهر أخرى من هذا
التشويه - على فقدان الملكة العربية، فما أحوجنا
أن نقول : « الإدارة الغابوية » ، والنظام
الأسروي ، والحركة الوحدوية » ، في
حين أن التركيب الإضافي هو آلف في هذا
المقام ، فقولنا : إدارة الغابات ، ونظام
الأسرة ، وحركة الوحدة، أخف على
اللسان وأنسب للسليقة العربية .

ومن هذه الأخطاء التي تدل على الجهل
باللغة استعمال لفظة « أخصائي » للدلالة على
العالم أو الخبير المتخصص في فن ما ، ظنا
من مخترعها الأول أنها مشتقة من مادة
« خص » ، والواقع أنه رأى هذه الكلمة مكتوبة
بدون شكل هكذا « ا ، خ ، ص ، همزة
فوق الياء ، وياء النسبة » فقرأها أخصائي ،
في حين أن مستعملها كان يعلم ما يقول ولكن
لم يشكل ، أو بالأحرى لم تشكل المطبعة (وهذا
داء عضال) فلم يقرأها على صوابها وهو :
إخصائي - اصطلاح عربي للخبير بالشئ
العارف له معرفة دقيقة .

ومن التقليد للغة الفرنسية - بالخصوص
عند أبناء المغرب العربي - استعمال لفظة
« الوطن الأم » ؛ لأن لفظة الوطن Parrie

« شئون » ولعمري لا أدري ما الخامل على
ذلك ، وجعلها فوق الواو متيسر كجعلها
فوق الياء ، أما عندنا في المغرب فإننا
كثيرا ما نرى الهمزة المكسورة مكتوبة
فوق الألف ، ولكن هذا يقع فقط في
الآلة الكتابية ؛ لأن صانعي هذه الآلات قبل
اليوم كانوا لا يعتنون بسبك هذا الحرف ؛
أي الألف « تحته همزة » ، ومن هذا القبيل
إهمال النقطين تحت الياء في آخر الكلمة ،
فيلتبس مثلاً على بعلى .

وأما فوضى كتابة الهمزة فإنها عامة ، ولكن
في المطابع التي لا تتقن عملها ، مع أن كتابة
الهمزة لها قواعد ثابتة ، وهذا مثل ما يتعلق
باللغة العربية كلها نطقا وكتابة ، يحتاج إلى
انتباه وتفكير ، خصوصا مع انعدام الشكل ،
وهو في نظري السبب الرئيسي لأكثر
الأغلاط التي صار الوعي العربي الآن
يتبعها بكل اهتمام .

ومن الاستعمالات الخاطئة استعمال لفظ
معمار بمعنى هندسة معمارية وتسمية المهندس
المهتم بالبناء معماريا ، ولكن الذي أعرفه هو
أن المعمار هو هذا المهندس نفسه ، وقد جاء
في الجزء العاشر من معجم الأدباء « لياقوت »
أن أحد الأمراء أيام العباسيين بنى دارا
جميلة وحضر الملك محمود بن نصر المرداسي
يوم الاحتفال بفتحها فأعجبته بما أعجاب ،
وسأل عن الثمن الذي لزم لبنائها ، فقال له

بالفرنسية مؤنثة ، وإن كان اشتقاقها من اللاتينية Peter لفظا مذكرا ، والأب مذكر في أكثر اللغات الأخرى ، فينبغي أن يقال ، الوطن الأب إذا كان ولا بد أن نقتبس هذا التعبير من اللغات الأعجمية .

ومن هذا القبيل - أى تقليد اللغة الفرنسية - تأنيث الأفعال الراجعة إلى اسم مذكر أضيف إليه اسم مؤنث ، فيقولون مثلا : توصلت جلالة الملك ببرقيات تهنئة ، والحالة أن العربية لا تبيح مثل هذا التركيب ؛ لأن المقصود هو المضاف إليه ما قبله ، أى لفظة الملك ، وسبب هذا أيضا أن أسلوب اللغة الفرنسية يفرض أن يعتبر فقط المضاف ؛ لأن صيغة هذه اللغة الوقوف مع الألفاظ ، وهو نوع من الحمود يصفون عليه صفة الوضوح ، فيقولون : الفرنسية لغة الوضوح .

ومن الاستعمالات الخاطئة عند التونسيين - متأثرين باللغة الفرنسية - قولهم : « المدينة أين ولد فلان » و « البلد أين أنا ذاهب » .

ومما عمت به البلوى في هذه السنين الأخيرة استعمالات فجأة لا يستسيغها الذوق العربي وتحدث التباسا في المفاهيم ، وذلك بقولهم : « التحديث » ، ويقصدون به جعل الشئ حديثا ، « والتعصير » : أى يجعل الشئ عصريا ، وسبب مثل هذه التراكيب هو اللجوء إلى ألفاظ

خاصة عوض استعمال جملة تفسيرية واضحة ، كأن يقال مثلا : موافق للعصر أو متمشٍ مع الطرق الحديثة ، وهكذا لا يلتبس الأمر لا بتعصير الفواكه ولا بسرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وأبشع منهما «التطبيع» بمعنى إرجاع العلاقات الطبيعية ، وفى بلاغة اللغة العربية ما يكفي للتعبير عن كل هذه المعانى بألفاظ جزلة واضحة .

ومن باب تفخيم الأشياء فى بعض البلاد العربية تسمية أشياء بسيطة بألفاظ فخمة ، فالمدرسة - وإن كانت ابتدائية - معهد ، والتلاميذ طلبة ، والمعلم الابتدائي أستاذ ، والجمعية رابطة ، والأمم الفقيرة المتخلفة - وهذا عندى هو المقصود بالذات فى هذا الفصل - نامية ؛ أى نمت وتم نموها ، وهذا الاستعمال أصله الإذاعات الأوربية الناطقة بالعربية وهى تتعلق منتجى النفط ، ولا تريد أن تجرحهم بنعتهم بالأمم المتخلفة - وهو أصدق تعبير عن حاله هذه الأمم - فأخذوا يقولون أولا : الأمم التى تسير فى طريق النمو ، ثم قفزوا قفزة واحدة إلى نعتها بأنها لم تبق فى طريق النمو ، وإنما وصلت إلى النمو وصارت نامية ، وأحسن ما يعبر به عن هذا المفهوم لفظة متنامية ؛ لأن «تفاعل» فى العربية يؤدى هذا المعنى ، فتقارب مثلا - يسعى نحو القرب . وتماثل للشفاء دخل فى طور النقه ، وقد أخذ بها كتاب العراق ، وقد نشرتها فى المنتديات الدولية كاليونسكو واليونسكو :

ومن التراكيب الشائعة في هذا العصر استعمال فعل «عانى» بدون مفعول كأنه لازم، ويركبونه مع حرف الجر «من» فيقولون مثلاً : «وأهل القرية يعانون من قلة الماء»، ولا يقولون ماذا يعانون، وهذه ترجمة للكلمة الفرنسية Sou Pprir de وهو فعل لازم ويأتي أحياناً متعدياً ، وهذا من أمثلة سوء الترجمة ، ولكن هذه العبارة كتب لها انتشار كبير ولا تخلو منها جريدة ولا خبر إذاعى أو تلفزى .

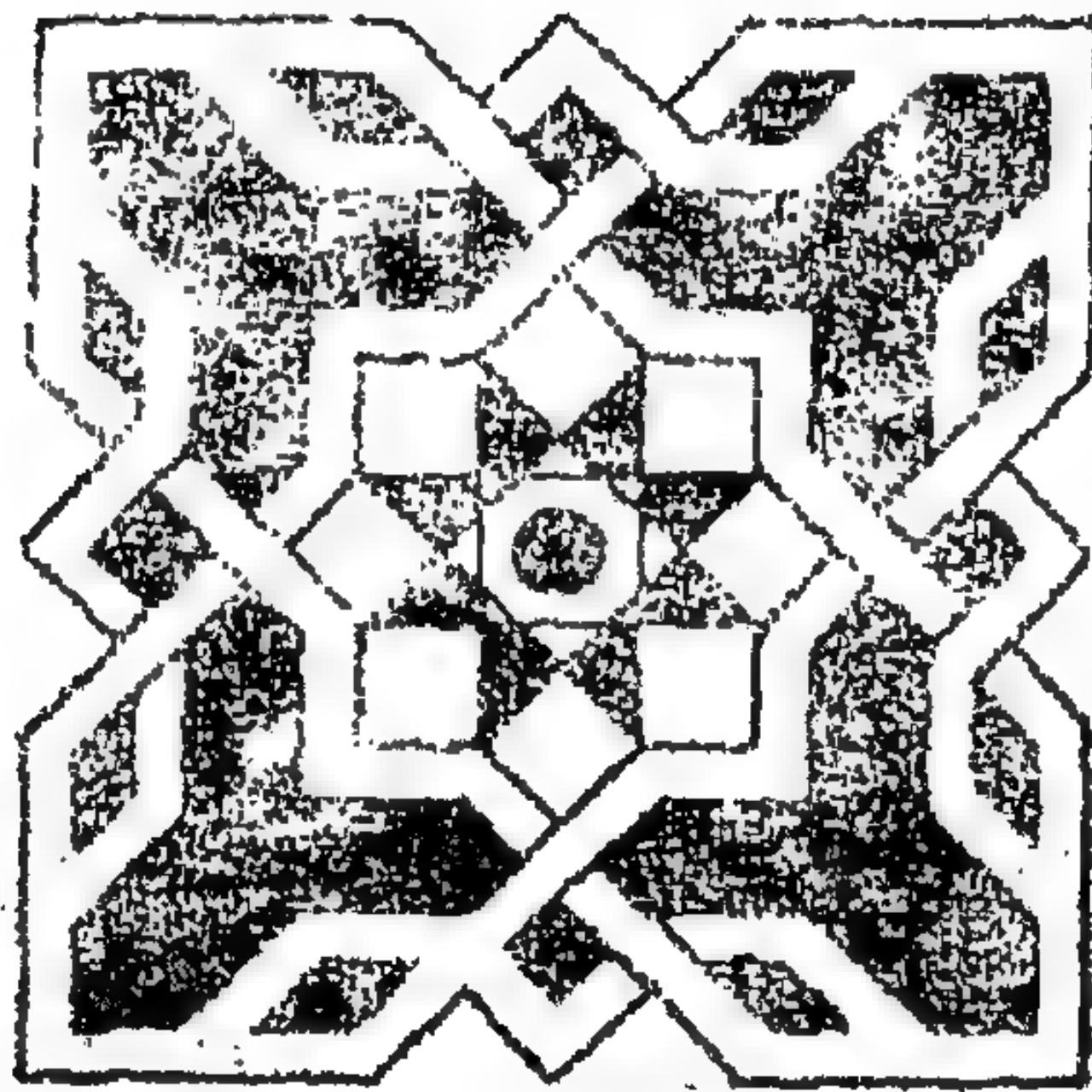
وإني أعفيكم من التصحيحات التي تعرض لها الأستاذ والزميل الفاضل سعيد الأفعاني ؛ لأنه أثالج الصدر بتصحيحاته وذلك كاستعمال «الكوادر» لما نسميه «الأطر» أو الإطارات ، وأزيد : أن كوادر - زيادة على هجنتها وبشاعتها في العربية - لها معنى فاحش في العامية المغربية ، وأما

« مدير عام الشركة » - ولا يمكن أن يقرأ إلا هكذا - فهي من علامات أخرى لانعدام السليقة العربية . هذه هي الطامة الكبرى التي اعتبرها عنوان هذا الانحطاط الذي أصاب بعض نواحي لغتنا الحية القوية، التي لا يمكن لكل هذه الانحرافات أن تزيل عنها رونقها ومقامها؛ لأنها محفوظة من قبل المولى تعالى الذي أنزل بها كلامه القديم .

وأريد أن أختم هذه الكلمة الوجيزة بما قاله أحد حكماء اليونان وهو «أنثيستان» من رجال القرن الرابع قبل المسيح، قال : « إن الاستيلاء على الألفاظ هو رأس الحكمة » ، والسلام عليكم ورحمة الله .

للاستاذ محمد الفاسي

عضو المجمع من المغرب



الروح

للكثر حسن على إبراهيم

إذا جالسى النهار الشمس صبحا
وإن وفى الهلال بعجنج ليل
وزينت السماء كفرط ماس
فسبح باسم فاطرها جميعا
لمن أعطى الحياة لكل حي
خلقنا من تراب ثم صرنا
وما الأجسام إلا من جواد
فرب يميت الذرات حسن
دم من ميت الذرات يجرى
فهل للكلس والفسفور لب
أيغضب ما مكونه جواد
وتنتج ذرة الكربون شعرا
ويشادو الميت من ماء وملح
ويكتب ميت الكبريت سفرا
هى الروح التى دبت فأوعت
وأما الروح ذى من أمر ربى
وما أوتيت إيمان علم قليل
وهل يحى الجواد سوى قدير
وفى هذى الخوارق خيرود
ومن ماري فقد ماري بقلب

وسال نضارها فى الخافقين
فأرسل نوره مثل الأجين
بكل نجومها والفرقدين
وخالق لبنا والأصغرين
وكون ماءها من عنصرين
بعين نجلي وبمسمعين
كصخر قد من جبلى حنين
تعالى الله رب النيرين
فيدفعه الأذنين إلى بطين
وهل يرنو الجواد بمقلتين ؟
ويعسى الترب وهو قرير عين ؟
ولوحات تسر الناظرين ؟
فيطرب قلبنا والسامعين ؟
فتفهمه كهارب ذرتين ؟
محركة الحسواطر واليدين
وسر عند رب المشرقين
كرشف من مياه الرافدين
تناهى قدرة فى العالمين
لزندقة وهرطقة ومين
ونفس فى الضلالة غارقين

ومما راعني أني ملاق
 قريب فـهـر في نفسي وحسي
 لمن قلبي هـواه ولا أراه
 وبعد الموت روعي في يديه
 فهل يغضى عن الأوزار طرا
 وما من شيمتي أبدا خـداع
 ولي من خشيتي أبدا شفيع
 وقد إزان المشيب صلاة عبد
 وهل تجدى شفاعته مستجير
 وحب محمد خير البرايا
 رسول الله زرتك في منامي
 قضىء خـواطري وتنير قلبي
 فأني للرسول حبيب صادق
 دعوت إلى الهدى فأنجاب ليل
 ظلام الجهل فوق ظلام كفر
 فإن الحق أمضى من مواضع
 رسول الله كنت ختام هدى
 عرجت إلى السماء فزدت قدرا
 وكنت ختامهم بكتاب حق
 ومن بعد الرسول أهاب رهط
 فكوكبة سرت للشرق تهدي
 فعم الدين والإيمان أرضا
 عبادت الله إيمانا وحسبا
 فطاعة خالق وجميل فعل
 وحب محمد بشغاف قلبي
 قضيت العمر في كبد أعاني
 فصفحا يا غفور وحسن مشوى

إله الكون بعد نوى وبين
 ويعرف ذاتي وثقيل ديني
 ومن روعي لديه حين حيني
 فماذا بين ماض لي وبيني ؟
 وقد فاض الشباب بكل شين ؟
 وما آذيت إنسانا برين
 فكنت أرى النهاية قيد عيني
 فبعد الشين جئت بكل زين
 تناهت بعد شيب السالفين ؟
 أيردف دعوتي بشفاعتين ؟
 وفي صحوى وأنت بكل فين
 لأمضى في طريق الجنتين
 والله المهيمن خير قين
 غشى قلب الأنام بغيبين
 فدك الحق تين القلعين
 مهنادة وسمر من ردين
 وفقت المرسلين برتبين
 عليهم باجتيـاز البرزخين
 فزيت الحبـين بدرتين
 بمن ظلالا بغى سادرين
 وكوكبة هدت في المغربين
 يضىء وكنت نور الكوكبين
 أخير منهما من محصنين
 حببت من الإله بنعمتين
 أتنزع مقلة من محجرين
 سهام الغدر تدمي الجانبين
 وهب لي منك تين الراحتين

حسن ابراهيم
 عضو المجمع

اللغة المصفاة

دكتور أحمد عبدالستار الجباري

تمهيد :

أهل مما اعتاد عليه أهل الفكر في العصور المختلفة أن يشهدوا الاختلاف في العناية بأمر اللغة بين علماء اللغة الحراس عليها ، وغيرهم ممن يضيق ذرعاً بمقاييس اللغة وقواعدها ، أو يجد عنتاً في الالتزام بأصولها وأسسها . ومن هؤلاء من يعتمد العبث بتلك الأصول والمقاييس أو يزعم أن نقل الأفكار والتجارب العقلية والشعورية ليس مما يتوقف على ضبط قواعد اللغة والالتزام بها ، بل إن منهم من يدعو إلى نبذ ما يعرفه أهل العربية باللغة الفصيحة والعدول إلى لغة الحياة اليومية التي تعرف بالعامية أو اللهجات المحلية ، زاعماً أنها هي اللغة الحية حقاً ، وأن اللغة الفصيحة لا تملك من أسباب الحياة والحيوية إلا قدرًا يسيرًا .

على أن في جملة الحراس على اللغة الداعين إلى التزام الفصحى الصحيح فيها من لا يعبأ كثيرًا بالحاجات المتجددة في الحياة الفكرية والعلمية والتقنية ، التي تطلع في

كل آونة بجديد لا بد أن يجد له في اللغة ما يقابله اسمًا يسمى به أي لفظ يدل عليه . ومثل هذا الموقف قد يحمل من يقف في الطرف الآخر على أن يستهين بالتراث الفكري في اللغة ، ويحسب أن الحفاظ عليها سليمة فصيحة يقعد عن اللحاق بما ينتجه ويخرجه هذا الركب المغد في التقدم العلمي والتقني . ومن أهم ما يتذرع به هؤلاء أن ما يقال له الفصحى نبات بيثة بدوية صحراوية غير متحضرة ، فهو ليس بقادر على التعبير عن حاجات الحضارة ومسايرتها في تقدمها .

وهم بذلك يتجاهلون أن اللغة العربية كانت في عصور الازدهار الحضاري لغة العلم والفلسفة وسائر نواحي الحياة الفكرية والاجتماعية والمادية ، ولما تزال آثارها وآثار من كتب بها شاهدة على ذلك . تلك حقبة من تاريخ العربية بدأت منذ نزل بها الكتاب العزيز (قرآنا عربيا غير ذي عوج) استمرت على ذلك قرونا عديدة . إن هذه الإشارة ، بل اللمحة الموجزة مما يكفي ، وليست الإفاضة في مثل هذا مما يليق بهذا المقام .

(*) ألقى البحث في الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة ، الأربعاء ، يوم الاثنين ١٥ من جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٨٣ م .

إن قضية الفصاحة والبلاغة ما تزال
 - كما كانت من قبل - محل اختلاف
 بين من يعبرون باللغة وينشئون ، ومن
 يلقون ذلك التعبير ويتذوقون ، ويحكمون
 عليه بالجمال أو القبح . ثم بين من يعبر باللغة
 ممن يكون التأثير في نفس سامعه أو قارئه
 غاية أمله وكل مبتغاه ، أو من يكون غرضه
 الإغادة الدقيقة ونقل الأفكار في صورة لا
 لبس فيها ولا إبهام ، ولا غموض ولا التواء .
 الأولون هم الذين يقال عنهم الأدباء في
 ما ينشئون من شعر أو نثر ، قصة أو رواية
 ونحو ذلك من فنون الأدب قديمها ومستحدثها .
 والآخرون هم العلماء ومن يسلك مسلكهم في
 التعبير عن حقائق العلم ونظريات الفلسفة ،
 ونحو ذلك مما يتحرى فيه جانب الدقة وإصابة
 الغرض أولاً ، وإن من أشهر ما يؤثر عن
 أسلافنا في تعريف البلاغة قولهم : إنها إصابة
 القصد وبلوغه من أيسر طريق . وقالوا
 قولتهم التي جرت مجرى الأمثال : إنها
 مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وهي عند
 كثير منهم إصابة المعنى وبلوغ الغاية فيه ،
 دقة في العبارة وجمالاً في صوغها وتركيبها
 وإبلاغها إلى من يتلقاها واضحة جميلة ،
 سهلة المدخل في النفس ، حسنة التأثير فيها .

وهذا الاختلاف الذي كان بين القدامى
 من أهل العلم بالعربية له ما يشبهه عند
 المعاصرين من علماء اللسانيات Lin guistics
 فإن لهم في الحكم على اللغة بالصحة
 والخطأ مذاهب ثلاثة :

المذهب الأول هو الذي يستهدى
 بالتاريخ الأدبي ، وفيه تقاس الصحة اللغوية
 بمقدار الموافقة لما كان يجري على ألسنة
 شعراء وأقلام الكتاب وآثار الأدباء
 الأقدمين .

والمذهب الثاني وهو الذي يسترشد
 بالتاريخ الطبيعي ، وهو يرى أي اللغة كائن
 حي ، يتحول تحول الكائن الحي ويتطور دائماً
 إلى ما هو أحسن ، والبنية بهما الاعتبار تتطور
 وتتحول إلى ما هو أحسن وأفضل في
 جود من الحرية التامة التي لا تقيدتها قوانين
 ولا تتحكم فيها ضوابط ، وعلى هذا المذهب ،
 فليس في اللغة صحيح وغلط ، ما دام
 التطور يقضي بالحديد في الاستعمال ، وتحكم
 له بالغلبة على الألسنة والأقلام .

أما المذهب الثالث فهو الذي يصح أن
 يطلق عليه المذهب الاجتماعي أو النظرية
 الاجتماعية . وفيه يحكم بصحة اللغة وسلامتها
 وفصاحتها وبلاغتها بمقدار ما يؤدي إلى فهم
 السامع ويصل إليه ويبلغه مراد القائل في
 دقة وفي سرعة ، وبمقدار ما في أدواته من
 يسر وسهولة (١) .

(1) Jespersen: Mankind, Nation, and individual from a Linguistic Point of view
 (85 - 88) .

وهذا الموقف هو الذى يختاره علماء اللغة أولو التأتى والتزام جانب الموضوعية ، وهو الذى يوافق فى جملة موقف علماء العربية ويجرى على سننهم فى ما كانوا يمثلونه أو يتمثلون به بقولهم عن البليغ إنه يصيب المحز ويطبّق المفصل . ولقد أوجزت كل ذلك مقالة إبراهيم بن محمد المعروف بإبراهيم الإمام ، إذ يقول : يكفى من حظ البلاغة أن لا يوتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا الناطق من سوء فهم السامع .

وهو موقف يرمى الجانب الاجتماعى ويجعله أكبر همه ، ولا يقتصر فى حكمه على متن اللغة — ألفاظاً وتراكيب — مجرداً منتزعاً ممن ينشئه ويعبر به ، وممن يتلقاه فيتأثر به ارتياحاً وإعجاباً أو حيرة واضطراباً .

— ٣ —

إن هذا المذهب وإن يكن أقرب المذاهب إلى القبول ، فإنه يثير جملة من المشكلات والتساؤلات ، من ذلك مثلاً أن يتساءل : أى سامع أو متلق ذاك الذى يتخذ منه معيار للحكم فى تذوقه وفهمه ؟ وأى قائل أو منشئ ذلك الذى يتخذ أداؤه مقياساً لليسر والسهولة أو العسر والوعورة ؟ وأى مجتمع أو شريحة اجتماعية — كما يقال هذه الأيام — ذاك الذى يصح أن يتخذ

العرف أو الذوق — الذى يسود فيه — مقياساً للصحة والخطأ أو الجمال والقبح ؟

إن من المجتمعات ما هو منغلق على نفسه محدود العلاقات بغيره ، بحيث يتفرد بطرائق معينة وأساليب خاصة فى التعبير باللغة ، سواء فى ذلك طرائق النطق والتلفظ أو وسائل التركيب وأساليب التعبير ، ومثل هذا الطراز من المجتمعات لا يصح فى هذا الباب أن تتخذ خصائصه وطرائقه اللغوية موازين أو معايير يستهدى بها فى الحكم على التعبير اللغوى ، ما دام الأساس فى الحكم هو إبلاغ المراد من الكلام فى دقة ويسر وفى إمتاع .

وإن من المعاصرين من علماء اللغة من يصف اللغة بالفصاحة والبلاغة ، إذا كان التعبير بها مبرأ من الصبغة المحلية ومما لا يصح أو ينسب قائله إلى إقليم أو بلد مما يتحدث بتلك اللغة . بل إن الفصيحة البليغة هى التى تحررت من كل ما يميز اللهجة الإقليمية مما يجعلها غير يسيرة الفهم أو مستساغة لدى أهل غير ذلك الإقليم^(١) .

والذين يرون فى اللغة كائناً حياً يتحول تحول الكائن الحى ويتطور إلى ما هو أحسن ، عليهم أن يعتبروا بالعامل الاجتماعى وأن يتدبروا أمره ؛ لأن فهم من يتخذ من هذه المقولة كلمة حق يراد بها باطل ؛ فيستسلم

(1) O. Jespersen ; Mankeind ... et. (78)

للفوضى اللغوية التي تسلم إلى غلبة اللهجات
العامية وتفضي إلى تمزيق شمل اللغة وإخلائها
المكان للأساليب والتعابير المحلية .

— ٤٩ —

ونحن واجدون في تاريخ العربية مصداق
هذه المقولة، وصورة واضحة للتطور اللغوي
السليم في مجتمع عربي، يمكن أن يعد نموذجاً
ومثلاً صادقاً للمجتمع السوي المفتوح الذي
تتلاقى فيه ألوان اجتماعية متعددة وتتفاعل
فيه قوى فكرية وشعورية تستمد من منابع
شتى، فيؤتي ذلك كله ثماره في اللغة وما
تشتمل عليه من ألفاظ مفردة وكيف تنطق
بها، أو أساليب وتراكيب منتقاة مهذبة
تستبعد ما لا يقبله الذوق العام وتستبقى كل
حسن جميل مستساغ .

فإن من الأمور التي يكاد ينعقد عليها
الإجماع بين علماء العربية، أن قريشا كانت
أفصح العرب، وأن لغتها هي الفصحى
المنتقاة المبرأة مما في لغات كثير من القبائل
من عيوب في النطق أو في بناء الكلم أو في بناء
الكلام .

ومعلوم أن قريشا كانت تقطن مكة،
ومكة هي مهوى أفئدة العرب من كل بقاع
الحزيرة، إليها يحجون، وفيها يتاجرون،
وعلى صعيدها تلتقي وفودهم الآتية من هنا
وهناك، يتحدث بعضهم إلى بعض، ويطلع
بعضهم بعضاً على ما لديه من أشعار،
أو أفكار، أو أي من فنون القول
يجدون أهلاً للعرض والنقد، وفي محافلها

وهذا إنما يؤدي إلى عسر التفاهم بين الناس
وهو بالتالي كارثة اجتماعية ينتج عنها التناحر
والتنازع وغياب التواصل الفكري والشعوري
بين أفراد المجتمع وأجزائه، وهو— أعنى
التواصل — من أهم وأقوم ما في حياة
الإنسان •

ثم إن التطور البشري لا يسلم بالضرورة
إلى الانشطار والانقسام في المجتمعات، بل
إنه يسلم— إن كان تطوراً سليماً— من الانحراف—
إلى التقارب والتفاهم والتوحيد والانتظام
في سلك منسق من العلاقات الاجتماعية، وأهمها
وسيلة التعبير عن المشاعر والأفكار وسائر
الحاجات الإنسانية •

إن من مظاهر هذا التطور الاجتماعي السليم
قيام المدن الكبرى وما يكون لها من آثار
في تطور اللغة وتوحيد طرق التعبير باللغة
وأساليبها وألفاظها . وليس هذا مرجعه إلى
كون سكان تلك المدن الكبرى أخصب
أذهاناً وأوسع مدارك وأرهف مشاعر،
ولكنه يعود في جملته إلى عامل اجتماعي
يفعل فعله في هذه المجتمعات الرحبة الوسيعة،
إذ أنها تلقف مما حولها ما يوافق الذوق العام
وما يرتضيه الأكثرون من أهلها ويستسيغونه
من طرائق النطق والتلفظ وأساليب التعبير،
وهي أيضاً تقتبس وتغتذى ممن يهاجر إليها

يحتكمون: أيهم أشعر، وأيهم أبلغ، وأيهم
أملك لناصية الكلام، وأيهم أكثر رجاحة
عقل وحسن تقدير وتدبير.

ومن المعروف أن العلاقات الاجتماعية
وما يستتبعها من تداول الأحاديث وتبادل
الآراء تقضى بأن يعرض الإنسان على الآخرين
خير ما عنده، ويتجنب من العوائد ومظاهر
السلوك ما لا يرى في الإعلان عنه والتظاهر
به مدعاة فخر ولا وسيلة مباهاة، فلا ينطق
إلا بما يحسبه مقبولا لدى الأسماع، مستساغا
في الأفهام، وهو يتأنق في حديثه ومنطقه
مثلما يتأنق في مظهره وملبسه. والعرب
قدما أولوا اهتمام باللسان وحسن المنطق،
وهم هم القائلون: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه»
وحكيمهم زهير بن أبي سلمى هو الذي
يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
ثم إن العلائق الاجتماعية وسيلة من وسائل
الاقتباس وسبيل من سبل التواصل بين الناس،
تواصل مادة وتواصل فكر وعقل وشعور.
ومثما يتجنب الفرد ما يقدر في نفسه أنه
غير مقبول ولا مستساغ لدى الآخرين، فإنه
يأخذ عنهم ما يعجب به منهم وما يستحسنه
ويرتضيه، سواء في ذلك الجانب المادي
في الشكل وما يحيط به، أو الجانب الفكري
والمعنوي وما يتصل به من وسائل التعبير
باللفظ أو الحركة أو غير ذلك.

وهكذا استصفت قريش لغتها من بين
لغات القبائل الذين كانوا يقدون إليها
في المواسم ويغشون ديارهم للحج ولغير
ذلك من المناسبات.

ولم يكن من قبيل المصادفة أو الاعتبار
أن اتخذ الشعراء من لغة قريش لغة الفن الشعري.
أيضا كانت قبائلهم وأيا كانت منازلهم.
فامرؤ القيس، وهو كندى، وزهير وهو
غطفاني، وطرفة والأعشى وهما قيسيان،
وغير أولئك من فحول شعراء الجاهلية، لم
يقولوا الشعر إلا بلغة قريش.

وليس بدعا بعد ذلك أن تكون روائع
القصائد وبدائع الأشعار، مما كان يبدع
كبار الشعراء، معلقة تعلق على جدار الكعبة،
لأنها ملقاة العرب ومحط رحالهم ومجمع ذوى
الرأى والخبرة ونقطة الكلام فيهم.

وفي مثل هذا المعنى يقول أحمد بن فارس
في كتابه «الصحاح»: «وكانت قريش
مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها،
إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم،
وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم
فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى
نحائزهم وسلاطنتهم التي طبعوا عليها فصاروا
بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد
في كلامهم عننة تميم، ولا عجرية قيس،
ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة،
ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل
تعليمون ويعلم ومثل شعير وبيعير» (١).

وكل هذه عيوب في النطق وفي اللفظ
تنبوعها الأذواق وتستنكرها الأسماع .

وإن في الكتاب العزيز - وقد أنزل بلسان
قريش - وصفا لهذه اللغة المصفاة وتنويعها
بشأنها وإشادة بفصاحتها وبلاغتها . فلقد
وصفها بالإبانة والوضوح . قال تعالى في
صفة القرآن الحكيم : (نزل به الروح الأمين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي
مبين^(١)) وقال تعالى : (لسان الذي يلحدون
إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين^(٢)) .
وكل أوصاف الكتاب العزيز لا تكاد تخلو من
وصفه بالإبانة والصراحة والإصابة (وإنه
لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(٣)) .

ذلك أن الذي يأتيه الباطل من بين يديه
ومن خلفه هو الغامض المحتمل للتأويل
والملتوى المتوعر الذي لا يهتدى في مسالكه
ولا تبلغ فيه الغاية المبتغاة ، وكتاب الهداية
والهدى غير ذلك ، بل عكس ذلك بالضرورة ،
فهو قيم مستقيم ، واضح بين مبين
(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

- ٥ -

وثمة قضية يجدر بالباحث في هذه
الأمور أن يقف عليها موقف التأمل المتدبر ،
تلك مقالة ذلك العالم اللغوي التي أرسلها فسارت
بها الركبان ، ودارت على الألسن واستقرت

في الأذهان ؛ مقالة أبي عمرو بن العلاء :
« لا أقول قالت العرب إلا ماسمعت من عالية
السافلة أو سافلة العالية » .

ثم ما كان من دأب أهل اللغة في الخروج
إلى البوادي يأخذون اللغة عن أهلها ،
ويستفتونهم في الحكم على الصحيح وغير
الصحيح ، حتى كأن لم يكن بين ظهرائهم
كتاب الله يتلى آناء الليل وأطراف النهار
يتدارسه الناس خلفا عن سلف في ألفاظه
وفي معانيه وفي مخارج حروفه وطرائق
النطق بها .

ثم إنه لاختلاف بين الباحثين قديمهم
ومحدثهم أن لغة قريش هي أصنى وأرقى
لهجات العرب ، وقد وحد بها الكتاب
الكريم تلك اللهجات ، فهل كانت لغة قريش
لغة بادية ؟ وهل كان لسانها لسان بدو ؟ بل
هل كانت هي لغة عالية السافلة أو سافلة
العالية كما قيل ؟

أو لم تكن مكة حاضرة العرب وملقى
حجيجهم ، يأتون إليها من كل فج عميق ،
يحجون إلى البيت الحرام ، يبتاعون فيها
ويشترون ؟

إن لغة قريش هي لغة المدينة ، مدينة مكة ،
لا لغة البادية .

ولسان أهل الحضارة ، لسان أهل
البدواة . ثم أصبحت بعد نزول الكتاب

العزیز بها من عند الله، لغة العقيدة والشریعة والحياة الحسنة، وترجماناً بین أمم الأرض التي ارتضت الإسلام ديناً، وناهيك بنزول القرآن بها وما تبعه من انتشارها فی آفاق الأرض ما جعلها لساناً عالمياً شارك فی صقل حواشيه وخدمة ألفاظه ومعانيه أقوام من أمم شتى يتلى بينها كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، ويروى حديث النبي -صاوات الله وسلامه عليه- وما أثر عن خلفائه وأصحابه .

هكذا استصفيت العربية واصطفيت لها لغة قريش لغة مصفاة فی الألفاظ وفي التركيب وفي طرائق النطق وأساليب التعبير، وبلغت بالقرآن الكريم ذروة ما يمكن أن تبلغه لغة حضارة وعلم وأدب . وحسب من يتطلع إلى أسمی صورها فی اللفظ المفرد وفي الكلام المركب أن يتخذ فی تلاوة القرآن ودراسته وتذوق جمال التعبير وأفانينه، قدوة يهتدى بها ويقتبس منها ويستوحى فی فنون القول دقة وجمالاً وإصابة .

وبعد، فإن اللغة المصفاة—وهی وسيلة التواصل الفكري والشعوري—لا بد لها أن تتوفر على أمرين مهمين :

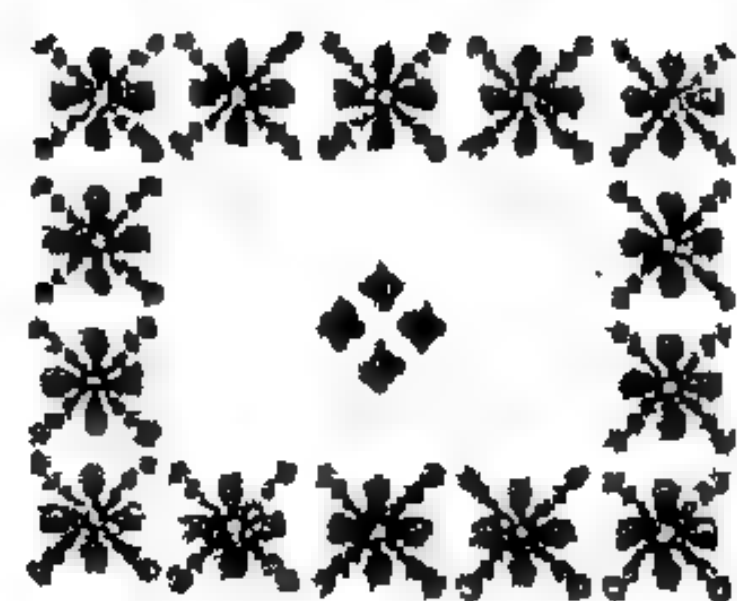
الأمر الأول: أن تلتزم القياس الصحيح بشرائطه المستقرة المعتمدة، وتجري على سنن ما أثر من كلام الأقدمين .

وفوق هذا وذاك فإن اللغة المصفاة ذوقاً قد يقبل القياس وقد لا يقبله، ويرتضي المسموع من ألفاظ وأساليب ويحتويه ويتبع سبيله، أو يرفض ذلك ويأباه، ويستبعده ولا يرضاه . وهذا مما يعرف أحياناً بالحسن اللغوي، وهو ميدان فسيح تجرى فيه الطباع السليمة بما وهبت من قدرة على الإبداع وبما استوعبت من بديع المأثور نظمته والمنثور .

والأمر الثاني: أن يكون الوضوح واليسر والإصابة والدقة عنوان مزاياها وغرة خصائصها فهي لغة أدب رفيع، وهي أيضاً لغة علم متقن دقيق . وألفاظ العلم وأساليبه أحوج ما تكون إلى الدقة والوضوح . فهي محتاجة إلى ذلك بحكم طبيعة العلم الذي تصاغ بها أفكاره وحقائقه، وهي أيضاً محتاجة إليه؛ لأنها لا بد أن تكون لغة الثقافة العامة، وهي اليوم فرض واجب على أهل العلم أن ييسروه للجماهير، يأخذ منه ما يتبلغ به في حياته العامة وحياته العقلية .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

أحمد عبد الستار الجوارى
مضو المجمع المراسل من العراق



في رحاب مجمع الخالدین

دُرِّسَاز محمد بهجة الدَّری

(١)

- ١ - أَلَقْتُ ، وَهَى دُرَّةُ الْأَوْطَانِ ملء عيني لألأوها وجنداني
- ٢ - شَهِدَ اللَّهُ . . لم تغب عن ضميري عند نائي ولم تفارق عياني
- ٣ - مَضْرُوءُ مَغْنَى الْأَحْرَارِ . مَلَقَى الْبَهَائِلِ لـ المُرَجِّينَ . مُسْتَرَادُّ الْأَمَانِ
- ٤ - عَشْتُ مِنْهَا رِيَّانَ ظَمَّآنٍ ، فَاغْجَبْ للضَّمِيدَيْنِ : مُرْتَوٍ ظَمَّآنٍ !
- ٥ - عَادَةُ الشَّوْقِ أَنْ يَفِيضَ عَلَى الْبُعْ سد التَّيَاعَا ، وليس عند الشَّدَانِ
- ٦ - نَيْلُهَا الْعَذْبُ ، كُلَّمَا ذُقْتُ مِنْهُ فتَلَذَّذْتُ ، شَاقِي زَهْمَانِي
- ٧ - كَوْنَتِي ، مَزَاجُهُ الشُّهْدُ وَالطَّيْدُ بـ ، فُرَاتٌ ، يَشْفِي اللَّهَابَةَ ، هَانِي
- ٨ - وَهَوَاهَا مَسْرَاهُ فِي الرُّوحِ مَسْرَى النَّدَى ور في العين ، والشَّدَا فِي الْجَنَانِ
- ٩ - أَيْ رَوْعَاءِ ! لَا تَرَى الْعَيْنُ مِنْهَا شَبَعًا مِنْ مَفْسَاتِي وَمَجْبَانِي
- ١٠ - مَا سَلَوْنَا . . سَلُوا الْقُلُوبَ الْحَوَانِي كم نُعَادِي فِي حُبِّهَا وَنُعَانِي !
- ١١ - مَا سَلَوْنَا ، وَلَا جَفَوْنَا . . وَلَكِنْ فَوْقَ حَكَمِ الْإِنْسَانِ حَكَمُ الزَّمَانِ

(*) أُلْقِيَتْ فِي الْجُلُوسَةِ السَّابِعَةِ مِنْ مُؤْتَمَرِ الْمَجْمَعِ فِي دَوْرَتِهِ التَّاسِعَةِ وَالْأَرْبَعِينَ (الثَّلَاثَاءُ ١٦ مِنْ جَادِي الْأَوَّلَى سَنَةِ

١٤٠٣ هـ الْمَوْافِقِ أَوَّلِ شَهْرِ مَارِسِ سَنَةِ ١٩٨٣ م) .

(٢) النَّأْيُ : الْبَعْدُ .

(١) الْجَنَانُ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ : الْقَلْبُ .

(٣) الْمَغْنَى : الْمَنْزِلُ عَنِ بَهْ أَهْلِهِ ، أَيْ أَقَامُوا فِيهِ .

الْبَهَائِلِ : السَّادَةُ الْجَامِعُونَ لَصِفَاتِ الْخَيْرِ ، الْوَاحِدُ يَهْلُولُ .

(٦) زَهْمَانِي : اسْتَخَفَّنِي لِلْعُودَةِ إِلَيْهِ .

(٥) الْإِتْيَاعُ : الْحَرَقَةُ .

(٧) اللَّهَابَةُ : الْعَطَشُ . هَانِي : هَانِي ، سَهَلَتْ هَمَزَتَهُ .

(٩) الرُّوعَاءُ : الْجَمِيلَةُ الَّتِي يَرُوعُكَ خُسْنُهَا وَيَعْجَبُكَ .

- ١٢ - عاصِفٌ هاجَ ، لا الزَّمانُ مُوات
١٣ - وجَّوارٍ من النُّحوسِ ، توالَت
١٤ - وفُؤادى ، وهُوَ الفُؤادُ المُعْنَى
١٥ - أَحْمَدُ اللَّهِ أَنْ أَعَانَ عَلَى الوَصْ
١٦ - فَسَما بى فى العُجُو نَسْرٌ ، حَشاهُ
١٧ - ما بِهِ ، دونَ ما بقلْبى من النَّـا
١٨ - أَيْ يـومٍ من الهِنداءِ زاهٍ
١٩ - إِنْ أَحلى اللِّذاتِ بَعْدَ التَّنائى
- لَا نَظْلَاقٍ ، ولا لِدَفْعٍ يَدانِ
عابِسات ، قَعَدَنَ بى فى مَكَانِ
وصَفائى فى صَبَوَتى ، شاهِدانِ
لِـ ، وأَذكى عِزى ، وأمَّهى سِنانِ
يَصْطَلِى من ضِرائِمِ النِّيرانِ
رِ ، إلى أَهلِها وطِيبِ المِغانى
طاف بى فى شَبابِهِ الغِيسانِ !
التَّقْـاءُ الخُلانِ بِالخُلانِ

* * *

- ٢٠ - ما بَبَغْدادَ فى هوى مِصْرَ إِلَّا
٢١ - لَيسَ مَذْقاً يُشابُّ فى عَسَلِ القَوِ
٢٢ - إِنَّهُ الصِّدْقُ والودادُ المِزْجى
٢٣ - نَحْنُ فى الحُبِّ ، ما اصْطَنَعنا دَعَاوى
٢٤ - شَرُفَ الصِّدْقِ أَنْ يَمِينَ فَيَشْهَقِى
٢٥ - تَنانِفُ الأَنْفُسِ الكِبارُ من الزَّيِّ
٢٦ - نَحْنُ بِاللَّهِ أُمَّةٌ ، شَـابَكْتِها
٢٧ - إِخوةٌ ، لا بَنو ضِرائِرَ أَخِيا
- لَهَفاتُ الأَشواقِ والهَيْمَـانِ
لِ رِياءٍ ، ولا نفاقِ لِسانِ
كَلِبانِ المُسْتَرْضَعاتِ الحِوانِ
من خِلابِ الألفاظِ والألحانِ
- فى يَمينِ كِذابةٍ - بِهوانِ
فِ ، ومن زُلْفَةٍ ، ومن إِذهانِ
واشْجَـاتُ الأَرْحامِ ، لا أُمَّتانِ
فِ ، وَلَكنْ صِيدُ بَنو أَعيانِ

- (١٥) أَذكى : أوقد . - أمهى : رقق وأحد . - السنان : نصل الرمح .
(١٨) الغيسانى : الجميل .
(٢١) مذاق الود : خلطه ولم يخلصه . يشاب : يخلط ويمزج بغيره .
(٢٢) اللبان : لبن الأم .
(٢٤) يمين : يكذب .
(٢٥) الادهان : المصانعة .
(٢٦) الواشجة : الرحم المشبكة المتصلة .
(٢٧) بنو أخفاف : أهمهم واحدة وآباؤهم شتى ، وبنو أعيان : إخوة أشقاء .

- ٢٨ - مُلْكُنَا مَلِكٌ عَزِيزٌ وَجَلَالٌ من «عِزَّاقِ الْعَلَى» إِلَى «تِطْوَانِ»
 ٢٩ - هَيْكَلٌ وَاحِدٌ ، تَوْشِجَ أَعْضَا ة ، شَدِيدُ الْقُوَى ، وَطِيدُ «الْكِيَانِ»
 ٣٠ - يَلْفُظُ الطَّارِثِينَ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ كُلُّ طَائِرٍ عَلَيْهِ عَادٍ وَجَانِي !

(٢)

- ٣١ - يَا مَعَانَ الْفُضْحَى ، وَأَنْتَ الْمُرَجَّى ، كُنْ مَلَاذًا لَهَا وَخَيْرَ مَعَانٍ
 ٣٢ - عَبَثَ الْعَابِثُونَ فِيهَا ، وَعَاثُوا وَأَحَالُوا أَلْفَاظَهَا وَالْمَعَانِي
 ٣٣ - لَا أَصُولًا أَبْقَوْا لَهَا سَالِمَاتٍ مِنْ أَذَاهُمْ ، وَلَا فُرُوعَ مَبَانِي
 ٣٤ - زَعَمُوهُ «الْإِصْلَاحَ» .. يَا كَذِبَ مَا قَدْ زَوَّقُوهُ وَقَعَقَعُوا مِنْ شِنَانِ
 ٣٥ - أَيْنَ «نَيْسَانُ» ؟ هَلْ تَكْذِبُ إِنْسَانًا نَ - كَأَمْثَالِهِمْ - عَلَى إِنْسَانٍ ؟
 ٣٦ - أَيْنَ فِيهَا الْفَسَادُ يُصْلِحُهُ الْأَغْ فَمَالُ مِنْ كُلِّ مُفْحَمٍ وَهْدَانٍ ؟

* * *

- ٣٧ - لَغَةٌ . . مَدَّتِ الظَّلَالَ عَلَى الْأَر ض ، وَأَوْعَتُ مَعَانِي «الْفَرْقَانِ»
 ٣٨ - وَسَعَتْهَا أَدَقُّ مَا يعمُقُ الْفِكَ رٌ وَيَسْمُرُ إِلَى ذُرَا كِيَوَانِ
 ٣٩ - وَأَفَاضَتْ عَلَى اللَّغَى زَائِنَاتٍ مِنْ دَرَارٍ وَلَوْلُؤٍ وَجُمَانِ
 ٤٠ - رَائِعَاتِ الْوُجُوهِ مُزْدَهَرَاتٍ سَاحِرَاتِ الْأَنْعَامِ وَالْإِرْنَانِ
 ٤١ - مِنْ غَوَالِي «التَّنْزِيلِ» مُسْتَكْرَمَاتٍ مُتَرْفَاتِ الْأَزْيَاءِ وَالْأَلْوَانِ !
 ٤٢ - مِنْ فَوَاغِي «الْحَدِيثِ» مِنْ نَسَمِ الْوَحْ ي وَأَنْفَاسِ «مُصْطَفَى الرَّحْمَنِ»

(٢٩) وَطِيدٌ : رَأْسُ ثَابِتٍ . الْكِيَانُ : مَعْنَى «كَانَ» ، شَاعَ اسْتِعْمَالُهُ حَدِيثًا اسْمًا لَوْجُودِ الشَّيْءِ مِنَ الْمَلِكِ وَنَحْوِهِ .

(٣١) الْمَعَانِ ، بِفَتْحِ الْمِيمِ : الْمَنْزِلُ . (٣٤) الشَّنَانُ : الْقُرْبُ الْخَلْقَانِ مِنَ الْجُلُودِ .

(٣٦) الْأَغْفَالُ : جَمْعُ الْغَفْلِ - بَضْمٍ فَسْكَوْنٍ - وَمِنْ مَعَانِيهِ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تَسْمَعْهُ التَّجَارِبُ .

الْمُفْحَمُ : الْعَاجِزُ أَمَامَ الْحُجَّةِ - الْهَدَانُ : الْأَحْمَقُ . (٣٧) أَوْعَتُ : وَعَتَ وَحَفِظَتْ .

(٣٨) كِيَوَانٌ ، بِكَسْرِ الْكَافِ : كَوْكَبٌ زَجَلٌ . (٣٩) اللَّغَى : اللَّغَاتُ .

(٤٢) الْفَوَاغِي : جَمْعُ الْفَاغِيَةِ ، وَهِيَ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ - النَّسَمُ : نَفْسُ الرُّوحِ .

- ٤٣ - من سُذُور الفصاحِ صَوُغِ الأوَالِ
 ٤٤ - أَلَقْتُ ، وَالسَّنا لَهَا سَرْمَدِي .
 ٤٥ - وَحَلَّتْ فِي اللّهُـاة أَطِيب ما لَـ
 ٤٦ - كُلُّما طالَ في العصورِ مداها
 ٤٧ - إِنْ سَلَسالَها على الدَّهرِ زالِـ
 ٤٨ - ثَرَّةُ الفَيْضِ . هل رَأَيْتَ عُبَابَ « الذِّـ
 ٤٩ - فِي غِناها ، عن اقْتِراضِ تَعَنُّـ
 ٥٠ - ماوُها في حروفها يَتَنزىـ
 ٥١ - هِيَ أُختُ الحريرِ حيناً ، وحيناً
 ٥٢ - وهى النَّارُ إِنْ أَرَدْتَ ، أو الإِـ
 ٥٣ - كيفما شاءتِ النُّفُوسُ استجابتِـ
 ٥٤ - سحرُ إيقاعها وجَرُسُ صـداها
 ٥٥ - أترى كيف شاقَّتِ الخَلْقَ حُباًـ
 ٥٦ - وَصَبَّوا ، عن لُغـاتهم زَمْزَماتِـ
 ٥٧ - عَطَفُوا نَحوها العُيُونُ الرُّوايـ
- أَمراءِ البَيانِ من « عَدنان »
 أترى كيف يَأْلِقُ القَمَـرانِ ؟
 لَدَّ وأحلى ما تَطْعَمُ الشَّفَتانِ
 عَظُمَتْ قُوَّةٌ على الرَّدَيانِ ؟
 فائِرُ الدَّفْقِ ، دائِمُ الجَرَيانِ
 يَلِ « إِبَّانَ سورَةِ الفَيْضانِ ؟
 كيفَ يَدَّانُ ذو الغنى من مُدانِ ؟
 ولها فضلُ شِدَّةٍ وَلَيانِ
 هِيَ أُختُ الحـديدِ والصُّوانِ
 صار ، أو فَيَّ ناضِرٍ فينـدانِ
 فَهَيَّ طوَعُ الأَفْكارِ والأَذْهانِ
 باعِثا طِربَةَ وزْهِوِ افْتِـتانِ
 فـتـباروا في وَعْيِها والصِّيانِ ؟
 لا صـدى آنايسَ ولا رِكَـزْجانِ
 وأروها عواطفَ الأَخـدانِ

* * *

- (٤٣) الشذور : قطع الذهب تلتقط من معدنه . - الأوَالِ : الأوائل .
 (٤٤) سَرْمَدِي : منسوب إلى السرمد ، وهو الدائم الذى لا ينقطع .
 (٤٦) الرديان : مصدر : ردى الفرس يردى ردياً وردياناً : رجم الأرض بحوافره في سيره وعدوه .
 (٤٩) التَغنى : الإغناء . - يدان ، بنشديد الدال : يستدين . - مدان : عليه دين .
 (٥٠) يتنزي : يتوثب - الليان : السهولة والانهياد .
 (٥٢) فينان : شجر فينان ، طويل حسن .
 (٥٦) الرِكَز : الصوت الخفى . - صَبَّوا : مالوا .
 (٥٧) الرواى : المديمات النظر في سكون الطرف . - الأَخدان : الأصدقاء ، الواحد خدن - يكسر فسكون .

- ٥٨ - بَلَغَ الهائِمُونَ مِنْهَا مَكَانَ الذِّجْمِ ، واستمجدوا على الأَزمانِ
 ٥٩ - سَارَ شَوْطًا « بَنَحَوْهَا » (سَيَبَوِيَّة)
 ٦٠ - وَتَحَدَّى (الزَّمَخْشَرِيُّ) عِداها
 ٦١ - وَأَتَى مِنْ « سِحْرِ الْبَلَاغَةِ » (قَابِو
 ٦٢ - وَ (بَدِيعُ الزَّمَانِ) أَنْشَأَ « الْمَقَامَا
 ٦٣ - وَعَلَى أَلْفِ أَلْفٍ فَذُو هُمَامٍ
 ٦٤ - قَدْ جَلَّوْهَا عَرَائِيسًا فَاتِنَاتِ
 ٦٥ - أَيْنَ مَنَى عَدُوَّ النُّجُومِ ؟ فَحَسْبِي
 ٦٦ - عَبْقَرِيُونَ . . . لِلْعُرُوبَةِ دَانُوا
 ٦٧ - وَثَقُّوا الْعَهْدَ بِالْفَصَاحَةِ إِخْلَا
 ٦٨ - وَاكْبُوهَا فِي كُلِّ مَعْنَى وَمَغْزَى وَمَرَامٍ عَلَى سَوَاءٍ الْعِثَانِ

(٥٨) استمجدوا : صاروا ماجدين .

(٥٩) سيبويه : لقب عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، فارسي الأصل ، لزم الخليل بن أحمد ، وصنف كتابه المسمى « كتاب سيبويه » في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله ، توفي سنة ١٨٠ هـ . - الجرجاني : عبد القاهر ابن عبد الرحمن من أهل جرجان - بين طبرستان وخراسان ، مؤلف « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » ، وهما أرق ما كتب في موضوعيهما . توفي سنة ٥٤٧ هـ .

(٦٠) الزمخشري ، محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، مؤلف الكشف في التفسير ، وأساس البلاغة ، والمفصل ، والفائق في تفسير غريب الحديث ، والمقامات ، وغيرها . توفي سنة ٥٣٨ هـ . أبو الريحان : محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ، الفيلسوف الرياضي المؤرخ المصنف المبدع ، توفي سنة ٤٤٠ هـ .

(٦١) قابوس بن وشمكير : أمير جرجان وبلاد بلبل وطبرستان ، دبلوماسي مستعرب ، نابغة في الإنشاء العربي ، له كتاب « كمال البلاغة - ط » فيه مجموع رسائله ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(٦٢) بديع الزمان : أحمد بن الحسين الحمداني أبو الفضل ، أحد أئمة الكتاب المبدعين ، صاحب « المقامات » الشهيرة التي أخذ الحريري أسلوبه فيها ، وله « الرسائل » و « ديوان شعر » مات مسموماً سنة ٣٩٨ هـ .

(٦٣) الألمعي : الداهي الذي يتظن الأمور فلا يخطئ - هجاء : كريم الحسب نقيه .

(٦٤) الحبير : الثوب الناعم الموشى .

(٦٨) سواء العنان : مستقيم الجرى ، يقال : جرى الفرس عنانا ، إذا جرى شوطاً .

٦٩ - كَلَّمَا وَاصِلُوا بِهَا السَّيْرَ جَدَّتْ وَاسْتَدَرَّتْ رَغِيْبَةً الْأَشْطَانِ
٧٠ - سَهْلَةً .. لَا يُحْسِنُ رَهْوُ نُحْطَاهَا وَهَى تَجْرَى إِلَى مَسْدَى غَيْرِ دَانِي
٧١ - فِي شَبَابٍ عَلَى الزَّمَانِ غَرِيضُ زَاهِرِ اللَّوْنِ ، نَاضِرٍ ، فَتَّانِ

* * *

٧٢ - يَا مَلَاذَ الْفُضْحَى ! وَكَمْ فِيكَ أَمْثَا لُ مَصَابِيحُ مِنْ ذَوَى الْإِحْسَانِ !
٧٣ - يَغْرُبِيُونَ ذَاذَةً حُفْظَاءُ لِحَقُوقِ الْأَوْطَانِ وَالْإِخْوَانِ
٧٤ - أَنْزَلُوا الْعِلْمَ مِنْ مَنَاطِ الثَّرِيَّا فَتَعَالَوْا فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ !
٧٥ - لَهُمُ السَّبْقُ فِي الْفَصَاحَةِ ، وَالْحِذْ قُ . . فِكَمْ أَفْوَهٍ ، وَكَمْ سَحْبَانِ !
٧٦ - وَحِفَاطِ الْحُمَاةِ يَغْلِي صِلَاءُ وَغَوَارُ الْأَحَامِسِ الشُّجْعَانِ

* * *

٧٧ - أَيْنَ مَنَّى لَدَى نَوَاحِيكَ بِالْأَمِّ سِ وَجُوهُ الْأَمِّ - أَثَلِ الْغُرَّانِ ؟
٧٨ - أَشْرَقُوا فِيكَ ، بِالْفَقَاهَةِ وَالْعَمِّ سَلِمَ ، نُجُومًا ثَوَاقِبَ اللَّمَعَانِ
٧٩ - أَجَلُّوا اللَّيْلَ ، ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْغَيْ بِ كَرَامًا فِي جَنَّةِ الْغُفْرَانِ
٨٠ - مُسْتَشْبِيهِينَ فِي مَقَاعِدِ صَدَقِ لُطْفَ رَبِّ مُكْرَمٍ مَنَّانِ
٨١ - وَأَعَاشُوا طُيُوفَهُمْ فِي الْمَخِيلَا تِ ، وَذَكَرَاهُمْ لَدَى الْخُلَصَانِ
٨٢ - وَفَنُونًا يَخْلُدْنَ فِي خَلْدِ الدَّهْ رِ رَطَابِ الْأَنْوَارِ وَالْأَفْنَانِ

(٦٩) استدرت : عدت عدوا سهلا متتابعاً . - رغبة الأشطان : وسعة الخطا ، وأصل الأشطان الحبال ، وتستعار لامتداد الشيء وطوله .

(٧٠) الرهو : الواسع . (٧١) غريض : طرى .

(٧٥) الأفوه الأودى : هو الشاعر الحكيم القائل : « لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم » . وسحبان وائل : من باهلة خطيب يضرب به المثل في البيان ، كان إذا خطب يسيل عرقاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ .

(٧٦) الغوار : الإغارة . - الأحامس : الأشداء . (٨١) الخلصان : الأصدقاء الخالصون .

(٨٢) الأنوار : الأزهار البيضاء ، واحدها نور ، بفتح فسكون . - الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن .

- ٨٣ - تتواری الأشباح ، أما المعاني
 ٨٤ - نل من الملك . . ليس ملكك إلا
 ٨٥ - قبضك الريح وامتلاكك ملكا
 ٨٦ - أنا أبكى أيامي البيض مرت
 ٨٧ - نجباء ، أمثال وميامية
 ٨٨ - عوض الله لي وجوة كرام
 ٨٩ - وأرى في بيـانهم لمحة الفصح
 ٩٠ - نعم هذى الأخلاف في منزل الفضـ
- فبواد ، وليس منهم فاني
 ما تعاطيت من فعال حسان
 دون ملك الفـعال ، مستويان !
 معهم مثل ضاحك الأقحوان
 ن وإخوان صعبة وأمان
 قد أرى فيهم شباب الأوان
 في التاعا في زاهر العنقوان
 ل ، ونعمت خلافة الأقران

(٣)

- ٩١ - أنجبت مصر بالنوابغ . . قوما
 ٩٢ - مجدنا الزاهر الضحى من قديم
 ٩٣ - نحن في مطمح الحياة سواء
 ٩٤ - والذرا الشم عند مخضرة الأر
 ٩٥ - هن مرقى طماحنا والمساعي
 ٩٦ - كل بذل في الله يُبدل للأو
 ٩٧ - البئون الأكباد ، والمال ، والمال
 ٩٨ - وإذا عز بالسياسة نيل ،
- بعد قوم ، وبانيا إثر بانى
 أزلى إلى أبيد الزمان
 ويد في يد على الخدثان
 ض ، وعز القطين والسلطان
 وعليها معاقد الأجفان
 طان ، حق على بنى الأوطان
 لك ، وغالى الأرواح والأبدان
 أدركته أسنة المـران

* * *

- ٩٩ - أمتي ، والردي تغشاك عدوا
 ١٠٠ - عنف الغزو واستشاطا جنونا
- ورسا فيك ضاربا بجـران
 واغتلى الحقد والزحوف دواني

(٨٥) الفعال ، بفتح الفاء : العمل الحميد .

(٨٦) الأقحوان : البانونج الأبيض ، من أزهار الربيع .

(٨٩) عنقوان الشئ : أوله ، وهو في عنقوان شبابه : أى في نشاطه وحدته .

(٩٤) قطين الوطن : أهله . (٩٨) المران : الرماح الصلبة اللدنة ، يرمز بها إلى القوة ، وليست مرادة لذاتها .

(٩٩) ضرب بجـرانه : استقر في قراره .

بِ عَوَانٍ تُهَاجِرُ إِثْرَ عَوَانٍ
وَمِنَ الْجَوِّ رَاجِمَاتُ مِبَانِي
وَأَحَالُوا نَضَارَةَ الْعُمَرَانِ
فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَفَّةٍ وَحَنَانٍ !
قَوْمٌ سَوٌّ صَيَّغُوا مِنَ الْأَضْغَانِ
مَا بِهِ قَيْحٌ دُمْنَةٌ وَاضْطَغَانٍ !

١٠١- من يمين ومن شمال وفي القل
١٠٢- ومن البحر قاذفات جحيم
١٠٣- أوغلوا في البلاد حرًا وهدمًا
١٠٤- ووصف الوحش . قلت : لا تظلموه ،
١٠٥- يأنف الوحش أن يضاف إليهم
١٠٦- يبطش الوحش إذ يجوع ، ويلوى

* * *

ناهشات دواحي الأسنان
وديَاراً ، فأى دهر امتحان ؟ !
رُ ، وشد الأيمان بالائمان
رِ ، ضممان الأمان والإيمان
بِ ، على أنهم ليوث طعان !
جَاحٌ عن قدرة وعن إمكان
لِ ، وأكبر بعدله من لسان !
صادقٍ ، يا حوادث الأكوان
نَا ، ومجلى الجلال والرجحان
بالتحايا لأمة القرآن !

١٠٧- قد عرتك الأهوال من كل فج
١٠٨- تتحدأك أمة ووجوداً
١٠٩- اللسان المبين ، والعلم ، والنا
١١٠- علة الضر آلة القذع والقهر
١١١- ليس بدء العدوان دين الأعاريد
١١٢- عيبنا الحلم حين نملك ، والإشـ
١١٣- ولسان التاريخ يشهد بالعند
١١٤- كذبيني - إن استطعت - بنقل
١١٥- إن هذا القرآن مرآة محييا
١١٦- فسلاماً على العلي ، وقياماً

محمد بهجة الأثرى

عضو المجمع من العراق

(١٠١) حرب عوان : قوتل فيها مرة بعد أخرى .

(١٠٥) قوم سوء ، بالإضافة : يعملون عمل سوء ، بفتح السين ، مصدر : ساءه يسوؤه سوءاً ، ويقال في القبح . -

الأضغان : الأحقاد الشديدة .

(١٠٦) الدمنة : الحقد المدمن للصدر ، ولا يكون الحقد دمنة حتى يأتى عليه الدهر وقد دمن عليه .

- الاضطغان : الانطواء على الأحقاد .

(١٠٧) الفج : الطريق الواسع .

(١١٢) الإسباح : التسهيل والرفق ، ومن الأقوال العربية المأثورة : « ملكت فأسبح » أي أحسن العفو وتكرم .

الصحافة وتجديد اللغة

د. ستار عبد كنون

وَقَر

في أذهان الناس أن لغة الصحافة لغة ضعيفة ،

وأنه لا ينبغي لمن يحب أن يكون كلامه في المستوى المطلوب من الفصاحة العربية أن يتأثر أسلوب الصحفيين ، وإلا أصبح هدفا للنقد بأن كتابته من نمط ما يكتب في الصحف . ومنذ أن كتب الشيخ إبراهيم اليازجي مقالاته المعنونة بلغة الجرائد والناس يعتقدون أن كتاب الصحف من أردأ الناس لغة ، وأن على الأديب إذا أراد أن يبرز بين الكتاب ، بجانب ما يتردد في كتابات الصحفيين من ألفاظ وجمل ، تخل بجمال الأسلوب وفصاحة الدباجة ، وتابع اليازجي غيره ممن انتقدوا لغة الصحافة ، وزاد اعتقاد الناس بأن هذه اللغة تسفل إلى حد أنه يجب الحذر منها . وكان علينا أن نعتبر هذا النقد ظاهرة صحية ، وأنه تقويم لبعض ما يلتوى في أيدي بعض الصحفيين من أساليب وكلمات يجب أن ترد إلى الصواب ولا زائد ، وأن غالب الكتابة الصحفية لا بأس بها ، بل إنها مثال لتجديد اللغة والتوسع في دلالاتها وفتح آفاق

التعبير عما يجول في ذهن الكاتب من معان وأفكار ، وما يقع تحت بصره من مشاهد وأحداث . كيف ونحن نرى أن الصحافة المعتمد بها والتي يقرأها الجمهور الغفير من الناس ، لم تنزل تخضع في تحريرها لرئاسة بلغاء الكتاب وكبار الأدباء ، كأحمد لطفى السيد ، وعلى يوسف ، ومحمد حسين هيكل ، وأمين الرافعي ، وداود بركات ومحمد عبده ورشيد رضا ، وأحمد حسن الزيات ، ومحب الدين الخطيب ، والبشير الإبراهيمي وغيرهم من كبار الكتاب الذين لا يرقى الشك إلى ثقافتهم اللغوية ، فضلا عن يشارك في تحريرها والكتابة لها من أساتذة الأدب وعباقره المفكرين ، كطه حسين ، وعباس العقاد ، وأحمد أمين ، وزكي مبارك ، والمنفلوطي ، والبشرى ، والمازني ، والعريان ، وشكيب أرسلان ، وصادق الرافعي ، وسواهم .

وإذا كان من الجائز أن يقع في كلام أحد هؤلاء الأساطين ، أو من دونهم رتبة من محرري الصحف ، بعض الألفاظ أو العبارات الضعيفة ، فذلك هو ما يتوجه له النقد ويستوجب التصحيح ، على ما جاء

(*) ألقى البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الجميع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جباي الأولى سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م) .

في مقالات اليازجي وغيره ممن تصدوا
لهذا الباب من الكتابة اللغوية .

ولم يفتأ اللغويون وعلماء العربية يتتبعون
ما يقع في كلام الناس - والناس هنا تعنى
الخواص - من اللحن والخطأ اللغوي ،
وينبهون على صوابه وتصحيحه ، ولم يقل
أحد أن ذلك موجب لتجنب التأثر بأسلوب
هذا الكاتب أو ذاك ، بله الحكم عليه
بضعف اللغة ورداءة الكتابة لخطئه في
لفظة أو لحنه في عبارة. ومن أول من نذكرهم
من المؤلفين في هذا الباب أبو القاسم
الحريري ، وكتابه « درة الخواص في أوهام
الخواص » أشهر من أن يعرف به .

ومن المفارقات الغريبة أن الحريري ، الذي
تتبع أوهام الخواص ، لم يسلم ممن يتتبع
أوهامه في مقاماته التي تأتي في الطليعة من
الأعمال الإبداعية في أدبنا العربي وهو ابن
الحشاش ، وإن انتصر له بعد ذلك ابن برى
على ما هو معروف .

ونتيجة هذه المفارقة أن الكلام ، منذ
تفتقت به الألسنة ، لم يزل يتعثر عليها فينحرف
عن مخرجه الصحيح أحيانا وينعكس ذلك
على رؤوس الأقلام فتسجل الخطأ من
حيث لا يشعر الكاتب وحينئذ يأتي المصحح
فيؤدى مهمته على الوجه المطلوب .

فالصواب هو الأصل والخطأ طارئ ،
وليس في أى إنتاج صحفي أو غيره ما يعكس

القضية ، حتى يجعلنا ننبه على تجنبه جملة
ونحذر منه كله ، فإن أفعال العقلاء تنزه
عن العبث ، والموضوع بحاله وهو لغة
الصحافة وكتابة الصحفيين ، فلنبق مرتبطين
به وفي دائرته الخاصة .

ولأننى أعتقد أن أكبر تطور عرفته لغتنا
العربية في عصرنا الحاضر ، كان على يد
الصحفيين ومحررى الصحف ، فإن هذه
الطبقة من حملة الأقلام تواجه عملاً راتبا
يتطلب منها إنتاجا يوميا متنوعا يملأ أنهر
الصحيفة على اختلاف صفحاتها من إخبارية
وسياسية وأدبية واجتماعية واقتصادية وغيرها ،
ومن ورائها آلة الطباعة التي لا ترحم وهي
كالغول لا يشبعها شيء ، فكلما أطعمتها بما
تظن أن فيه الكفاية تقول هل من مزيد ،
وعمل من هذا القبيل ليس كعمل الجامعى
في تطلب المصطلح ولا كعمل المجمعى في
تخريج هذا المصطلح ، على روية في الأمر
وسعة من الوقت ، بل هو وحى اللحظة
وتفكير الآونة ، فإن أخطأ فله العذر ، وإن
أصاب فهو يستحق جزيل الشكر ، والواقع
أنه مصيب في غالب الأحيان ، وخطؤه
- إن كان - لانسبة بينه وبين صوابه الكثير
الغامر ، بدليل أنه لا يفتن له إلا الخبير
الماهر .

والميزة الكبرى لعمل الصحفيين ، في
تطوير لغتنا الضادية ، هي توسيع دائرة
دلالات الألفاظ وتحميلها من المعانى الجديدة

ما لم تكن تدل عليه من قبل ، بلا تكلف ولا تحمل. فما يحق أن يطلق عليه تجديد بالمعنى الوارد في الشرع للتجديد في الدين ، فهو ليس نقض القواعد وهدم المعالم وإنكار الشرائع وطمس الشعائر، بل المحافظة على الأصول وتقديمها بما يجعلها تحيا بعد الدروس، وتتقبلها النفوس بتصديق وإيمان ، كذلك التجديد في اللغة الذي نجده في عمل الصحافة هو تطوير لها باحتضان ما جد من المعاني والأفكار من غير تبديل ولا تغيير في القواعد والأحكام، فإننا نقرأ الصفحات المتوالية التي تتطرق للموضوعات المختلفة، ونستفيد فائدة جلى من قراءتنا، ولا نشعر بأى شيء من الخروج عن المألوف والمأنوس من الألفاظ والتراكيب في معالجة الكاتب للموضوع الذي قرأناه ، وتلك هى البراعة فى الأداء والمقدرة فى التعبير التى أوجدتها الصحافة ولغة الصحفيين .

ولنقارن هذا العمل العظيم، فى عموم فائدته وشمول معطياته مع المحافظة التامة على القواعد والأصول ببعض الأعمال المنسوبة للتجديد والمرسومة بالإبداع فى الميدان الأدبى وخاصة منها ما يسمى بالشعر الحر، ولا سيما الرمزي منه فى مصطلح أصحابه ، إذ نرى الألفاظ لا مدلول لها ، والمعانى دونها خرط القتاد ، وأما الموسيقى الشعرية فعليها السلام ، ومع ذلك فإن الدنيا قد صممت آذانها بالدعاية التى تبث لهذا الشعر الجديد والعمل الإبداعي

||

الذى يتيه به قائله ومن تبعهم من الهاوين ، حتى صاروا يسمون الشعر العربى الأصيل -إزراء عليه- بالشعر العمودى، ولا يهمنا هنا فى المقارنة إلا موضوع اللغة، فأى مكسب استفادته العربية من هذا الإنتاج إلا تمزيق شملها وتعمية معانى ألفاظها، وإيهام أغراضها، وغموض ما كان واضحا من أساليبها ؟ . . . إن العمل الصامت الخليل الذى قامت به الصحافة العربية منذ إنشائها وتقوم به إلى الآن فى تجديد اللغة يزيد قيمة ويرتفع قدرا بمقارنته بهذا العمل الأدبى المزعوم الذى صحبته هذه الضجة الدعائية ، ولم يكن له من عطاء إلا الحلبة والضوضاء .

إن آلاف الألفاظ والتراكيب التى لانعرف لها واضعا ولا صانعا والتى أصبحت من صميم اللغة العربية وثروتها الواسعة التى لا تعرف حدا ، هى من عمل رجال الصحافة وإبتكارهم ، إما بالترجمة من اللغات الأجنبية، وإما باستعمال المحاز والاستعارة ؛ توسعا فى دلالات الكلمات، وإما بالوضع الوجداني الذى يجيء عفو الخاطر ويكون مطابقا للقواعد وأحكام اللغة من اشتقاق وتعريب وغيرهما .

وإذا كانت الدعوى لاتصح إلا بالدليل، فهذا أنا أعرض عليكم عشرات، بل مئات من الألفاظ ذات الدلالة الجديدة التى لم تكن لها من قبل ، وإنما استعملت فيها حديثا على صفحات الجرائد ، وقد التقطتها من

من أحد المعاجم الفرنسية العربية ، وزدت عليها ما حضرني مما لم يذكره هذا المعجم ، وهو المسمى العضد اليمين للمحررين والمترجمين ، تأليف «ليون برشي» رئيس قسم الترجمة بتونس على عهد الحماية الفرنسية ، وهو مطبوع بالجزائر سنة ١٩٥٣ ؛ أي قبل ثلاثين سنة ، اعتمد فيه - كما قال - على الصحافة العربية ، مشرقية ، ومغربية ، لوقته. فكم حدث بعد ذلك من ألفاظ ؟ وقد راعيت في ذكر هذه الألفاظ والعبارات الترتيب المعجمي ، ولم أذكر منها إلا المستعمل المشترك بين الأقطار العربية والأكثر انتشارا من غيره ، وكذلك لم أذكر المصطلح العلمي ؛ لأن المؤلف ليس من أهله ، والمعجم أصلا غير موضوع له وها هي تلك الألفاظ :

علم الآثار ، أثرى أو عالم الآثار ، بعثة أثرية ، دار الآثار ، أدوات مكتبية ، أدوات الزينة ، مصدر مأذون ، الأوساط المأذونة ، مؤسسة ثقافية أو غيرها ، مؤسسات تأشير ، تأشيرة على جواز السفر ، إطار ، أطر بمعنى سك الموظفين أو العمال ، عيد ألفى ، ذكرى ألفية ، وزارة ائتلافية ، استئناف القضايا ، محكمة الاستئناف ، مؤهل ، مؤهلات حرب أهلية ، آلة تصوير ، آلة كتابة أو كاتبة .

بحث علمي أو أدبي ، قاضي البحث ، ملاححة بحرية ، وزير البحرية ، استبداد ، حكم استبدادي ، مستبد ، حكم ابتدائي ، محكمة ابتدائية ، مدرسة ابتدائية ، شهادة

ابتدائية ، مبادئ ، مبادئ القانون ، مبادرة ، بدل أتعاب ، بدل اشتراك ، مبررات ، برر العمل ، مبررات ، برقية ، أبرق ، مكتب البرق ، محكمة النقض والإبرام ، مباراة أدبية وغيرها ، وضعه على بساط البحث ، بصمة الأصابع ، بصمات ، بطاقة تعريف ، بطاقة بريد ، بطاقة زيارة ، بطولة رياضية وغيرها ، بعثة علمية أو عسكرية وغيرها ، بعد وأبعاد بالمعنى النسبي ، بلدية ، قرار بلدي ، بلاغ رسمي ، بلاغ حربي ، بيئة علمية أو حضارية ، بيان حقيقة .

متحف ، تحف فنية ، تيار كهربائي ، التيارات الفكرية والسياسية وغيرها ، ثقافة ، اللجنة الثقافية ، النخبة المثقفة ، ثلاجة ، مثلجات الثورة ، حركة ثورية ، ثوري ، ثائر ، الثورة الوطنية .

جبهة وطنية ، الجبايات ، نظام جبائي ، جدول أعمال ، بحرة قلم ، جريدة ، جرائد ، يرى بالعين المجردة ، منطقة مجردة من السلاح ، تجريدة عسكرية ، إجراءات إدارية أو قانونية ، مجرى الهواء ، مجلة ومجلات ، مجلس تأديبي ، مجلس النواب أو مجلس الأمة ، المجلس البلدي ، مجمع علمي أو لغوي ، مجامع ، بإجماع الأصوات ، جمعية رياضية وغيرها ، جمعية الأمم ، جامعة علمية ، جامعي ، المجتمع ، علم الاجتماع نظرة إجمالية ، جراحة التجميل ، الجماهير الشعبية .

التجنيد الإجباري ، الجندي المجهول ،
الجنس ، علاقة جنسية ، الجنس اللطيف ،
ملاحة جوية ، الأرصاد الجوية ، النشرة
الجوية ، جواز السفر .

حبر على ورق ، احتج ، احتجاج بالمعنى
السياسي ، الحجر الصحي ، الحجر
الأساس ، الحجز على الأمتعة ، الحواجز
الحمركية ، الخط الحديدي ، الستار
الحديدي ، حادثة سير ، رئيس التحرير ،
محور ، وحدة حرارية ، بالحرف الواحد ،
احتراف ، محترف (مقابل هاو) محروقات
سائلة أو جامدة ، محرك كهربائي ، حركة
فكرية ، نقطة حساسة ، حساسية ، محسوبة ،
فعله لحساب فلان أو على حسابه ، حصانة
سياسية أو نيابية ، محضر الجلسة ، محاضر ،
محاضرة ، القسم التحضيري ، محطة وقود ،
محطة الإذاعة ، محطة السيارات ، الحفريات
الأثرية ، حفظ الصحة (علم) ، حافظة النقود ،
محفظة أوراق ، تحفظ أو فعله مع التحفظ ،
حافلة ركاب ، علم الحقوق ، كلية الحقوق ،
حقوق ، قاضي التحقيق ، حقبة سياسية
حقبة يد ، محكمة مختلطة ، حكومي ، رئيس
الحكومة ، احتلال ، جيش الاحتلال ،
عهد الاحتلال ، تحليل طبي ، تحليل أدبي ،
الخوامض والحمضيات ، حملة عسكرية أو
صحافية أو انتخابية ، حماية أجنبية ، سلطات
الحماية ، محامة ، محام ، دول المحور ،
حوالة بريدية ، منطقة حياد ، دول عدم
الانحياز .

خبير ، وكالة إخبارية ، دائرة
الاستخبارات ، عمل تخريبي ، الخارج
(ماعد الوطن) وزارة الخارجية ، خريج
أو متخرج من إحدى الكليات ، اختزال
مختزل ، اختصاص ، الاختصاصات العلمية ،
تخصص علمي ، على طول الخط ، خطوط
المواصلات ، خطة عمل ، مخفر الشرطة ،
الحالدون (المجمعون) الأخلاق (علم) شرطة
أخلاقية ، جمعية خيرية .

سياسة عدم التدخل ، وزارة الداخلية ،
حرب داخلية ، تدخل في المناقشة ، التدخين ،
درجة علمية ، درجة الحرارة ، مدرجات
رياضية وجامعية ، مدرسة أدبية أو نقدية ،
رجال الدرك ، دركي ، الدستور ، دستورية
القوانين ، تدشين ، دعاية ، داعية ، مدع
عام ، مدفئة ، تدفئة عمومية ، الدفاع الوطني ،
هيئة الدفاع (في المحاكم) ، مدفعية ، سلاح
الدفاع ، مدمرة ، دورية عسكرية ، دوري
رياضي ، لعب دورا رئيسيا ، مدير ، إدارة ،
إداري ، الدوائر المختصة ، مائدة مستديرة ،
ذخيرة حربية ، علم الادخار ، ذكرى
الأربعين ، مذكرة ، إذاعة ، مذيع ، مذيع .

رأس مالي ، رأس مالية ، رابطة قلمية
رابطة علمية ، التربية البدنية ، علم التربية ،
مرتب شهري ، مراجع التحقيق والبحث ،
رخصة بمعنى العطلة ، رخصة بمعنى الترخيص
رد الفعل ، رذاعة الطقس ، المرتقة (جنود)
إرساليات تبشيرية ، مراسل صحفي ، رسم

بمعنى ضريبة رسوم ، فن الرسم ، المراسم
الملكية أو الرئاسية ، أمر رسمي ، بنادق
رشاشة ، ترشيح لجائزة أو لانتخاب ، مرشح ،
الرصيف بمعنى الميناء ، الرصيف بمعنى
الزميل ، المرطبات ، آلة رافعة ، المرافعات
(فى المحاكم) ، مركب رياضى ، مركبة ،
مركزية ولا مركزية ، مشروبات روحية ،
رياضة بدنية ، رياض الأطفال ، زائدة
دودية ، مزاد علنى ، سابقة ، سوابق
أسبقية ، مسابقة ، إدارة التسجيل ، رسالة
مسجلة ، سجل ذهبي ، سحب القرعة ،
سحب كلمته ، سحب مبلغا ماليا من المصرف ،
أغلبية ساحقة ، سدّد دَيْئته ، تسديد الاشتراك ،
المسدس ، سر المهنة ، الأمراض السرية
إسعاف ، مستعجل ، سيارة إسعاف ،
إسعاف شتوى ، ساعى البريد ، سلة
المهملات ، سلم الوظيفة ، سماعة التلفون ،
السوق السوداء سوق خيرية ، مستوى أدبى أو
معيشى ، سيارة ، صحف سيارة .

الشئون الثقافية ، شذوذ جنسى ، تصرفات
شاذة ، مشروع تجارى وغيره ، مشاريع ،
سلطة تشريعية ، رجل الشارع ، المشروعية
مركب شراعى ، التشريعات الملكية أو
الرئاسية ، الاشتراكية ، الأشغال العمومية ،
الأشغال الشاقة ، وزارة الصحة ، التدابير
الصحية ، مصحة ، صحافة ، صحيفة ،
صحفى ، الصادرات والواردات ، التصدير
والإيراد ، أصدر أمرا ، أصدر صحيفة

توقفت الصحف عن الصدور ، مصرف
(بنك) مصارف ، معاملة مصرفية
مصعد ، مصاعد ، ضرائب ، إضراب ،
كرة المضرب ، ضغط الدم ، مطبعة ،
طباعة ، مطبوعات .

طبقات الأرض (علم) ، حالة الطوارئ
أطروحة ، مطعم ، مطاعم ، طاقم (أسنان
وغيرها) طائرة أو طيارة ، طيار ، مطار
طيران (شركة) مظلة شمس ، مظلة نزول ،
المظليون (جنود) ، مظاهرة ، تظاهر ، ظاهرة
ظواهر ، عجلة سيارة ، عجلة نارية
معدات حربية وغيرها ، سنة إعدادية ، معدل
التنقيط ، معادلة ، عريضة ، عرض ،
معارضة ، معرض ، معروضات .

أحكام عرفية ، بطاقة تعريف ، وزارة
المعارف ، تعاوضية ، عضوفى جمعية
أعضاء ، اعتماد ، عميد ، عمدة ، الطبقة
العامة ، قانون العمل ، عملية جراحية ، عمولة ،
عمالة عنصرية ، العناصر الأساسية (فى أى
مركب) معهد ، معاهدة ، متعهد ، عهدة
عيادة طبية ، معبد ، عيار نارى ، أحيل على
المعاش ، الغازات السامة ، الغازات الحارقة ،
الغازات المسيلة للدموع ، مواد غذائية ،
تغذية ناقصة ، التغريب ، الغرفة التجارية
أو الفلاحية ، غرامة ، أغلبية نسبية أو مطلقة ،
غارة جوية ، غواص ، غواصة ، قانون
الغاب ، قطع غيار .

مقالة افتتاحية ، مدينة مفتوحة ، فترة
انتقال ، استفتاء شعبي ، مواد متفجرة
حكم فردى ، تفرغ ، مفترق الطرق ، فصل
السُّلْط ، الفنون الجميلة ، فوضوية ، وزير
مفوض ، المفوضية ، حيلة استقبال ،
قاعة الاستقبالات ، تقرير ، تقارير ، مقرر ،
الأدب المقارن ، القانون المقارن ، قاص ،
قصصى ، قصة أو أقصوصة ، المقصلة ، قاطرة ،
قطار ، مقطورات ، قطعة بحرية ، قطاعي ،
مقاطعة ، إقطاعية ، كلمات متقاطعة ،
مقتطع ، تقاعد ، أحيل على التقاعد ، مقعد
الحكم ، استقلال تام ، استقلال داخلي ،
مستقل (غير منتم) ، انقلاب ، قلب نظام
الحكم ، التقاليد ، تقليدى ، إقلاع (الطائرة
أو مركب بحرى) قلم حبر ، قلم رصاص ،
قلم المطبوعات ، قمع المظاهرات ، قمع
الغش ، قانون المطبوعات ، المقومات العامة ،
الرقم القياسى ، الاكتفاء الذاتى ، كلية ،
كليات ، الكواليس ، الكماليات ، تكميلي .
ملحق أسبوعى (فى الصحافة) ملحق
عسكرى ، ملحق ثقافى ، ملحمة (فى الشعر)
شعر ملحمى ، ملازم (عسكرى) ، كاتب
ملتزم ، لسان حال ، ملعب (للكرة)
ملاعب ، لغم وألغام ، باخرة لرفع الألغام ،
ملف ، لفافة بريدية ، اللقيف الأجنبى ،
لفت نظر ، تلقيح (ضد مرض ما) ، ملقن
(فى المسرح) ، مكمّن الملقن ، ألقت الباخرة
مرساتها ، ألقى خطابا ، ألقى عليه القبض ،
ألقى نظرة ، إلى الملتقى ، ملاكمة ، ملاكم ،

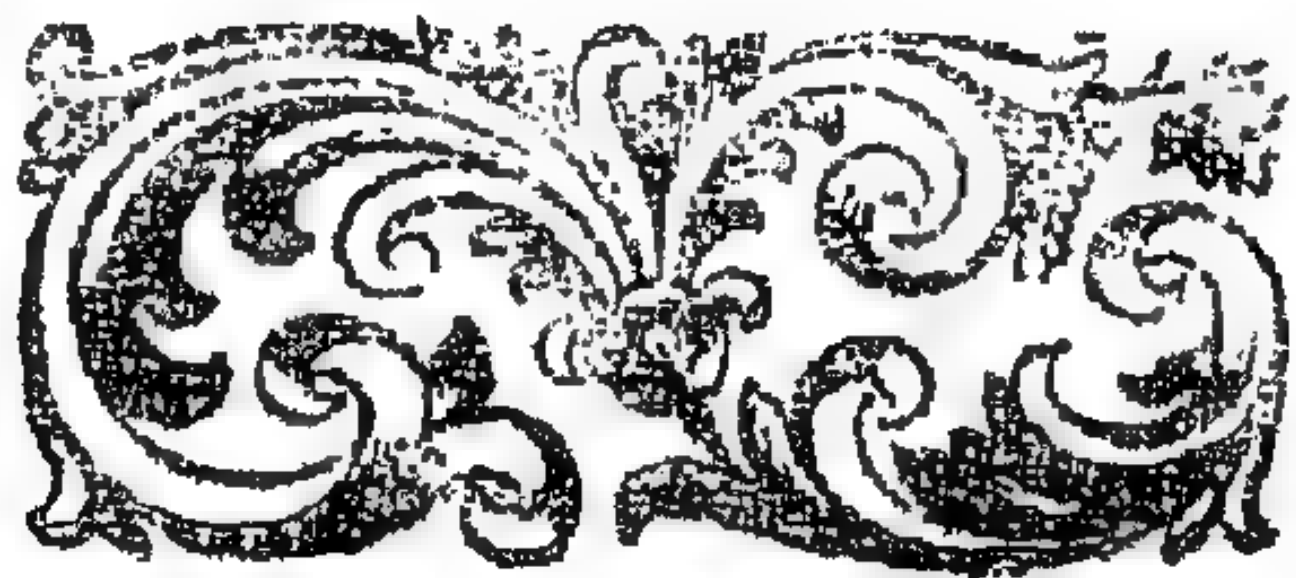
قدم ملتصقا ، ملتصقات ، لوحة فنية ، لألحة ،
لوائح ، نسبة مئوية ، ذكرى سنوية ، فن
التمثيل ، ممثل وممثلون ، تمثيل سياسى ،
مادة ومواد ، مادية ، مادي ، مواد أولية ،
بين المد والجزر ، مادة الخلاف ، المدنية ،
مسئولية مدنية ، تمرين ، نظام المرور ،
ممرض ، تمرىض ، تمرين وتمرين ،
تمريّنات عسكرية أو رياضية ، متمرن ،
ماسح أحذية ، مسك الدفاتر ، إمساكية
رمضان ، جيش المشاة ، مصل وأمصال ،
إمضاء ، الممضى أسفله ، صاحب الإمضاء
مطاط ، مادة مطاطة ، إمكانات وإمكانات
موالح (للحمضيات) ، ملاح وملاحون ،
ملاحة بحرية أو جوية ، الملكية (نظام) ،
الملكية الخاصة ، الملكية الفردية ، ملاك ،
منحة دارسية ، منح ، المهن الحرة ،
تعليم مهنى ، تموين ، بطاقة تموين ، مياه
إقليمية ، ميدان العمل ، ميدان بمعنى الساحة ،
امتياز (الجريدة أو غيرها) ، صاحب الامتياز ،
عدد ممتاز ، إنتاج أدبى أو صناعى أو فلاحى ،
إنتاج وطنى أو محلى ، انتخاب ، معركة
انتخابية ، منتخب ومنتخب ، منتخبات
أدبية ، انتداب ، مندوب سام ، مندوب
فوق العادة ، مندوب الجريدة ، نادى وأندية ،
نزع السلاح ، تنازع البقاء ، تنازل عن العرش
أو عن أى حق ، نزل ، أعضاء التناسل ،
أمراض تناسلية ، النشء والناشئة ، نشيد ،
أنشيد ، نشيد وطنى ، نشر ، نشرة ، نشرة
أخبار منشورات ، ناشر ، دار نشر ، نشاط

أدبي واقتصادي وغيرهما ، نشل ، نشال ،
نصب تذكاري ، تنصيب ، منصدة ،
مناضد ، ناطحة السحاب ، منطاد ، مناطيد ،
نظارة ونظارات ، قاعة انتظار ، مناظرة ،
منظمة ، منتظم دولي ، سلطة تنفيذية ،
لجنة تنفيذية ، نافذة ونوافذ ، علم النفس ،
طبيب نفسي ، حالة نفسية ، انتفاحي ،
نقابة عمال أو أطباء ، نقابي ، التنقيب عن
الآثار والمعادن ، نقد أدبي ، نقد بمعنى
العملة ، النظام النقدي ، مركب نقص ،
النقض والإبرام ، نقطة استفهام ، نقطة
نظام ، نقل ، وسائل النقل ، ممتلكات
منقولة ، نقالة ، نهضة أدبية وغيرها ونهوض ،
نوبة عصبية ، نيابة عامة ، هيئة نيابية ، تناول
الكلمة ، تناول الشاي ، هتف بحياته ،
الهاتف ، هتاف عظيم ، هدف وأهداف
(رياضي وسياسي) ، تهريب ، مهرب ،
استهلاك ، مستهلك في مهمة ، مهمات ومهام
همزة وصل بين ، بنات الهوى ، هواية ، هاو ،
هواة ، هيئة سياسية ، هيئة نيابية ، توتر العلائق ،
ضرب على الوتر الحساس ، وجبة غذائية ،
وجبات ، وجهة نظر ، الواجهة الشعبية ،
واجهة القتال ، ودادية بمعنى جمعية ، مستودع
السيارات ، ورش عمل وأوراش ، موزع
البريد ، توزيع الجوائز ، ميزانية ، الأوساط

الديبلوماسية ، العصر الوسيط ، القرون
الوسطى ، موسوعة وموسوعات ، موسوعي ،
وسائل الراحة ، وسام وأوسمة ، موسم
الصيد ، وصفة طبية ، مواصفات ، وصل
وتوصيل وإيصال ، وصولي ، وصولية ،
وصاية بمعنى انتداب سياسي ، أوضاع
اجتماعية وغيرها ، وضعية البلاد ، موضوع ،
موضوعي ، موضوعية ، وطن قومي ، وطنية ،
وطني ، موطن الضعف ، مواطن ، وظيفة ،
وظائف ، وظائف الأعضاء (علم) ، موظف ،
الوعي القومي أو الديني ، توعية ، توفير ،
صندوق التوفير ، اتفاقية ، التوقيت الصيفي ،
الوقود (للنفط) ، الأمر الواقع ، التوقيع ،
الموقع أدناه ، توقيف ، إيقاف ، موقف
سيارات ، مواقف مشرفة ، الوقاية المدنية ،
وكيل الحق العام ، وكالة أخبار ، توليد ،
دار أو مستشفى الولادة ، توليد القوة
الكهربائية ، مولدة .

حالة يأس ، اليابسة ، ميتم ، يخت ،
اليد العاملة ، وقف مكتوف اليدين ،
الصنائع اليدوية ، يمين ، يسار (بمعنى
الاتجاه السياسي) يومية (أجرة) ، يومية
الحائط ، والسلام عليكم .

عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب



ابن سينا

مناقشة بعض ما قال في العين

للكبير حسن علي إبراهيم

يقول

ابن سينا في تشريح عضل
الحفن: « وأما الحفن فلما
كان الأسفل منه غير محتاج
إلى الحركة؛ إذ الغرض يتأتى ويتم بحركة الأعلى
وحده، فيكمل به التغميض والتحديد. وعناية
الله تعالى مصروفة إلى تقليل الآلات ما أمكن».
والكلام صحيح تماماً، ثم يقول ما معناه
أن في التكثير من الآلات تكثير للآفات،
وأعتقد أن هذا صحيح أيضاً؛ إذ نجد أن معظم
الأعضاء تؤدي أكثر من وظيفة، فالعظام
التي نراها صلبة تشد هيكل الجسم، تحوى
داخلها النخاع الذي ينتج خلايا الدم الحيوية
من كريات بيضاء وحمراء، والكبد يؤدي
أكثر من عشرين وظيفة حيوية؛ أهمها
إنتاج الصفراء اللازمة للهضم وللتمثيل في
نفس الوقت من نتاج تفتت الكريات الحمراء،
وحفظ المواد السكرية على هيئة مولد
الجلوكوز أو الجلايكوجين، ثم الرفع بالجلوكوز
إلى الدورة الدموية ليعطى الجسم حاجته من
الطاقة، كذلك التمثيل من بعض الهرمونات
والمواد الفعالة المضادة وبعض البكتيريا،

واستخلاص البولينا من البروتين لتخرج عن
طريق الكلى مع البول، وغير ذلك كثير. ولم
يخلق الله عشرين عضواً آخر بديل للكبد،
ليؤدي كل عضو وظيفة واحدة، بل إن الكلية،
التي يظن الناس أنها تفرز البول وحسب،
لها وظائف جمّة؛ منها تنظيم أملاح الدم
كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم،
والفسفور، والحفاظ على قلوية الدم البسيطة
التي لولاها ما عاش الإنسان، كذلك تقوم
الكلية بتنظيم كمية الماء التي يحتفظ بها الجسم،
فإذا قل شرب الماء قل البول، وإذا زاد حدث
إدرار، وهى بذلك تحافظ على حجم الدم في
الدورة الدموية، كذلك تنهى الكلى مفعول
بعض المواد الفعالة، التي تضر إذا استمرت
في الدورة الدموية، مثل الحاسرين الذي إذا
بقى أدى إلى قرح أو قروح بالمعدة وغير
ذلك كثير.

ثم يعود ابن سينا إلى تشريح عضل الحفن
فيقول: « وإن كان قد يمكن أن يكون الحفن

(*) ألقى في الجلسة الثامنة لمؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين، يوم الثلاثاء (١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م).

الأعلى ساكناً والأسفل متحركاً، لكن عناية الصانع مصروفة إلى تقريب الأفعال من مبادئها وإلى توجيه الأسباب إلى غاياتها على أعدل طريق وأقوم منهاج، والحنف الأعلى أقرب إلى منبت الأعصاب، والعصب إذا سلك إليه لم يحتاج إلى انعطاف أو انقلاب . هنا استعمل ابن سينا كثيراً من الفكر والمنطق، ولكنه منطق غير صحيح بالمرة؛ لأن العصب الذى يفتح الحنف يأتي فعلاً في شبه استقامة من داخل الحجر، ولكن العصب الذى يغمض العين - وهو جزء من العصب الدماغى السابع - يأتي عن طريق شديد الالتواء، فهو يخرج من ثقب في قاع الجمجمة ثم ينحرف ليمر بين فصى الغدة النكفية؛ ماراً تحت شحمة الأذن ثم ينحرف إلى أعلى ليصل إلى العين، ثم يقول ابن سينا : « ولما كان الحنف الأعلى يحتاج إلى حركتي الارتفاع عند فتح الطرف والانحدار عند التغميض، يحتاج إلى عضلة جاذبة إلى أسفل، لم يكن بد من أن يأتيها منحرفاً إلى أسفل ومرتفعاً إلى فوق .

وهنا يناقض ابن سينا ما قاله في أول كلامه عن العصب ويجعل الوصف أقرب إلى الحقيقة التشريحية التي وصفها منذ قليل .

ثم يعود ويقول - متكلماً عن عضلة التغميض - : « فكان حينئذ لا يخلو إن كانت واحدة من أن تتصل إما بطرف الحنف وإما بوسط الحنف، ولو اتصلت بوسط الحنف لغطت الحدقة صاعدة إليه .

ولو اتصلت بالطرف لم تتصل إلا بطرف واحد فلم يحسن انطباق الحنف على الاعتدال، بل كان يتورب فيشتد التغميض في الجهة التي تلاقي الوتر أولاً ويضعف في الجهة الأخرى، فلم يكن يستوى الانطباق »، ثم يستطرد فيقول : « فلم يخلق عضلة واحدة، بل عضلتان ثابتتان من جهة الموقين يجذبان الحنف إلى أسفل جذباً متشابهاً » . هنا لحأ ابن سينا أيضاً إلى كثير من المنطق الحسن، ولكن فاته أن يعرف تشريح العضلة بدقة فالعضلة جزء من العضلة المحيطية أو الدائرية العينية orbicularis oculi والعضلة مثبتة حقاً عند الموقين برباطين دقيقين، يصلان إلى العظام لغرض التثبيت، ولكن هذه العضلة دائرية، أى تدور حول العينين وحول الحنفين وعليهما وتتصل بنفسهما، ولا بد من سينا عنده؛ لأن العضلة رقيقة جداً ولا تكاد ترى، وتكاد تكون مندمجة في جلد الحنف، وتشيج أو انقباض هذه العضلة يؤدي إلى التغميض، وكل منا لو وضع إصبعه على جفنه الأسفل وأغمض عينه، شعر بانطباق العضلة على الحنف الأسفل. ويبدو أن ابن سينا لم يقم بهذه التجربة البسيطة ولو فعل لما وقع في هذا الخطأ .

ثم يتكلم ابن سينا عن العضلة التي ترفع الحنف فيقول : « وأما فتح الحنف فقد كان تكفيه عضلة تأتي وسط الحنف فينيسط طرف وترها على حرف الحنف، فإذا تشنجت فتحت .

فتتصل بجرم شبيه بالغضروف منقرش تحت منبت الهدب « وهو هنا يصف العضلة الرافعة للجفن الأعلى levator palpebrae superioris ويقصد بالمسادة شبه الغضروفية ، الجزء الصلب من الجفن العلوي Torsus والوصف عامة صحيح إلى حد كبير ، وهذه العضلة أكثر وضوحاً في التشريح عن العضلة الدائرية أما في وصفه لتشريح العصب البصري optic nerve فقد وقع منه خلط بينه وبين عصب الشم ، مع أنه يشير إلى أن الحلقة التي على العصب الأول هي للشم ، والعصب البصري مستقل تماماً عن عصب الشم ، وهو ثاني الأعصاب الدماغية ، ويقول ابن سينا عن العصب البصري : « وهو عظيم مجوف » والذي نعرفه أن العصب غير مجوف ، ثم يقول : « يتيامن النابت منهما يساراً ، ويتياسر النابت منهما يميناً ثم يلتقيان على تقاطع صليبي ، ثم ينفذ النابت يميناً إلى الحذقة اليمنى والنابت يساراً إلى الحذقة اليسرى ، وتوسع فوهاتهما حتى تشتمل على الرطوبة التي تسمى زجاجية ، وهذا وصف جيد إذا ذكرنا الزمن الذي كتب فيه ، ولكنه خاطئ بالنسبة لنا الآن ، فإن هذا التيامن والتياسر غير كامل في التقاطع الصليبي . أما اتساع فوهة العصب لتشمل الرطوبة الزجاجية ، فهو تعريف بلأى الشبكية لأن العصب البصري ينغرس داخل العين ليكسوفقاعها وجوانبها ، وتتصل بفروعه التي لا تحصى مخروطات وعصيات

نسميها إجمالاً بالشبكية ، وهذا يحدث بخارج الرطوبة الزجاجية أو ما نسميه أحياناً بالجسم الزجاجي ويطلق الأطباء الآن على هذا الجزء البصري الحساس - أى الشبكية مع الأوعية الدموية التي تتفرع أمامها - قاع العين ويمكن فحص قاع العين باستعمال عدسات مناسبة . وعلى الشبكية تقع صورة الجسم المرئي التي ينقلها العصب البصري بدوره إلى الإبصار في المخ .

ثم يعود ابن سينا ويقول : « وقد ذكر غير جالنيوس أنهما ينفدان على التقاطع الصليبي من غير انعطاف » ، أما التفسيرات التي أعطاها لهذا الانعطاف فهي غير مقبولة وإن لم تخل من إعمال شديد للفكر . يقول ابن سينا : « وقد ذكر لوجود هذا التقاطع منافع ثلاث إحداها ليكون الروح السائنة إلى إحدى الحذقتين غير مجبوبة عن السيالان الأخرى إذا عرضت لها آفة ، ولذلك تصير كل واحدة من الحذقتين أقوى إبصاراً إذا أغمضت الأخرى وأصفي منها لو لحظت والأخرى لا تأمظ » .

وهذا كلام غير مقبول بالمرّة في وقتنا الحالي . ثم يستمر ابن سينا فيقول : « ولهذا ما تزيد الثقبة الجانبية اتساعاً إذا أغمضت الأخرى وذلك لقوة اندفاع الروح الباصر إليها » والملاحظة صحيحة ولكن تفسيرها غير مقبول ، ولست مستعداً للدخول في أعماق التشريح والفسولوجيا لتفسير هذه الظاهرة

ثم يستمر ابن سينا فيقول : « والثانية أن يكون للعينين مؤدي واحد ، يؤديان إليه شبح المبصر فيتحده هناك ويكون الإبصار بالعينين إبصاراً واحداً » ؛ وهذا الكلام غير مقبول أيضاً فالذي يحدد الصورة ، وهل ترى صورة أو صورتين ، هو نقطة سقوطها على الشبكية في العينين ، فإذا حدث حَوَلٌ ، يختلف مسقط الصورة ويبدو الشيء الواحد كأنه اثنان والدماغ هو الذي يجمع الصورتين في النهاية ، حتى يراها ويفهمها الراى ، والصورة لا تتجمع أبداً في الملتقى الصليبي البصرى .

ثم يستمر ابن سينا فيقول : « والثالثة لكي تستدعم كل عصبية بالآخرى وتستند إليها ، وتصير كأنها تذبذب من قرب الحدة » . وهذا الكلام غير مقبول أيضاً ، فلا تكاد توجد حركة داخل الجمجمة ، وإلا لجعل الخالق سبحانه وتعالى كل الأعصاب الدماغية تعتمد على ملتقى صليبي وهذا غير كائن .

ثم يصف ابن سينا بعد ذلك العصب الثالث الدماغى *occulomotor* ، وهو المحرك للعين ، على أنه العصب الثانى الدماغى ، وهذا خطأ وإن كانت ملاحظاته التشريحية عنه صحيحة إلى حد بعيد ولن أدخل في هذا كي لا أطيل .

يصف ابن سينا المقلة بأنها كرة شحمية بيضاء وهي ليست كذلك ثم يصف العنبية أو القرنية ويظن خطأ أن العنبية مثقوبة لمروور الضوء ، والضوء لا يحتاج إلى ثقب للمروور

من خلال القرنية لأنها شفافة ثم قال : إن هذا الثقب يتسع ويضيق ، وهذا الثقب في الواقع يوجد في القرنية *Iris* . أمام العدسة وهو حتماً يتسع ويضيق كما قال ، وهو يظن أن ألوان العين المختلفة تكون في القرنية مع أن الألوان تكون في القرنية ، ثم وصف الرطوبة البيضية وربما كان يعنى بها السائل الذى يملأ الغرفة الأمامية للعين ، ثم طبقة جليدية وغالباً كان يعنى بها عدسة العين ثم الرطوبة الزجاجية ، وما زلنا نسميها بنفس الاسم حتى اليوم ، وأحياناً نقول الجسم الزجاجى .

لقد ذكرت الكثير من أخطاء ابن سينا فأين أصاب ؟ لقد أصاب في عدة مواضع بالغة الأهمية :

أولاً : أن صورة المرئى تظهر على سطح الطبقة الجليدية (كما تظهر على القرنية أيضاً) .

ثانياً : أنه أدرك أن الإبصار ينتج من شعاع ينطلق في الجسم المرئى إلى العين لا العكس كما كان يظن الكثيرون ، وأدرك أن الرؤية لا تحتاج إلى زمن مهما كان الجسم بعيداً وبذلك تكلم دون أن يدرك عن السرعة العظمية للضوء وربما يكون قد لاحظ ذلك في وميض البرق الذى يرى فى هزيم الرعد الذى يصل بعده بزمن .

ثالثاً : آمن ابن سينا بأن المخ هو الذى يرى ويبصر لا العين وهذا قول صحيح مازال قائماً إلى يومنا هذا ، فإن العين التى أبدع الله سبحانه وتعالى خلقها وتركيبها ما هى إلا مجرد آلة تصوير لها عدسة تكون صورة للمرئيات

على الشبكية، وتختلف عن آلة التصوير في أن عدسة العين مرنة تغير شكلها بحيث إذا كان المرئي قريباً زاد تكور العدسة وبالتالي تحجبها وقوة جمعها للأشعة الضوئية حتى تسقط الصورة واضحة على الشبكية، وإذا كان الجسم بعيداً حدث العكس وهو قلة تكور العدسة. أما في آلة التصوير فإننا نبعد أو نقرب العدسة من الفيلم تبعاً لبعد الشيء المراد تصويره، فالعين آلة فوتوغرافية تكون الصورة على الشبكية وتنتقل تيارات كهروكيمياوية خلال العصب البصري إلى مراكز الإبصار في المخ، فيدرك المخ الصورة، وإذا حدث تلف في هذا المكان من المخ فإن المريض لا يرى بالرغم من سلامة العين، فما العين إلا جهاز موصل للصورة إلى الدماغ :

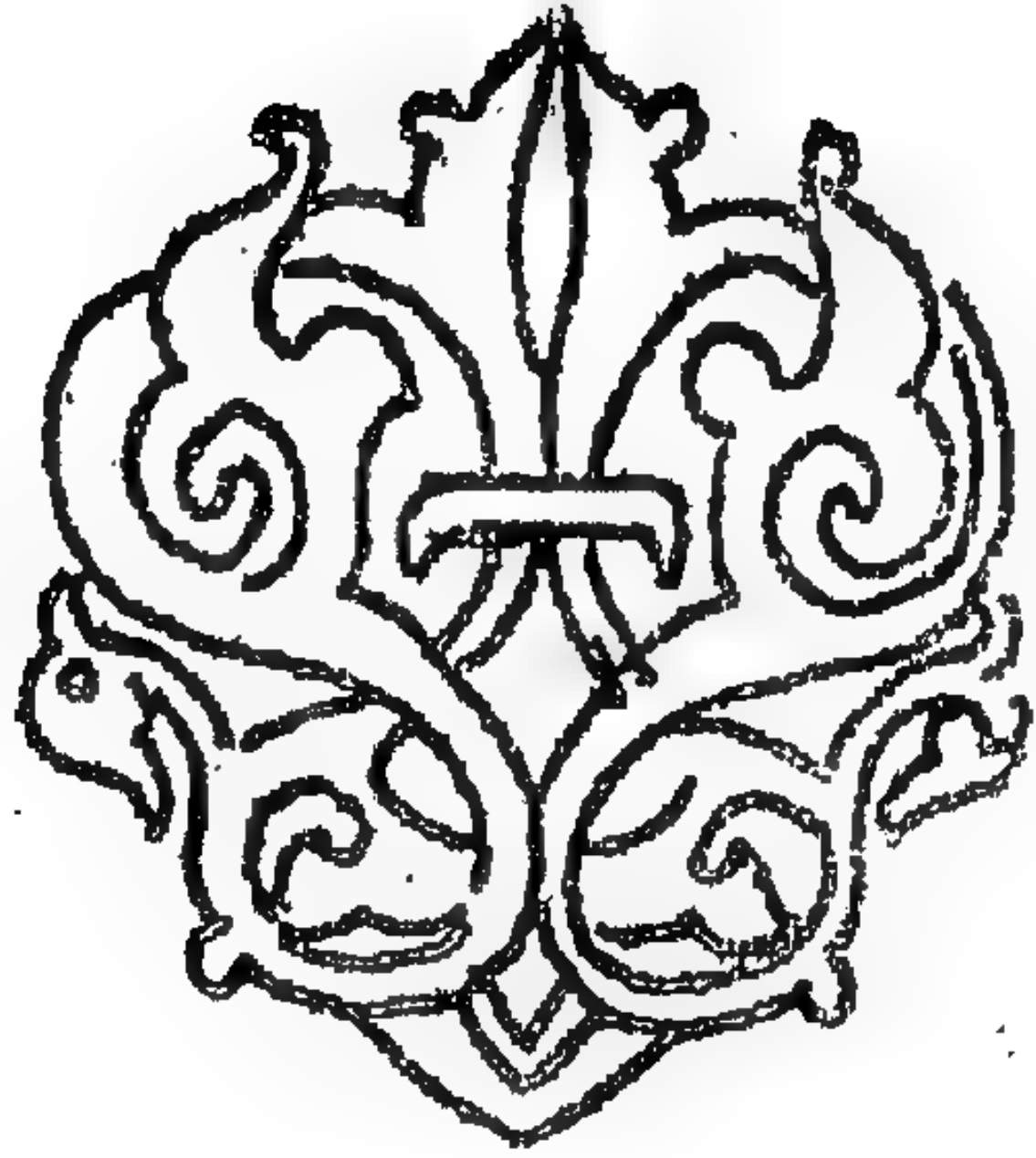
رابعاً : أدرك ابن سينا أن حجم الذي يرى يعتمد على الزاوية التي يلقها على العين ، فالشخص السائر بعيداً يلقى زاوية صغيرة على العين فإذا اقترب كبرت الزاوية وبالتالي زاد حجمه. لماذا تبدو الأشياء البعيدة صغيرة ؟

هذا سؤال وجهته لمدرس الرياضة ، عندما كنت طالبا في المدرسة الحديوية فعمجز عن الإجابة عنه وأجاب عنه ابن سينا منذ ألف سنة .

أيها السادة أشكر لكم حسن استماعكم لهذا الموضوع العلمى الجاف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن علي إبراهيم
عضو المجمع



لغة الصحافة في مصر

تطور الصحافة في القرن الماضي

د. سنان محمد عبد الفتاح

على

الرغم من أن (الصحافة)

ظهرت في أول أمرها

في الصين، في القرن العاشر

قبل الميلاد، فإن الصحافة بمفهومها ومظهرها الحديث لم تظهر إلا في القرن السادس عشر، بعد اختراع الطباعة بواسطة جوتنبرج.

والصحافة العربية هي من حسنات القرن التاسع عشر، وإن كانت أول صحيفة عربية هي التي أنشأها نابليون في مصر سنة ١٧٩٩م أملا أن يوطد بها أركان حملته... ثم جاءت بعدها (الوقائع المصرية) التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨، ويلها (المبشر) التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر سنة ١٨٤٧ فكانت الجريدة الثانية في العالم العربي.

وقد عرف قدر «الصحافة» كثيرون من العظماء والمفكرين والقادة والسياسيين والأدباء والشعراء... فهذا هو البابا ليون الثالث

عشر يقول : (الصحف رسالة خالدة) . وهذا بونابرت يقول : (الصحافة ركن من أعظم الأركان التي تشيد عليها دعائم الحضارة والعمران) وهذا تولستوى يقول : (الجرائد نفير السلام، وصوت الأمة، وسيف الحق القاطع، ومجيرة المظلوم، وشكيمة الظالم.. فهي تهز عروش القياصرة، وتذك معالم الظالمين...) . وهذا فولتير يقول : (الصحافة آلة يستحيل كسرها، وستعمل على هدم العالم القديم، حتى يتسنى لها أن تنشئ للدين عالمًا جديدًا...) : وقد قدرها في عالمنا العربي اثنان من نوابغ خريجي دار العلوم سنة ١٨٩٢ ومن أوائل المشتغلين بالصحافة. حيث قالوا في مجلتهما : «المنتقد» التي أصدرها شهرية سنة ١٨٩٣، وهما : الشيخ أحمد الأزهرى بك، ومصطفى الدمياطى.. : (إن نعمة الجرائد على البلدان لا تقل عما تشرف به الإنسان من نعمة البيان. وإن كل بلاد

(*) أقيمت المحاضرة في الجلسة الثامنة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الثلاثاء ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ، الموافق أول مارس سنة ١٩٨٣ م).

توفر حفظها من هاته النعمة، تكون أسمى وأرقى من التي لم تنل حظا يدرك هذه النعمة) ونذكر لأنطون الحميل باشا - رئيس تحرير «الأهرام» ، وأحد أعضاء «مجمعنا» الراحلين - قوله عن الصحافة: (إنها شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون) . وقد عدها أمير الشعراء أحمد شوقي آية هذه العصور الحديثة في قوله من قصيدة ، يحكي بها نقابة الصحفيين في عيدها الأول : لكل زمان مضى آية وآية هذا الزمان الصحف لسان البلاد ونبض الـ هباد ، وكهف الحقوق وحرب الخيف و « الجريدة » هي بعينها « الصحيفة » . . إلا أن الكونت رشيد الدحداح اللبناني أول من استعمل كلمة (صحيفة) لجريدة (برجيس باريس) العربية التي أصدرها في فرنسا سنة ١٨٥٨ وتابعه الناس أول الأمر ، ثم جاء بعد ذلك بسنوات ، اللغوي فارس الشدياق فآثر كلمة (جريدة) ودار من أجل ذلك نقاش طويل انتهى إلى أن جاء الشيخ إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فأسمى مجلة (الطيب) باسم : (مجلة) وكذلك فعل في مجلتيه : (البيان) و(الضياء) اللتين أصدرهما بمصر سنة ١٨٩٧ و سنة ١٨٩٨ على التوالي . ومن ذلك الحين أطلق اسم (الجريدة) على الصحيفة اليومية الإخبارية السياسية واسم (المجلة) على الصحيفة الدورية : أسبوعية كانت أم شهرية أم دورية .

ومن المناسب هنا أن نذكر أن الشيخ رفاعة أثر إطلاق كلمة (الوقائع) على الصحيفة اليومية ، ومن هنا جاءت تسمية (الوقائع المصرية) التي عهد إليه بإصدارها وتحريرها ، ولكن الدكتور لويس صابونجي اللبناني وصاحب مجلة (النحلة) التي أصدرها بلندن ، استعمل لفظة (نشرة) في مقابل كلمة (جورنال) الفرنسية بمعنى الجريدة ، كما استعمل إخواننا الجزائريون في القرن الماضي عبارة : (الورقة الخبرية) وهي ترجمة حرفية لعبارة Newo Paper الإنجليزية .

ومن اللطيف أيضا أن الصحفيين والقراء كانوا قبل الثورة العربية لا يفرقون في الاستعمال بين (جريدة) و (مجلة) إلى أن جاء إبراهيم اليازجي سنة ١٨٨٤ فوضع حدا قاطعا للتمييز بينهما حين أصدر مجلاته الطيب والبيان والضياء . والصحافة - عموما - أنواع ، فمنها الصحافة السياسية ، والصحافة الأدبية ، والصحافة العلمية ، والصحافة الدينية ، والصحافة الفكاهية ، والصحافة النقدية ، وقد تختص صحيفة أو مجلة بنوع واحد لا تعدوه إلى غيره ، كما قد تجمع واحدة بين أن تكون علمية أدبية ثقافية ، كما ظهر ذلك واضحا في مجلات المقتطف والهلل في القرن الماضي ، والرسالة والثقافة في القرن العشرين .

ولقد كانت لغة الصحافة - أول ظهور الصحف والمجلات في القرن الماضي - تابعة للغة العامة التي كان يكتب بها الناس أو يتخاطبون فهي لغة هابطة بلغت أدنى درجات الضعف والهبوط التي وصلت إليها الآداب العربية عامة . وكان الكتاب والمحروون يحشون عباراتهم بالألفاظ تركية ، أو أجنبية كثيرة ، أو عامية مما يلفظه العوام . ولم يكن هناك تخرج من ذلك ، أو لم يكن هناك تنبه لخطره على سلامة اللسان والبيان العربي . وقد دخلت الألفاظ الأجنبية المعربة إلى لغة الصحافة - كما دخلت إلى لغة الكتابة والتأليف - بلا ضابط . بل كان رائد في الصحافة والفكر مثل رفاة رافع يلجأ إلى إدخال الألفاظ الأعجمية بطريق (التعريب) ، بالإضافة إلى جهوده التي لا تنكر في ميدان (الترجمة) . فصرنا نجد في لغة (الوقائع المصرية) مثل هذه العبارات : افتتاح «برلمنتو» إنكلترة . و «فاميلية» الحضرة الفخيمة . وشهر «زانويه» أي يناير ، و «البولوتيقة» الخارجية أي السياسة الخارجية .

واجتمع مع غزو لغة الصحافة بلغة الأجانب ولغة العوام ، غزو آخر من هبوط الأسلوب وركاكته وازدحام العبارات بالمحسنات البديعية ، كالذي نجده في نعي ابنة أحمد علي المنشور بالوقائع سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م . حيث يقول : « إن الكاتب حزين ، حتى إن قلمه انغمس بمداد

الماتم ، وأسال دمع المداد كالديم . وصريره أبدى زفير الحزن والألم ، حزنا على حضرة المعصومة ، والدرة المعدومة فرع الأصل الأصفى ، منبع الجود الأخفى ، وهي التي كانت الإسكندرية متشرفة بها ، ومكسوة ثوب شرف بها ... » .

وقد بلغ من سلطان (العامية) في لغة الصحافة أنها لم تكتف باستعمالها في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بل امتد أثرها حتى قبيل الثورة العراقية بعام واحد ، حين أصدر السيد عبد الله نديم سنة ١٨٨١ جريدته (التنكيث والتبكيث) فخصص قسمها غير قليل من صفحاتها باللغة العامية ولعله رأى بحكم روحه الثورية أن يمد مجال انتشار كتاباته إلى العوام ليبلغهم صوت الثائر الممهد لثورة عراقية . وقد كان النديم يجمع في كتاباته بين الفصحى والعامية . وتعد كتاباته الصحفية بالفصحى نموذجاً للبيان العربي المشرق الخطابي المؤثر . وإن كان يؤثر السجع ويحشو عباراته بالمحسنات اللفظية الكثيرة التي لم تخرج عن روح العصر ومزاجه .

وإذا اغتفرنا لعبد الله نديم التجاهل للغة العامية تحقيقاً لهدف سياسي جليل ، فإننا لا ننسى له حبه للغة العربية الفصحى ، واهتمامه بها وإشادته بقيمتها حين كتب في مقال صحافي له بعنوان «إضاعة اللغة تسليم

للذات « حيث يقول فيه : « أيها الناطق
بالضاد : بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل .
وإلى من تركها وأنت لها كفيل ؟ وما الذي
استحسنته في غيرها واستقبحت مقابله فيها ؟
وأى شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما ؟ لبيك
أيها الأخ الشقيق ، وإن لم نحمل في بطن
واحدة ، اللغة سر الحياة ، والحد الفارق
بين الإنسان والبهيم . وهى التى بها جذبت
قلب أمك ، واستعطفت جانب أبيك ، وتملكت
فكر أخيك ، واستملت صاحبك ، وألفت
جارك ، وتعارفت مع مواطنك ، فهى
أنت إن كنت لا تدري من أنت . وهى
وطنك إن لم تعرف ما الوطن » .

ويبدو أن سلطان العامية فى لغة الصحافة
فى ذلك العهد من القرن الماضى كان قويا ،
وتيارها كان مندفعاً متدفقاً . وبلغت فيها
النكبة أن صحفا غير قليلة قد بدأت تصدر
باللغة العامية وتتميز بها ، ووجدت من جمهرة
من القراء إقبالا عليها ، وغراما بها ، مثل
جريدة « أبو نظارة » التى أصدرها فى
باريس اليهودى الإيطالى المصرى يعقوب
صنوع ، والتنكيث والتبكيث التى أصدرها
عبد الله نديم فى مصر سنة ١٨٨١ م ،
والسيف التى أصدرها حسون وحسين
على سنة ١٩١٠ والمسامير التى أصدرها

السيد عارف سنة ١٩٠٩ وحجارة منبى ،
التى أصدرها محمد توفيق ١٨٩٩ .

ولم تكتف اللغة العامية بهذا الغزو الصحافى
حتى قامت فى سنة ١٨٩٣ حملة شديدة على
الفصحى ، ودفاع شديد عن العامية قام
به المهندس الإنجليزى مستر « ويلكوكس » مفتش
الرى بمصر ، وسجله على صفحات مجلة
(الأزهر) التى شاركه فى إصدارها الشيخ
أحمد الأزهرى (١)

ولقد حرصت بعض الصحف فى مصر
على تخصيص جماعة من الأزهرين ليتولوا
مراجعة الأخبار والمقالات قبل طبعها ،
وتصحيح أخطائها النحوية واللغوية ، وذلك
حرصا على أن تظهر لغة الصحيفة أو المجلة
نخالية مما يعيبها من شوائب الخطأ اللغوى .
وهؤلاء المصححون للغة التحرير هم غير
المصححين الآخرين الذين يتولون تصحيح
تجارب المطبعة مما وقع فيها من هفوات
الجمع وعثراته .

وأخطاء تجارب المطبعة فى الصحافة
والصحف لا تقل عنها فى الكتب المطبوعة .
فالخطأ هنا قائم كما هو قائم هناك . ولا يكاد
يسلم كتاب عربى من خطأ مطبعى ، كما
لا تسلم صحيفة أو مجلة من ذاك . وعلى حين
لا تتجاوز أخطاء المطبعة فى بعض الكتب بضعه

(١) وكأما صح فى اللغة العربية وخصوصها يومئذ حتى من أبنائها يقول زميلنا الصديق العلامة عبد الله بن كزون من
قصيدة عنوانها : « خصوص العربية » :

جهلوا فناصروها العلماء ومن الجهل ما يكون بلاء

أخطاء أو تطبيعات — كما نسميها اليوم — فإنها قد تبلغ في بعض الكتب بضع عشرات أو مئات على حسب حظ المطبعة من عناية المصححين وتنهمهم :

ولا تخلو الكتب المطبوعة في أواخرها من جدول لتصحيح ما صدر من أخطاء مطبعية فيها ، على حين لا تهتم الصحيفة — وخاصة اليومية — بتصحيح ما يقع فيها من تطبيع . وقد وقعت في ذلك الباب لطائف وطرائف يتندر بها الصحفيون حين يقتضي المقام . . فمن ذلك ما وقع في صحيفة يومية سيارة حين روت في أخبارها نبأ عودة أحد الزعماء إلى بيته في موكب حافل فقالت : (وما بلغ دولته بيت الأمة حتى علا الصهيل) والمقصود طبعاً : حتى علا التهليل . وقال أحد الزعماء في خطبة سياسية له : (واصغوا إلى صوت الضمير) ، فجاءت بها المطبعة هكذا : (. . . إلى صوت الحمير) . وجاء في عنوان خبر صحافي : (الفرنسيون يضيقون الحناق على البصل المراكشي) وصوابها طبعاً : (البطل المراكشي) ، ونشرت صحيفة سيارة نبأ عن مروءة أحد المشايخ وهمته ، فعلقت على الخبر قائلة : (وأنها تثني على عمة فضيلته) . فحرفت الهاء إلى العين . . . وفي العقد الرابع من قرننا هذا قامت حركة تدعو إلى إنصاف رجال القضاء وسرعة ترقياتهم ، فكتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام يناصر الحركة قائلاً : (يجب تعرية القضاة) وهو تحريف

لعبارة (يجب ترقية القضاة) . وفي العام نفسه قامت حركة لإدخال عنصر الشباب في القضاء بعد أن كان وقفاً على الشيوخ ، فنشرت الأهرام خبراً عنوانه : «تجريد ثياب القضاة» وهو تحريف مطبعي عن عبارة (تجديد شباب القضاة) . . ونشر أحد محرري الجريدة نعي شخصية كريمة وجاء فيها : (توفى إلى رحمة الله فلان ، أسكنه الله فسيح جناته) . وعلق «موضب» الجريدة على هامش الخبر بالنشر (إن كان له مكان) فجاء منفذ الحروف وجمع هذه التعليقة بعد الخبر مباشرة . فصدر في الصحيفة مطبوعاً هكذا : (توفى إلى رحمة الله فلان أسكنه الله فسيح جناته ، إن كان له مكان) . ولطابع الصحف وطابعها في هذا الباب طرائف لا تنهى :

وحين تخلصت لغة الصحافة المصرية من الزخارف اللفظية . والمحسنات البديعية قبل الثورة العربية بقليل فإنها ظلت محتفظة بالسجع الذي كان مستملحاً عند الكتاب والقراء على السواء . وكان السجع — حتى المتكلف — أثر كبير في نفوس القراء ، وسلطان كبير على نفوس الصحفيين ، ففي عدد من الوقائع المصرية جاء هذا الخبر سنة ١٨٦٥ : (إن أناساً من اللثام ، سفلة الأنام ، ارتضوا بالخزى وارتكاب الآثام فاستبدلوا الاشتغال بأنواع الكسب الحلال بالاشتغال بالحرام والعار ، والدوران في القرى والأمصار . وكلما صادفوا أناساً

على فطرتهم وحسن نياتهم ، تحيلوا على اصطبيادهم
بتحيلاتهم ، وعملوا طرق الخديعة والحيل في سلب
أموالهم ، بعد سلب عقولهم بإحدى المغيبات
المشهورة بين الناس بالتأثورة ، فيضعونها
في شيء من المأكولات ، ويطعمونها أصحاب
العقول الناقصة بدون شعور ، وبعد الحصول
على مهامهم يفرون ...) ولم يكتب «الوقائع
المصرية» التخلص من هذا السجع البارد
المتكلف إلا حين تولى تحريرها الشيخ محمد
عبده سنة ١٨٨٠ — أى قبيل الثورة العربية
بعامين — ففي عهد هذا الإمام المفكر الرائد
تخلصت لغة الصحافة جملة وفي «الوقائع»
خاصة من بقايا المحسنات البديعية ، ومن
السجع جملة ، وأصبحت الكتابة رسالة
طليقة من تلك القيود اللفظية التي كانت تجنى
على المعنى وتجعله ناقص الأداء السليم .
واستعاض الشيخ محمد عبده عن السجع
بالازدواج أو الترادف الصوتي ، وهو نوع
من السجع لا تلتزم فيه تقفية أو آخر الحمل ،
بل يلتزم فيه توازن بين الحمل بدون تشابه
أو آخر الألفاظ .

ومن الإنصاف للتاريخ والحق أن نقول
إن الشيخ أحمد فارس الشدياق قد سبق
الشيخ محمد عبده في التخلص من السجع
منذ القرن الماضي حتى يومنا هذا . فعين
أصدر الشدياق مجلته «الجوانب» سنة ١٨٦١ في
الآستانة ، اتخذ فيها الأسلوب المرسل سواء
في الأخبار الصحفية أو المقالات . وبهذا
انقادت له كثير من المعاني وموضوعات

العلم والفكر التي كانت لغة السجع تضيق
عليها . وحين كان الشدياق يسجع فإنه
كان يتخذ ذلك في المقال الأدبي والعاطفي .
أما مقالات السياسة والعلم والأخبار فقد
تحرر فيها من قيود السجع والزخرف
اللفظي جملة .

ولا ننسى فضل الشيخ إبراهيم اليازجي
في هذا الميدان ، فهو صحافي لغوي عريق
في مجلاته : الطبيب البيروتية ، والبيان
والضيء المصريتين . وكأن الثلاثة ، الصحفيين
الكبار : أحد فارس الشدياق ، وإبراهيم
اليازجي ، والشيخ محمد عبده ، كانوا على
ميعاد في تخليص لغة الصحافة — بل لغة
الكتابة والإنشاء عامة — من السجع وبقية
الزخارف والمحسنات .

ولعل مثالا واحدا من مقالات الشيخ
محمد عبده الصحافية في (الوقائع المصرية)
سنة ١٨٨٠ يبين لنا أسلوبه الصحفي المرسل
المتحرر من القيود ، السهل العبارة ، الخالي
من اللفظ الغريب الخاف ، الداخِل إلى عقول
القراء من أيسر الأبواب وأسهلها . فهو يقول
من مقال سياسي عنوانه (خطأ العقلاء) :
(إننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية
في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة
في الانتخابات العمومية لرؤساء جمهوريتها
وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ،
ونعرف مقدار السعادة التي نالها الأهالي من
تلك الحالة . ونعلم أن هذه السعادة إنما

أنت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم ؛ لأنهم أرباب الانتخابات ، وإنما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس هم نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لأنفسهم وتنشوق النفوس الحرة أن تكون على مثل هذه الحالة الحلية .

لكننا لا نستحسن أن تكون تلك الحالة بعينها لأفغانستان مثلا ، حال كونها على ما نعهد من الخشونة . فإنه لو فوض أمر المصالح إلى رأى الأهالى ، لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة لا يرى سواها . فلا يمكن الاتفاق على نظام عام . ولو طلب منهم أن ينتجوا مائة نائب مثلا لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسبياً أو قريباً .

وأين هذا الأسلوب الصحافي المرسل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٠ في «الوقائع المصرية» من أسلوبه المسجوع المتكلف المزخرف الموشى . الذى كتبه فى جريدة الأهرام سنة ١٨٧٦ تقریظاً لها ، وترحيباً بصدورها ، حيث يقول : (إنه لما ظهر لدى كل قاص ودان واشهر بين بنى نوع الإنسان ، أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك ؛ إذ كانت قد اختلفت بتربية العلوم ، وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم ، وانفردت بالبراعة

فى الضائع والابتكار فى أنواع البدائع فكان أبناء العالم إذ ذاك ينتدون نداها ويستجدون جداها ، يستمطرون من الغيث قطرا ، ويستمدون من المحيط نهرا ، فكان التمدن فيها كهلا ، حين كان عند غيرها طفلا . وما زالت كذلك حتى زها فيها التمدن ولا عجب ؛ إذ رأى الطالبين تنسل إليه من كل حدب وأن ملوك الأرض خدام عتبته ، وتيجان الكيانين تحت قبضته ، فاستكبر واعتلى ، ولكؤوس الراحة اجتلى . !

ولغة الصحافة المصرية فى عهد الثورة العرابية هى حسنة من حسنات ذلك العهد الذى كان يتأجج بالشعور الوطنى ، والعاطفة القومية وقد وجدت تلك الثورة فى جماعة من الصحافيين - من أمثال أديب إسحاق ، وعبد الله نديم ، ومحمد عبده ، وإبراهيم اللقاني - لسانها المعبر عن آمالها وآلامها . وتمتاز لغة ذلك العهد بالأسلوب الخطابى الذى يعتمد على إثارة الشعور ، وإلهاب العواطف ؛ وذلك باستخدام الألفاظ الطنانة الرنانة التى تترك فى النفوس أعمق الآثار ، وتهيب الناس لقبول التغيرات والتطورات التى تتطلبها مبادئ تلك الثورة . ونسوق هنا نموذجا من مقالات «أديب إسحاق» الصحفية التى قصد بها فضح نظام الحكومة والحكام فى مصر ، تمهيدا للثورة التى قام بها أحمد عرابى ومحمود سائى البارودى وغيرهما من أحرار الضباط ، الذين ثاروا على الخديو وعلى

حكومة الاستبداد ، حيث يقول : (فسلكى أن أكشف حقائق الأمور ، ملتزماً بجانب التصريح متجافياً عن التعريض والتلميح ، وأن أجلو مبادئ الحرية ، وآراء ذوى النقد ، وأن أبين ما يظهره البحث من عواقب الحوادث أو مقاصد أهل الحل والعقد ، وأن أوضح معائب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً : أولى الأمر ، ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهمماً : أمناء الأمة ، ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً : ولاية النظام ، وأن أعين واجبات الإنسان الشرقى بالنسبة إلى نفسه وإلى قومه وإلى بلاده ، وما يقابل تلك الواجبات من الحقوق ، وقصدى أن أثير ببقية الحمية الشرقية . وأهيج فضالة الدم العربى ، وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، وأحيى الغيرة فى قلوب العارفين ، ليعلم قومى أن لهم حقاً مساوياً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه) .

ويمتاز «إبراهيم اللقاني» ، من بين الأربعة الذين ذكرناهم ، بأن أسلوب كتابته الصحافية — على قوته وتأثيره فى النفوس — كان يخلو تماماً من كل زخرف أو حلية لفظية أو مبالغة أو إغراق فى التشبيهات والأوصاف ، أو تقعر فى الألفاظ ، وكان يميل إلى عمق الفهم والقدرة على التحليل ، ومخاطبة العقل والمنطق بدلاً من استجداء العاطفة .

فمن مقال صحفى له فى جريدة (مرآة الشرق) كتبه سنة ١٨٧٩ — أى قبل الثورة العربية بثلاثة أعوام — تراه يقول : (هذا

سر ما نراه فى هذه الأيام من الفتنة والحوادث العظيمة الناشئة عن حركة الخواطر فى البلاد الواقعة تحت رق الاستعباد ، فلا يحسب الناظر إليها ، المتهيب منها ، أنها ناتجة من فساد الأخلاق ورداءة الطباع وسفالة النفوس ، مستندلاً على ذلك بما يرتكبه أهلها من المنكرات كالقتل بالاغتيال ، والأسر بالاغتيال ، كلا ! وإنما هى نتيجة استبداد الأمراء ، وعسف الرؤساء ، وظلم الزعماء ، فإن هذه القواصر تنصب على قوة الحرية الكامنة فى صدمة الأفراد ، فيحصل لها الضغط ، فتندفع من بعده ، فتخرج بشدة اندفاعها عن مركزها الطبيعى ، وتفضى بصاحبها إلى الإفراط . وبناء عليه فما القتل وما الأسر وما الفتنة وما الثورات إلا نتائج الاستبداد المترتبة عليه لزوماً ووجوباً . :) .

وينجرتنا الحديث عن سهولة الألفاظ فى لغة الصحافة فى القرن الماضى ، لدى مدرسة جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده ، إلى الحديث عن التقعر والتشديق والإغراب فى اختيار الألفاظ عند بعض الكتاب ، حتى من الشيخ محمد عبده نفسه ، والسيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ومحررها ، فقد كان الشيخ الإمام ، فى أول أمره وبداية عهده بالصحافة ، محرراً بالوقائع المصرية ، يميل إلى الإغراب فى الألفاظ على نحو ما كان يفعل الكتاب المتشدقون ؛ إظهاراً للتفاصح والمعرفة باللغة . ولقد تأثر رشيد رضا — وهو

يمثل لغة الصحافة الدينية - بأستاذة وصفية
الشيخ محمد عبده، الذي كان يستعمل أولا
ألفاظا غريبة معجمية ، مثل: الذبذب لهدب
الثوب، والقسطل للغبار، والذملقاني للسريع
في الكلام: والمتفثف بمعنى المتفلسف والمناهدة
بمعنى المدافعة، والجهام للسحاب غير الممطر،
ثم عدل عن ذلك وأثر الألفاظ السهلة،
واللغة البسيطة كما أثر التخلص من السجع
ومن المحسنات :

وبعد الثورة العربية بوضع سنوات -
وبالتحديد سنة ١٨٨٩ - أصدر الشيخ على
يوسف صحيفة «المؤيد» فطلعت على الناس
بأسلوب جديد في التحرير الصحفي ، وفي
لغة الصحافة : وكانت بذلك معلما من معالم
الطريق : وامتاز أسلوب على يوسف بقوة
الحجاج ، والحدل ، والتعويل على المنطق
والإتيان بالأدلة المقنعة ، وأصبح المقدمات
المفضية إلى أصبح النتائج ، مع الاعتماد على
البساطة والسهولة ، والاستشهاد بالواقع
المحسوس لا البعيد المتخيل والإتيان بالألفاظ
على قدر المعاني في غير زيادة أو نقصان،
فليس هناك مبالغة ولا إغراق ولا حشو
ولا نقص ولا إخلال ، مع القدرة على النقد
الزehir البناء ، والإكثار من التكرار؛ لتأكيد
المعاني في نفوس القراء . وهو - على شدته
وقسوته في نقد خصومه من رجال
الاستعمار والسياسيين - لا يسفت ولا يتبدل
ولا مهبط إلى مستوى العوام :

ولعل إيراد بعض فقرات من مقاله -
الذي كتبه تعليقا على حملة وداع اللورد كرومر
التي أقيمت بدار الأوبرا سنة ١٩٠٧
عقب إبعاده عن مصر بسبب أحداث دنشواي
يكشف لنا بوضوح عن لغة ذلك الرائد الصحفي
العظيم الذي كانت كتاباته تهز العالم كله ما
بين مشرق ومغرب ، فهو يقول :
« أما الاحتفال نفسه فلم يكن مظهرة سياسية
لإكرام الرجل عند رحيله كما أرادوا ،
ولكنه انقلاب - بما جرى فيه - مظهرا عداثيا
من اللورد لم ير الراءون ، ولم يرو الراءون
مثله في مقام وداع كهذا المقام . دعنا من
كون رئيس الاحتفال - يريد مصطفى فهمي
باشا - أخطأ في أنه لم يكن المتكلم الأول
وما عرف حتى الآن أن رئيس احتفال
ورئيس وزارة معا يقدم عليه سواه في
الكلام : . ودعنا من كونه خطب
بالفرنساوية ولم يجعل للغة البلاد نصيبا من
كلامه في احتفال كهذا . . . ودعنا من
زعمه أنه يمثل - مع الحكومة في موقفه - السواد
الأعظم من الأمة المصرية ، والسواد
الأعظم يخالفه في الرأي والقول . . .
دعنا من كل هذا ، وانظر إلى خطبة
اللورد السياسية التي جعلها بمثابة وصيته
الآخرة وخاتمة أعماله في مصر ، فبينما
كانت الأمة المصرية واقفة موقف الآمل،
منتظرة من ذلك الراحل العظيم ، والشيخ
الحكيم أن يصلح ما فرط منه نحو الشريعة
الإسلامية بما مضى عليها من الحمود الأبدى

ونحو الأمة المصرية بما وصفها به من العقم
السرمدي - بينما هي ترجو من جنابه أن
يغتني هذه الفرصة السانحة ليأسو الجراح
التي جرحها ، ويضمم الكلام التي فتحها
في جسمها بما تقدم و بما أراد أن يجعل
وطنتها أعجوبة بين الوطنيات ، وجامعتها
كشكولا بين الجامعات : وبينما كان سمو
أمير البلاد يتعطف ويتلطف ويبالغ في إكرام
الراحل عند رحيته ، متناسيا الحزازات السياسية
التي طالما كان اللورد مهاجما فيها غير عادل
ولا متلطف . . . بينما كان هذا ، إذا
ببركان البير وقراطية - التي نشأ عليها اللورد
ومارسها كل حياته ، حتى برز فيها (١) أكثر
من كل مبرز في تواريخ الحكومات المطلقة -
قد انفجرت نيرانه ، وقذف بلاطه على
الأحياء والأموات .

وإذا كان « المؤيد » يمثل الصحافة المصرية
في العقد الأخير من القرن التاسع عشر
والعقد الأول من القرن العشرين ، فإن
هناك صحفا ثلاثة في أوائل القرن العشرين
تمثل اتجاهات واضحة في لغة الصحافة :
بالإضافة إلى اتجاهاتها السياسية التي ليست
موضوع حديث في هذا المقام وهذه الصحف
هي (الجريدة) التي كان يرأس تحريرها
أحمد لطفي السيد ، وقد أنشأها حزب
الأمة سنة ١٩٠٧ لتكون لسان حاله :

وجريدة « الأخبار » التي أصدرها أمين
الرافعي سنة ١٩٢٠ ، وجريدة « البلاغ » التي
أصدرها عبد القادر حمزة سنة ١٩٢٣ . لقد
امتاز لطفي السيد بلغة سهلة مبسطة مرسلة
الأسلوب ، لا تقعر فيها ولا تعقيد وقد حاكها
كثير من الصحفيين في ذلك العهد ، وعدوها
نموذجا للغة الصحافة . ولن أضيع وقتكم بذكر
نماذج منها ، ويكفي الرجوع إلى كتاب :
« تأملات » و « المنتخبات » التي جمعها صديقنا
المجتمعي القديم إسماعيل مظهر لبنين ملامح
الأسلوب الصحفي عند لطفي السيد . أما أمين
الرافعي فقد تميزت لغته الصحفية بما تميزت
به لغة لطفي السيد ، ويزيد عليه حرارة الإيمان
بالعقيدة التي يدين بها ، وصراحة في مناقشة
خصومه ، ووضوح العرض للموضوع
في مقالاته . وكذلك كان عبد القادر حمزة
في مقالاته في (الأهالي) أولا . وفي (البلاغ)
أخيرا . ويتميز أسلوبه الصحفي بالاعتدال
والاتزان والواقعية والحد ، وعفة القلم
والتفكير المنطقي ، وتركه يعبر عن أسلوبه
الصحفي بقوله : (لم يجر قلمنا بما يثقل
على النفس ، ويستكره في السمع ، أو
ينبو عن الذوق ، لأن غايتنا الإصلاح
لا الإيلام وطريقتنا هي الإقناع لا الإقلاع
وليس في أسلوب التناول الذي توخينا ما يمكن
أن يشكوه منه أدق الناس إحساسا ، وأرقهم

(١) ويلاحظ في أسلوب علي يوسف طول الجمل عنده طولاً ملحوظاً ، والبعد ما بين المبتدأ والخبر ، أو الشرط
والجواب ، أو بينا الظرفية وجوابها .

شعوراً . . . إذ لا جفوة في العبارة ، ولا
عنف في اللفظ ، ولا إغلاظ في القول ، ولا
شيء غير الموضوع . . .)

على أن ذكرنا لهذه الصحف الثلاث
وهؤلاء الصحافيين الثلاثة لا ينبغي أن
ينسينا أسماء كثيرة ، تعد لغتهم نموذجاً في لغة
الصحافة المصرية من أمثال العلامة محمد
فريد وجدي في (الدستور) وأحمد حافظ عوض
عضو مجمعنا الراحل في (المنبر) و (كوكب الشرق)
ومحمد مسعود في (المنبر) ، و خليل ثابت
في (المقطم) ، و داود بركات وأنطون الجميل
في (الأهرام) ، و عبد الحميد حمدي في
(المنبر) و (السفور) ، و د . محمد حسين
هيكل في (السياسة) و (السياسة الأسبوعية)
و إبراهيم المازني في (الأسبوع) ، و محب
الدين الخطيب في (الفتح) ، و عباس
العقاد في (البلاغ) و (الدستور) ،
دياب - في (الجهاد) وغيرها .

على أن ذكرنا هؤلاء الأعلام في العقود
الأربعة من هذا القرن العشرين لن يصرفنا
عن الإشادة بقلم في الصحافة المصرية ، تميز
بأسلوب جديد منفرد ، كان هو المبتدع
له ، وهذا حذوه كثيرون من تلاميذه
وهو المرحوم - بلدينا من المنصورة -

الأستاذ محمد التابعي ، وقد كتب عنه في
الحمسينيات من هذا القرن أحد تلاميذه
يصف أسلوبه قائلاً : (مدرسة التابعي الصحفية
لها أثرها في تاريخ الصحافة : لقد حرر
أسلوب الصحافة الساخرة من الأسجاع
والمترادفات ، فهو الذي أدخل اللغة
الكاريكاتورية في الصحافة : بضعة خطوط
سريعة تعبر كأنها لوحة فنية رائعة . كلمة
واحدة تلتصق بشخصية سياسي وتحوله
من رجل وقور إلى مسخرة . لقد كانت
لغة الصحافة قبل ذلك أشبه بفساتين السيدات
في الماضي مليئة بالذيول ، فجعل محمد التابعي
لغة الصحافة بسيطة . . .)

ومن تلاميذ مدرسة التابعي في الأسلوب :
الشقيقان مصطفى أمين و علي أمين - رحمه الله -
وإحسان عبد القدوس ، و محمد حسين هيكل :
وقد تميزت لغة الصحافة منذ نشأتها ببعض
الأساليب التي انفردت بها عن لغة الكتابة
حتى لتكاد تنادي على نفسها بأنها لغة الجرائد
والمجلات ، وقد تسرب بعضها من اللغة
التركية : فقولهم في تشریف الرجال :
(عطو فتلو أفندي حضر تلى) ، و قولهم في
في معرض الأخبار والأنباء والنعي والحفلات
وغیرها : أنسنا بلقاء الوجیه الأمثل - مات
فلان مبکیا علیه من الجميع - استأثرت
رحمة الله بالمبکی علیه - على أثر داء لم
ينجح فيه نطس الأطباء - فأكل المدعوون
هنيئاً وشربوا مریئاً - سبق فذكرنا في عدد

فأنت - كنا أول من أذاع هذا الخبر - سيدنا
فهرست الكمال : وعنوان الهلال (وصفا
لجمال الدين الأفغاني) - البقية تأتي - سابق
للاحق (إذا كان للمقال بقية ستأتي) :

ومن العبارات التي تدخل في روع القراء
توثيق الأخبار ، وأنها لا يرقى إليها الشك ،
قولهم في لغة الصحافة : علمنا من المصادر
العلنية - ومن دوائر الحل والربط - ومن
بيدهم مقاليد الأمور : وقد يكون محرر
الخبر أو مخبر الجريدة نقله عن ساعي أحد
الوزراء ، أو تلقفه من موظف صغير جدا
في الوزارة - وقد وفق الصحفي البارع
فكرى أباطة رحمه الله إلى إلغاء هذه
العبارات من قاموس لغة الصحافة ،
واستعاض عنها بقوله أخبرتنا جاسوستنا
الحسنة . . . والمؤدى في الحالين
واحد . . . وهو أنه ليست هناك مصادر عليمة
ولا دوائر الحل والربط ، ولا حتى جاسوسة
حسنة . . . ولكنه اجتهاد من الصحفي المحتمل
لتلقف الأخبار وتصيدها من الأفواه :

ولم تقف اللغة جامدة أمام تطور الصحافة
وظهور أنواعها ، من صحافة سياسية ،
وصحافة علمية وصحافة أدبية ، وصحافة دينية ،
وصحافة فكاهية نقدية . . . فتطورت اللغة في هذه
الأنواع الصحفية حتى تلائم أهدافها ،
وتوافق أغراضها . . . وتحولت لغة النقاش
والحوار والجدل السياسى إلى لغة خاصة
في الصحف والمجلات السياسية والحزبية ،

كالذى حدث بين صحف اللواء ،
والمؤيد ، والجريدة ، والأهالي والبلاغ
والسياسة التي أصدرها حزب الأحرار
الدستوريين . كما تحولت اللغة في مجلات
«المقتطف» و «الهلال» ، «والعربي» ، التي
رأس تحريرها المرحوم د. أحمد زكى - عضو
مجمعنا الراحل - إلى لغة العلم التي كان يكتب
بها أمثال د. يعقوب صروف ، و د. :
حسن كمال ، وفؤاد صروف ، وعاطف البرقوقي
وكذلك تحولت اللغة - في مجلات (الهلال)
و (رعمسيس) و (البيان) لعبد الرحمن البرقوقي
و (الرسالة) لأحمد حسن الزيات ، عضو
مجمعنا الراحل ، و (الثقافة) لأحمد أمين
أمين ، عضو مجمعنا الراحل ، و (الحديد) لمحمد
حسن نائل المرصقي ، و (الزهور) لأنطون
الحميل ، عضو مجمعنا الراحل - إلى لغة الأدب
التي يميزها التأني ، وحسن السبك ،
وصحة العبارة ، والترسل ، والوضوح
والنقاء . كما ظهرت في مجلة (المنار)
الدينية ومجلة (الأزهر) لغة تعبر عن أغراض
الدين وحكمته وآفاقه الإنسانية ببيان عال ،
وأسلوب مشرق تجلى في مقالات : رشيد
رضا ، ومحمد فريد وجدى ، وغيرهما :

أما صحف الفكاهة والنقد والسخرية فقد
ظهرت فيها لغة خاصة متميزة تعبر عن هذه
المعاني أصدق وأحلى تعبير : وقد ظهرت
في هذا الميدان أسماء لامعة ، كان الجمهور
يقبل على قراءتها ، ويتلقى نتائجها بشغف

عظيم من أمثال سليم سركيس صاحب مجلة «سركيس» الدائنة الصيت ، وحسين شفيق المصرى الذى كان فيه اقتدار عظيم على الجمع بين لغة الحد ولغة الهزل ، فلا تحس أن هذا الكاتب المازل هو ذلك الكاتب الجاد ، وسليمان فوزى صاحب الكشكول وهو أستاذ فى هذا الباب . وزميلنا المحمى الراحل إبراهيم عبد القادر المازنى الذى ارتفع أسلوبه النقدى اللاذع إلى كفة تدانى لغة البلغاء من كتاب العصر العباسى :

ولم تعش الصحافة بمعزل عن اللغة ، ولا عاشت اللغة بمعزل عنها ، فقد كان من الصحفيين من يناصر اللغة ويدعو لها فى تحمس كبير ، ويجعلها من مقومات الذاتية للأمم كما رأينا من قبل عند عبد الله نديم فى مقاله : (إضاعة اللغة تسليم للذات) الذى كتبه قبيل الثورة العربية . وكان من رجال الصحافة اللغويين من رصد قلمه ، ووقف نشاطه على تصحيح الأوهام والأخطاء اللغوية التى يقع فيها الصحفيون والكتاب ، من أمثال إبراهيم اليازجى ، وأسعد داغر ، ونجيب شاهين ، والأب أنستاس الكرملى - عضو مجتمعا الراحل - وقد تمخضت هذه التصويبات اللغوية عن كتاب (لغة الجرائد) لإبراهيم اليازجى ، و(تذكرة الكاتب) لأسعد داغر . ووجدنا فى هذا الباب اهتماما أكثر من اللغويين بلغة الصحافة خاصة واللغة العربية عامة ، فقام العلامة اليازجى بإنشاء مجلة

الطيب فى الشام ، والبيان والضياء فى مصر ، وكاد يجعل تلك المجالات وقفا على الدراسات اللغوية . كما قام الأب أنستاس الكرملى بإصدار مجلة (لغة العرب) التى كان لها فضل أى فضل فى خدمة اللغة العربية .

بقى أن نشير - ونحن فى معرض الحديث عن لغة الصحافة - إلى ظهور تعبيرات وألفاظ خاصة فى زماننا هذا يراد بها تجنب استعمال الألفاظ اللغوية الأصلية للمعاني ووضع تعبيرات تكون أخف وقعا على مسامع الجماهير والقراء ، مع أنها تدل على المعانى الأصلية بطريقة ملطفة ومخففة . وقد تكون تلك العبارات من وضع الجهات المسؤولة أو من إيجاعاتها ، كما قد تكون من وضع الصحافة نفسها . : وذلك مثل : (تحريك الأسعار) ويقصدون زيادتها ، و (الرأى الآخر) ويقصدون المعارضة ، و (المتحفظ عليهم) ويقصدون المقبوض عليهم و (النكسة) ويقصدون الهزيمة ، و (السلبات) ويقصدون الأخطاء ، و (التجاوزات) ويقصدون الجرائم ، و (ترشيد الاستهلاك) ويقصدون نقصه وتقليله و (الدعم) ويقصدون الإعانة . وهذا باب من البيان الذى لا يخفى على حسن المواطنين وفطنهم ...

سادتي :

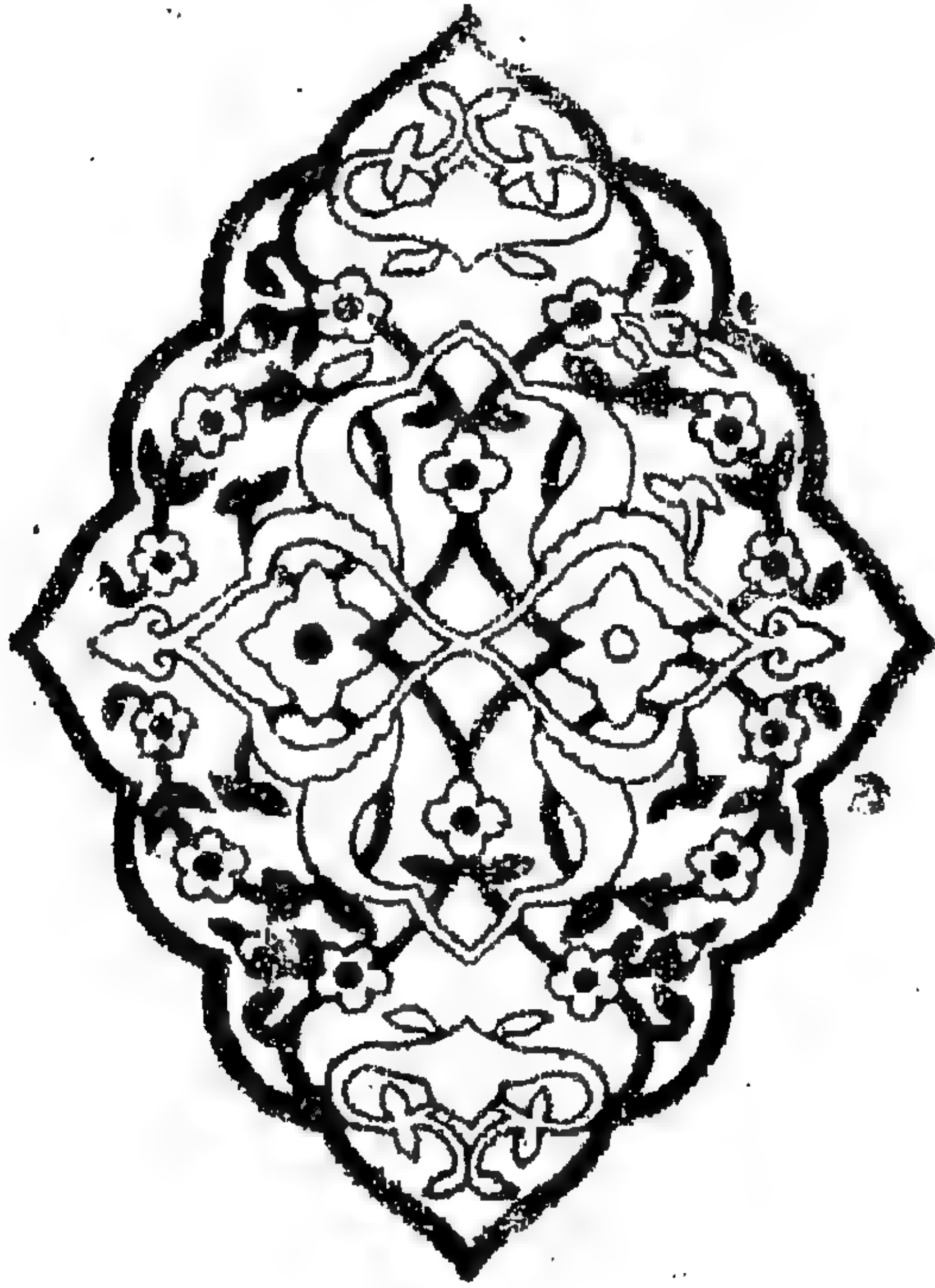
« كتبت عن رجل كبير ، فقلت إنه يزحف نحو المجد ، ونحو القمة بسرعة ... فطلبني بالتلفون ، وكلمني ثائرا غاضبا من كلمة (يزحف) قائلا : أتراني طفلا صغيرا ؟ وهل هذا يليق ؟ قلت له بكل هدوء : سل أحد اللغويين عن معنى «يزحف» في هذه العبارة . وكلمني من فضلك بعد خمس دقائق ؟ وبعد خمس دقائق كلمني قائلا : شكرا يا فكري ! اللغويين يقولوا إن يزحف دي كويسة » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمّد عبد الفنى حسن
عضو المجمع

أنحني أن يكون تيار الصحافة - وهي بحسب متلاطم ، بل محيط لا ساحل له - قد جرفني بما فاتني معه تقدير الوقت : وبما أحاذر أن أكون أطلت عليكم فأملتكم .

ولهذا أبادر إلى الختام إشفافا عليكم ، وحرصا على وقتكم ... ولكن لا بد من فكاكة تتصل بموضوع اللغة ، مادنا في معرض المحاضرة عن لغة الصحافة . ونذع الصحافي الفكه ، الساخر ، الخفيف الظل : فكري أباطة يقول في مذكراته الرشيقة :



الضدقات والغواص

للاستاذ جمال محمد أحمد

أكثرنا

عالم قضية اللغة العربية
في الصحافة اليومية ،

وقتها ما من أيام حياته ، بعضنا كتب الكتب ، والعهد غير بعيد بالمرحوم عبد اللطيف حمزة . وطيب ونافع هذا ، لنمض فيه ما بلغنا الغاية كلها بعد . لكنى أبعو إلى ؛ أن نعطي قسطا من بالنا للشهريات والفصليات والحوليات : أزعم أن هنا قضية تستأهل الجهد ، على مقدار لغة الصحافة اليومية . أنا أقول أكثر . تكتب هذه الصحف بعربية يستغلق المعنى معها ، وفي بعض الأحيان لا يسلم لك بعض الكاتبين فيها حذقة في فروع المعرفة التي راحوا لها جامعات أوروبا والولايات المتحدة ، وما هم كذلك في الذي كان من أمر اللغة العربية . يسوقون لنا آراء أهانها الاستعمال ، وأذلها الابتذال بلغة مستفهمة ثرثرة . بعضهم يريد ليأخذ بيدنا للجديد في العلوم والآداب والفنون ، فلا نفلح في أن نفلح طلاس ما يقولون ، لا نعرف بأى لحن يحبون أن يروودوا بنا الطريق . لو أردت لمضيت أحصى الذي

أقلقني هذه السنوات العشر التي كثر عندنا فيها الصحف التي إليها أشير . قلتي على اللغة العربية ، من هذه الشهريات والفصليات والحوليات والأسبوعيات في الصحف اليومية ، متعددة أسبابه ، وترتبط أحيانا بعضهم ببعض . إنها تكتب في «القضايا العامة» كما يقولون ، وللمستنيرين من خواص العوام : هؤلاء على قلة أعدادهم الآن هم الأعلون أصحاب القرار وهيئة المستقبل . كتابات هذه الصحف تمسهم على النحو الذي تمس الصحافة اليومية زيدا وعبيدا ، لا يسألون كثيرا في خاطرهم أن بيد الخواص ، أهل الذكر ، هؤلاء حياتهم الأفضل ، الأقل غلظة ، وإن كانوا يتساءلون حين يرون غلوا في الإطراء أو زلني للضلال . مثلهم ومثل المستنيرين على زماننا مثل الناس مع الشيخ حافظ القرآن في زمان مضى ، إليه يطمثون ويرجعون .

وبديعة تروق العين هذه الصحف ، تأخذ بقسط طيب من علوم وفنون الطباعة الحديثة ، والتصوير والرسم والإخراج ومزج الألوان ،

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (الأربعاء ١٧ من جادى الأول

سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٨٣ م) .

ولا ترهق - كثير - طائفة الناس التي تصدر لهم خواص العوام ، الجماعة المستنيرة بيننا . هؤلاء لا يثنى عليهم رهق مالى ، فلكل صحيفة من هذه الصحف ، ممول كفاها كل شئ «يهمها» : حكومة ، جماعة ، واحد من أهل الثراء . الولاة على أيماننا كثير . سبب أخير من أسباب القلق - لا آخر - أذكره : تذيع هذه الصحف ، أن القائمين على شئونها حذقة ، دربوا على وسائل الإغراء فى الولايات المتحدة وأوربا ، مثلاً يدعون واحداً أو اثنين من أعلام الفكر العربى الذين وجدوا سبيلهم لعقول وقلوب جمهرة الناس والخواص ؛ لأنهم نذروا ذواتهم للفكر سنين - ليركوهم يكتبون ، وباسمهم تروج هذه الصحف . جنب هؤلاء الأعلام أقلام لا تفيد الفكر العربى كثيراً ، يحسنون اللغة العربية . بعض هذه الكتابات تهجر كلاماً غير بعيد أن يوحى لقارئه - إن كان ممن لا يحذرون - أن العربية عسرة . إنه أمام «قضايا عامة» كما قال له الدعاة لهذه الصحف ، وما كان ينبغى لها أن تستعصى عليه وهو الذى يحياها ويعرف أطرافاً منها . لو لم تكن هذه اللغة العسيرة العاجزة عن عبء الذى يجد فى العلوم والآداب كل صباح . ينصرف عنها قانطاً للتأفف الذى يسليه عن الجدل الجهم الذى لا يستطيعه . خطيئة أن يصرف المستنيرون أشباه هذا الذى افترضته عن الفكر الجديد ؛ لأنه يجيئهم مخلوط اللغة ، قلق المفردات متعثر الأسلوب :

تنفق هذه الصحف جهداً لنعرف قدراً علوم وفنون هذا العصر : نحمد لهم هذا ونثنى عليه ، ونعرف أن علوم وفنون هذا العصر تشقت وأضحت أشطارا ، لكل شطر من الجمع الكثير مفردات جديدة ، تشق على اللغات التى يتكلم بها الناس فى أوطان هذه العلوم الجديدة والفنون والآداب ، وكل هذه الأوطان فى أوربا الآن بشقيها الشرق والغرب والولايات المتحدة ، وهى أوطان تعينها الحدود الإغريقية وأحياناً اللاتينية والسلافية ، فلا تلقى مشقة يستحيل عليها أن تعلوها ، تخرع المفردات الجديدة والصياغات والأساليب ، تصور بها العقل الجديد والرؤية الجديدة . نعرف للكاتبين العالمين فى هذه الصحف بهذا : لكننا نكره أن يذهبوا المذاهب فى تمزيق اللغة : إذن يمزقون عقلنا العربى ، تخذل اللغة الفكر : إن لم نقل لهم هذا بصوت يسمعهونه ويتدبرون الذى يقول ، فما هذه أول مرة يلتقى العقل العربى بالعقول الأخرى تعينه لغته الكثيرة الصدقات : إنا لا نعرف الذى كان يقوله الآخرون عن كتابات شيخنا العطار ومبارك والطهطاوى على قسوة ذاك الذى يكون بين المعاصرين من منافرة ، لكن الذى نراه اليوم - فى أضعاف كلامهم حين نقرأه - أنهم كانوا استجابة بليغة لحاجات فى نفوسهم ونفوس الناس ؛ لذا ، ما حاجهم أحد فى

رؤيتهم ، لكننا نريد لنحج هداة هذه
الأيام ، بالعطف كله والحب .

وهذه والله تبعة . من أجدر بحملها أكثر
من أخلاف حفنى ناصف وإخوته هنا ،
وأخلاف الأمير أرسلان فى الشام ، والكرملى
فى العراق ، واليازجى فى لبنان ، والسراج فى
السودان ؟ هذا اللقاء بين اللغة العربية وعلوم
العصر ما عدا أن يكون حلقة فى سلسلة
اللقاءات ، بدأت فى القرن الثامن على أيام
هارون وشارلمان ، والعربية كفاء لها الآن
كما كانت كفاء لها آنذاك ، كل الذى
يحقق بنا من قهر وخيبات ، كان قدر منه
غير قليل يحقق بالأقدمين وما قعد بهم
الذهن الخالق المبدع . بعيد ألا تكون حالنا
المقهورة بضعا من حالهم . أجبنا على رعاية
الكاتبين العلماء فى أسبوعيات الثقافة فى
الصحف اليومية ، فى الشهريرات وفى الحوليات ؟
ولن نستطيع هذه الرعاية إن لم نأخذ بقسوة
بعض ما يتمتمون به ، يغمغمون ، يصرفون
المستنيرين عن الحديد فى رأيهم ، بلغتهم التى
لا تبين ، ولا يذيعون فى الذى يكتبون مفردات
المعاجم التى صدرت عن المجمع . يستحيل على المجمع -
شأنه شأن أى مجمع فى أى مكان - أن يرفد لغة
العلوم والآداب والفنون بالذى ينحتون
ويشتقون ويحيزون ويترجمون ويعربون
ويروحون من بعد يذيعون : لجان المجمع
ما خذلت أهدافها . فقط انظر للمعاجم التى
صدرت عنه ، وقابل الذى تراه فيها بالذى

يكتب الكاتبون : لا أعرف واحدا من
هؤلاء انتفع كثيرا بالذى جهدتم فى اللجان
- يا أخى مذكور - له ، ولا أعرف واحدا - أى واحد -
أعطى العربية المعاصرة كلمة من صنعه ،
ودأب اللغات الحية أن تنمو بأقلام أهلها
القادرين ، ولا أعرف واحدا - أى واحد -
أعاد للحياة كلمة غابت زمانا ، حين
غاب فكرها الذى فى ثناياها تحمله ، كالذى
يصنع كتاب أوربا وكتاب الأمريكتين ، فهم
يعيدون للحياة كلمات أنسىها الناس ، بعضهم
يخترع المواقف فى رواياته اختراعا ، لا
تعب عنها غير تلكم المفردات ، جديرة
بالموقف ، جديرة بحياة ثانية إن كانت قد
أنسيت ، أو نشأة أولى ، إن كان مما أنشأ الكاتب .
ستذكرون « أنتونى بيرجس » فى « قوى أرضية »
حين أقول هذا كم من المفردات يبعث
حيا ، وكم من الصيغ اختراعا يخترع ، وكان
قريبا من هذا الذى يفعل الروائى بيرجس ،
فعل لطفى السيد على أيامه ، ما قنع للعربية أن
تعجز عن الآراء القادمة على أيامه ، ترجم
كلمة « لبرال » بالحرين ، أبى كلمة الأحرار ،
وكانت تجرى على ألسنة الخطباء وأقلام
الكاتبين : كان يكتب عن الحرين لا
الأحرار ، وما قدر لهذه اللفظة الأصح أن
تغالب أختها السارية . وستذكرون كم سعى
الطفى ليعيد للعربية قدراتها بأسلوبه الذى كان
به يكتب ودعواته المباشرة للغة صحيحة
دقيقة يسيرة .

نحن الدين ربينا على رسالة الزيات وثقافة
أحمد أمين ، نأسى على الدين فى عمرنا
حينذاك . محارون فى الذى تصدر المطابع
من صحف أشتات فى الوجهة ، منابعها
تتنافر لا تلتقى ، الفكر فيها والرؤى تبعاً لهذا ،
لا جامعة بينها تجمع العقول والأفئدة . لغاتها
كذلك لا تنهل من مورد . لكل صحيفة
مورد ، وتقول إنه يتفق والذى تعالج من
«قضايا عامة» . لا يجب أحداً أن يسرف
ويقول إن كل فرد من شبابنا هذه الأيام أمة
كان للرسالة منحنى وأسلوب ، وللثقافة
كذلك ، وكانتنا مع ذاك تصنعان فكراً فى
الوطن العربى متقارباً ، يفهم بعضهم عن بعض .
الآن تشتت الفكر ، لا تجد الذى يربط
بين الشباب ، إلا حين يلتقون : أطباء
ومهندسين وبياطرة ، ويعود الشتات حين
يفرغون من حديث المهنة . أمن أجل هذا
يارب عزف الأثرون - ذكاء منهم - عن الذى
فى أسبوعيات وفصليات وحوليات زمانهم
لنظائرها التى تصدر فى عواصم أوربا ؟
أعرف يقيناً أن كثيرين ممن تيسر لهم فى
البيت روايات «دكتور» و«بازاك» يؤثرونها على
الذى يجدون فى هذه الصحف ، إن ألح الآباء
على قراءات فى العربية ، يؤثرون الروائع ،
المعاصرة ، حديث الأربعاء وثلاثية نجيب
والعقريات .

أنا لا أسوق هذا الذى كان من أمرنا
أباهى الدين أتوا بعد الرسالة والثقافة :
أسوقه لعل الذكرى تنفع المؤمنين . أذكرنا

جماعات صغيرة تذرع الطريق بين «كلية
غردون» ، حيث «جامعة الخرطوم» الآن ،
على النيل الأزرق ، لمحطة السكة الحديد ،
صوب الجنوب حيث هى الآن أميالا من
النيل بعيدة ، نرغب قطار الشمال ، هناك يجيئنا
بالرسالة والثقافة والبلاغ والجهاد . يحمل
طرودها «زكى بطليموس» على عربة
نتابعها معه . يصل بها حانوته فى المحطة
الوسطى أميالا أخرى من محطة السكة
الحديد وسط المدينة حيث يلتقى عندها ،
ترام أم درمان من غرب النيل الأبيض بترام
الخرطوم بحرى ، صوب الشمال من النيل
الأزرق ، وكان بطليموس رجل خير ،
نكاد من فرط خيره أن نراه جميلاً رغم
بطنه الأثجل^(١) وعنقه الأسطع^(٢) وقصره . تكاد
تحفيه عنا ما فى دكانه من حلاوة وتبغ ودخان :
لا يلح على واحد منا إن لم يكن يملك ذلك
اليوم ثمن كل الذى يريده . وما كان فى
هذه الصحف ما يجهدنا ، حتى تلكم اللغة
الدقيقة التى كان يكتب بها عبد القادر حمزة
فى مواضيع عصية كقاعدة الذهب التى
اضطرت إلى هجرها أوربا . ما كنا ننشد
البلاغة عنده ، كما ننشدها عند دياب فى
جهاده ، وعند الزيات ، الذى كان بعضنا يحفظ
بعض افتتاحيته ، كذلك التى كتب عن تركيا
أتاتورك أو التى كتب عن ابنه رجاء . ما كان
ينشد أحداً هذا عند عبد القادر حمزة ، لكنه
كان يقرأ عمودية مترسلاً مأخوذاً بمنطقه ،

لا تفقه الكثير منه ، إنه خارج تجاربك ، لكنه يمضى بك ، لا يضجرك بعلمه الأوفر ؟
 لن نجد مكانا لصحف هذا الزمان في قلوب أبناء هذا الزمان ، وهى قلوب وعقول أكثر علما ودراية من عقولنا ذاك الزمان ، فى أعمارهم الآن . يشفع لها كما قلت أنها تريد لتأخذ بيد العقل العربى للجديد الآن فى موكب الحضارة البشرية ، كما فعل الأولون أول القرن ووسطه ، كما فعل العطار فى الأول وطه فى الوسط ، بعبارة أوضح ، أزعم أنهم لا يحققون كثيرا مما يريدون ، لا أغالى ، إذا قلت : إنهم فى بعض الأحيان يؤذون .

هذه دعوى عريضة ، سأسوق بيناتها من نماذج عكفت عليها أسبوعى الماضى حين تسلمت دعوة أخى وأخيكم المهدي ، أميننا العام ، ولن تكون بالطبع غير نماذج تشير للذى أدعو إلى أن نبين جزعنا منها ، نبحث عن سبيل أرشد من هذه السبيل التى يطرق الكاتبون العلماء الآن فقط . أكبر من اللوم يقع عليهم . ما عندي كثير . ما آخذة على الشباب أنهم يلهثون وراء المعرفة ، كالذى لهثنا نحن فى الخرطوم زمان قطر الشمال : يأتون الآن جماعات من مدن السودان الصغيرة وقراها ، يرجون المجلس القومى للآداب والفنون أن يعينهم على إنشاء المكتبات فى أنديتهم ، وعلى إرسال من يحدتهم فى الآداب والفنون من أساتذة وكتاب ، ويقول لى إخوتى ، إن هذه هى عين حال الشباب عندهم ، لا تختلف .

لن تكون كثيرة نماذجى التى أختار ، سيحدها جهلى بالقضايا التى تتصل بالحديد المذهل فى العلوم . تخرج بشرا من نوع فى زجاجة ، وآخر سويا من أنبوبة ، وورود بواسل الرجال والنساء السموات ، نيز إيماننا بالذى عرف عن السبع الطباق . يسعى بعضنا يريد ليبقى علينا ذلك الإيمان هذه وغيرها - من شئون الحديد - جوف الحديد ، لن تمسها نماذجى . تمس نماذجى الإنسانية ، كما يعبرون هذه السنين ، يترجمون كلمة ما فى تاريخ فكرنا بما يقابلها من جذور فى تاريخ نشأتها ، بمظهرها الحديث ، بحسبونها تتصل بالإنسان وما هى كذلك . واحدة من التعابير التى يحب الواحد للخواص - الذين يتصدون لتاريخ فكرنا وفكر أوربا - أن يعوا أنهما تاريخان لا يلتقيان فى كثير . لكل شريعة وقصد ، ولغة التى تعبر عنهما مذاق ونحو وتاريخ .
 الحديث الحديد عن الحديد يدور عن قضايا :

- ١ - الاستشراق .
- ٢ - التكنولوجيا .
- ٣ - السياسة .
- ٤ - التراث والأصالة .
- ٥ - التطور والإنسان .

وهذه مختارات رابطتها الواثقة فى ذهنى أتى رأيتها مرات قبل أن أعزم أن أدير الحديث حولها . وأراها الآن مرصودة فى

مفكرتي كلما انعمت فيها النظر : ما كنت غالبا حين زعمت لنفسى ، ثم لأصفيائي من بعد ، أن اللغة تحمل القضايا مخلوطة شائبة لا تصلنا نحن الذين نرقبها والأنفاس منا برقاب بعضها ممسكة لأن لغتها شائبة .

الاستشراق هذه الأيام موضع حوار ، ولا أظنه يستعصى على كثيرين معناه ، لكن واحدا من الكاتبين العلماء أخذ على نفسه أن يعلمنا فكتب بحثا طوله ١٢٠٠٠ كلمة وأوصانا بخمسة عشر كتابا فى الفرنسية والإنجليزية ، أعانته على عوننا فى حديث «عصب الاستشراق» قال فى بدئه إنه سيرينا «صورة أدق للاستشراق» فتبعناه ، لنعلم ما لم نكن نعلم ، قال : « ليس الاستشراق إلا عملية توزيع لإدراك سياسى جيد على نصوص فنية ، أكاديمية ، اقتصادية ، فوسولوجية ، تاريخية أو نحوية . فالاستشراق تفصيل لا نهاية له ، لالتميز المبدئى الثنائى : غرب ، شرق ، فحسب بل لسلسلة من المصالح...» أنا أعرف ياسادتى أنا أمام جند ، لكنى عاجز عن أن أقاوم تذكيركم بالتوحيدى يصور لأهل زمانه الصاحب بن عباد يتفقه - صورة تحاور المتصوفة : روى عنه قال : «ورأيت يناظر أبا الفرج البغدادى الصوفى وكان فى أذنه وقر من وساوس الصوفية وخطراتهم فقال له : يا أبا الفرج إذا كانت البيئونة مشعورا بها فى عرصه الحق حيث لا عيار للخلق ، ولا أمان للجل والدق ، بطنت وسائل المعرفة بحقائق المراد ، واشتبهت

أعلام الحال فى تثبيت الإشارة وبقيت العبارة على ألف الألف وعادة المتألف ، فأجابه أبو الفرج : لا ثبات لمناسب البيئونة .

نهايات الاتحاد لزوال شرائط رسوم الخلق عند تصافى الأرواح بحقائق الحق ، قال ابن عباد : ما أنكر تلاشى المناسب فى نهايات الاتحاد إذا سطعت أنوار الحقيقة بالانتقاد وإنما جررت الكلام إلى غاية تزلق فيها الأفهام ولو لا الحال التى امتحننى الحق بها ، وسحبني على غرائبها وعجائبها فى عرض صوادقها وكواذبها مما هو مردود إليه ، ومتوكل فيه عليه لشقت معك جلاب صديق قد حشى ودائع ، وفتحت لك أبواب خزائن قد جمعت فيها بدائع ، ولكنى بما ترانى أذبذب عليه مأخوذ ، وبما تسمعنى أدندن حوله مجذوذ وإلى الله المشتكى فهو الغاية والمنتهى .

عفوكم سادتى ، ما أطلت لأنكم لم تقفوا عند هذه الصورة فى الإمتاع والمؤانسة ، لكنى ما عرفت أين أقف حتى أتيت للملاذ الأول . لذت به . هو «الغاية والمنتهى» ولا أحب لنا أن ننسى هذه الصورة فهى جديرة بالذى نقلت عن حديث «عصب الاستشراق» وبالذى سأقف عنده فى الأحاديث الأخر .

والتكنولوجيا كالأستشراق تحظى بعناية تستحقها بالطبع ، وأحب لنا أن نقف عند «دراسة قدمت لمؤتمر غرف التجارة والزراعة والصناعة للبلاد العربية» قبل سنتين .

تحدثت الدراسة عن « نقل التكنولوجيا في الوطن العربي : مفهومه ومشاكله وتوجيهه » وما عندي شك في أن صاحب الدراسة يعرف الذي درسه في معاهد أوروبا والولايات المتحدة ، ولا يعرف الطريق للعقول والقلوب التي يريد لها أن تنتفع بعلمه وتعمل به فتجد نفسها بعد قليل مع الحديد-جوف الحديد - في موكب الحضارة البشرية . كتب نحو ٧٠٠٠ كلمة ، ورسم أربعة عشرة جدولا ، ورسم كثيرا ، وأتانا بجداول أرقام كثيرة .

وأوصانا بكتب نقرأها ، اختلط على حسابها . ما في وسعك أن تخصصها للخلط بينها وبين غيرها من هذه الجداول وأرقامها والرسوم . تلك عقبة أخرى في العوائق بين العلماء الكاتبين من المحدثين . ونحن بصدد وسيلتهم إلينا ، بصدد اللغة ، مفرداتها وأسلوبها ، يبدو لنا الدارس لهذه القضية التي قلت من حقها أن تشغل البال ، يقول :

« على الرغم من أن آدم سميث وضع في القرن الثامن عشر تصورا ديناميكيا لدور التكنولوجيا في إحداث التطور التقني فما زال العديد من المشتغلين بهذه القضية ينظرون لأمر نقل التكنولوجيا ، كما يجري اليوم ، باعتبارها سلعة مقايضة عادية ، ضمن فسيفساء السلع العديدة التي تتحرك بها التجارة الدولية ويحكمها تفسير الاقتصاديين السويديين (هكشر - أو هليه) لمبدأ الأفضلية النسبية

وهو مبدأ أرسى قواعده ، بعد آدم سميث ، الاقتصادي الإنجليزي ريكاردو في القرن التاسع عشر . وتبقى هذه النظرة الاقتصادية سائدة رغم تقلص نسب التعادل في عمليات نقل التكنولوجيا واتجاه الموردين إلى بيع الدراية الفنية إلى أن توصل المرامي البعيدة من عملية النقل بأهداف المدى القريب . »

عفوكم ثانية . نقلت فقرة كاملة من مدخل الحديث ، وقرأت الفقرة على مهل ، ما وقفت عند « لا تقربوا الصلاة » ، أتممت ، ما أعجلتكم عن الذي قال الكاتب العالم . ربما فقه أحدكم ما لم أفقهه ، والله لا أقول هذا تواضعا ، ما عندي ما أتواضع له في ، وسعى أن أمضي في حديث الكاتب عن « مشاكل نقل التكنولوجيا » . لن يفقه عنه حتى العارفون . نسمع من حين لحين أن أهل المهنة الواحدة والحرفة لا يكتبون للناس كلهم ، يكتبون لبعض ، وأخاف ألا يكون صحيحا حين نسعى لنطبق هذه الفكرة الأوروبية على أهل المهنة الواحدة عندنا والحرفة . تحدثنا صاحب هذه الدراسة ، ويحدث بالطبع من يعرفون ، وأخاف ألا يصل لغاية من هاتين الغائتين ، يقول عن مفهوم النمو الاقتصادي ومعنى التنمية المرتكزة على التكنولوجيا :

« كانت الفلسفة الاقتصادية السائدة وما زالت في بعض الدوائر ، تنظر إلى قضية التنمية باعتبارها عملية انتشار وتكوين

ثم من خلال ادخار من الدخل القوي
المنتج على هيئة تكوين رأس المال الثابت
مع زيادة في المخزون وفي فائض ميزان
التجارة الخارجية، يؤدي بدوره إلى زيادة
الناتج المحلي الإجمالي في المستقبل . وجاء
« شوميتز » يصحح هذا المفهوم ، وقال : إن
مثل هذا الاكتناز يشكل نموا اقتصاديا وليس
تنمية ، وإن إحداث مثل هذه التنمية يتطلب
زيادة في الكفاءة الإنتاجية .

إن أكمل الفقرة ، لأحسب أنها تزيدك علما
عن النمو الاقتصادي . وسائر الفقرات من
هذا النهج . ثرثار عقيم ، حتى حين يعفيلك
من مفرداته الأوربية التي يحسب أنها
تشرح كلامه . إن التكنولوجيا ليست سلعة
قابلة للتبادل ؛ إذ هي قبل أي شيء آخر علم
وخبرة في فنون الإنتاج الصناعي والزراعي
الحديث ، من هنا يأتي الالتباس في أذهان الكثيرين
بأن التكنولوجيا في الجوهر نشاط علمي
تنظيمي ، ينقل المجتمع من أساليب إنتاج
تقليدية إلى أساليب إنتاج حديثة ولا أهمية
هنا للشكل الخارجي القانوني لهذا النشاط
من ناحية النظام السياسي الحضاري به
في المجتمع ، ف سواء كان هذا النظام رأسماليا
أم اشتراكيا أم مبنيا على قيم التراث
الخصوصية ، فالمهم هو جوهر الممارسة من
ناحية تكريسها في أمور العلم والتنظيم
الحديثة . هذا كاتب آخر في الاقتصاد
لا يرهقك بمفردات وعبارات أوربية تقفز

لعينك في كل سطر ، لكنه لا يكاد يثرّب
من الوضوح الذي عالج به الأمر « بهاء الدين »
قبل أسابيع مضت في أربعة أو خمسة
من أعمدته في الأهرام . أقعد صاحبنا ذلك
هزال الفكرة في ذهنه . أعان « بهاء الدين »
ذهنه الأصفي . راح للبحر صاحبنا ما سأل
الغواص عن صدقاته .

وحاذر أخى أن تظن الكتاب في هذه
الأسبوعيات - التي أدير الحديث حول الذي
تكتب - والشهريات والفصليات لا يحتاجون
دفعنا إياهم دفعا أن يروحوا إلى البحر يسألون
الغواص عن صدقاته في شئون التاريخ
والسياسة ، لأننا من سادة هذا الفرع من فروع
المعرفة والزمان طفل ، لا نحتاج إلا أن
نبعث بعض مفرداتنا في هذه الشئون
وبعض التعابير من ناحية وإلا فوققات
دقيقات عند الذي ينشئه الأوربيون هذه الأيام
منها ، بعضها لا كلها ، بعضها ذاك الذي
يجمعنا وإياهم في الأصول البشرية القديمة
لا الذي يتصل بتاريخهم . نقف عندهم
ونأخذ غداء لعقلنا العربي يوقظه من
خدره . ونخبره ، لا أعترحين أقول
ثانية بين تاريخنا وتاريخهم خلاف ، تنمو
لغاتهم ، تأتي الحديد عليها ، على نحو لا يصلح
دائما لنا ، نأخذ غير ناقلين إياه لأنه يمتع
ذهننا وهو غير ذهنهم . اللهم لا بغضاء
ولا حقد . جهد منا لنكون نحن نحن ، ننمو
على نسق . نبذعه نحن من قديمنا إن تيسر ، ومن

جديدنا إذ كدسنا أكثر وانتفعنا بالذي نملك من مواهب . ما كنت لأقول هذه الأوليات لو لم تكن هذه الأقلام الكدودة الحيرة تقول لنا في الذي تقول أشباه ما قال صاحب، له في قلبي مكان . يقول في حديث له أسماه « احتجاج مصر وإطالة على المستقبل »، وهو مصرى على اسم مصر حريص ، يقول : لقد اجتمعت النزعة (الأيدولوجية) من جميع الأشكال في عصرنا الحديث على تزيف وتشويه وضع مشكلتنا القومية ؛ فمنذ الجزء الأخير من القرن التاسع كان ينظر دائماً إلى وضع مشكلة العرب في التاريخ في ضوء الديالكتيك بين مختلف الحضارات في الشرق والغرب . وقد كان ذلك هو معنى الحملة المضادة للصليبيين بعشرة قرون لمملكة القدس التي أنشئت في قلب المشرق العربي ، لمنع أى إمكانية لتوحيد أراضيه حول مصر في عهد صلاح الدين ، وقد كان ذلك ولا يزال هو معنى الاستعمار والإمبريالية التقليدية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذا قبل كل شيء هو معنى الإمبريالية الصهيونية العنصرية والتوسعية والعسكرية في منطقتنا وفي أيامنا هذه ، ويمكن القول بالطبع أن « الامبريالية » - باعتبارها مقومة نظرية - ترتبط بالتجارب الحياتية لمجتمعات دول مثل فيتنام وموزمبيق وشيلي والبرازيل ، بطريقة مماثلة . وهى ترتبط دون شك

وفي كثير من النواحي ، ولكن في إطار نظري بحث ، المهم هو قراءة تاريخ تحول العالم منذ نزوع الغرب إلى السيطرة في القرن الخامس عشر إلى إيماننا هذه بالأبعاد العامة والواسعة لهذا التحول ، ومن ثم يصبح من الأيسر ، دون شك فهم وإدراك دلالة المنطقة الحضارية العربية الإسلامية في الديالكتيك الحضارات ، باعتبارها عملية ديالكتية مستمرة ذات أبعاد تاريخية وشاملة ، وقد تكون صاحبة التأثير التشكيلي الأقوى في تركيب ميزان القوى في المدى الطويل لعصرنا الحديث .

سيدى ، نقلت لك فقرة كاملة ل ترى معى أن التوحيدى حين أغلظ على ابن عباد، لو بعث حيا اليوم، لما احتاج أن يجهد قلمه، يخترع تلكم العبارة التى أتينا عليها قبل حين. ولست معنيا بتهافت الفكرة . نقرأ تاريخ تحول العالم من القرن الخامس عشر إلى يومنا هذا لنذكر ونفهم دلالة المنطقة الحضارية في ديالكتات الحضارات بعد أن قرأنا نحو ٨٠٠٠ كلمة في بحثه الذى استند على ١٢ مصدراً يعرفنا بها تعريفاً كلما وقف عند واحد منها ، وبعضها من تصنيفه هو بالعربية أحيانا وبالإنجليزية أحيانا أخرى وبالفرنسية أحيانا ثالثة .

دعنى وأنا بصدد الكتابة باللغات الأوروبية أقول لك إن صاحب الحديث عن احتجاج مصر كتبه بالإنجليزية تنافس هذه العربية .

أنا عاشرت هذه اللغة سنين وجدته
لا أفقه الذى يريد صديق الطيب بهذه العبارة :
إني أذن غير فطن . إن كنت ذاك ، فأين
الظن الذى يفهم عن صديقي مساق فكرة
تحمل له مفردات تكاد لا تنطق وصياغة
تهتز اهتزاز من به دساتير : « زار » . تلمح
بضعاً هنا وبضعاً هناك بعد ثانية . ولا
تلقى الأقطار . تراها وحدة تنبئ .

وقبل أن أروح أضع بين يديك نماذجي
الأخر التي وعدت ، أحب لنا أن نقف
لحظة مع الترجمة ، لأن بعض هذه الصحف
أوقفت نفسها عليها . عرفت بحق أنا
كغيرنا من الناس ، نحتاجها كل عصر ودهر
نظل بها على الآخرين ، كما أطلت من
قبل أيامنا الزهر في عهد هارون والمأمون ،
وأطلوا علينا ينقلون عنا ابن سينا وابن حزم
والفارابي . طيب هذا . طيب أن ينقلوا
لنا الذى يرى الآخرون .

لكن تعالوا معي لترجمة في صحيفة من
صحف أيامنا شرعت منذ سنتين
ترجم لنا ما تختار من كتابات في
صحف أوروبا وأمريكا . سترون معي أن
العلماء الكاتبيين الذين يترجمون لهذه الصحف
لا يعرفون غير ألفاظ مسخوطة في العربية .

وأسوق البيئة على ما أقول مرة ثانية ،
ولا يعني ما يقولون ، وإن كنت
أرى أنهم حين يتحدثون إلينا لا يقضون
وقتنا كافياً يعلمون ، يقرءون صدراً من الكتاب
لا الكتاب أجمعه ، لا يعني هذا إلا قليلاً .
تعني لغة الترجمة .

أنقل لكم عن حديث عنوانه « تحولات
الإسلام في أفريقيا السوداء » كلمة تحولات
تبدو هنا بلغة عربية واجفة الأوصال
لا تؤدي بالطبع إلا لفكر شبيه بها يكاد ألا
يكون له أوصال : « يشكل أتباع الإسلام
في الصحارى الجنوبية مليوناً من الرعايا
في الوقت الحاضر ، (يعني مايو ١٩٨١)
أى عشرين مرة أكثر من العربية السعودية [!] »
إلا أن تلك الكتلة الهائلة من المؤمنين ، الذين
من الفئة المتوسطة في القارة ، غالباً ما ينظر
إليها - بتعجرف - عقائديون شتى ، مستشرقون
أو علماء بالإسلاميات وسواد المسلمين
في سائر أنحاء العالم . وقد تجد ذلك الاحتقار
في نماذج تكونت في العصر الذى كان فيه
السود الجنوبيون يشكلون غالبية الطبقة
المستعبدة الشرقية والغربية ، وهو يندرج
في جملة من الآراء المسبقة الهدف ، منها تهمة
أفريقيا الجنوب صحراوية . فقرة كاملة ،
لا يعني فيها الخلط في الفكر ولا الإيهام
في الحقائق .

لا ، سادتي ، لا أحسب أحدا في هذه الطائفة من الذين يترجمون لنا متهم النصيحة ، لكني أحسب أنهم عجلون على مكان في موكب الذكاء العربي ومن يدري ربما كان بعضهم يريد ليشاب على كلامه هذا بمال مبدول على أيامنا هذه للقادرين وللغاوين ، لا تميز . لن نحسن صنعا إن سكتنا ، وإن كنت لا أعرف على التحقيق ما الذي نفعل كيلا يحيق بنا سوء الذي يكتب هؤلاء ويترجمون . وأنا لا لأظلم حين أقول إن الأقلام التي تكتب هذه النماذج ، والعقول التي وراءها ، لا يمكن لها أن تعجزنا بالذي قد تقول عن دراساتها في المعاهد والجامعات في أوروبا وأمريكا ، هناك ما يحملنا على الظن بأنهم أخذوا من تلك المعاهد والجامعات ما استطاعت أن تعطيه لهم من معارف ، وعادوا يحملونها في عقولهم وقلوبهم ، يحبون أن يأخذوا بيدنا للجديد في جوف الحديد ، كما قلت . صرفهم العجلة الإلهية ، واحسرتاه ، أن يذكروا أن في بحر حافظ إبراهيم صدقات تعينهم على حمل هذا الذي يحبون لنا . إن سألوا الغواص عن تلكم الصدقات . أكثرهم ما سأل .

لن أمضي في هذه النماذج ، أرجو أن أكون سقت الذي يكفي ، لأدلل على دعواي ، لكني أنتم حديثي بظاهرة ، أضعها جنب هذه الظواهر التي إليها أشير ، لتعمل الذي نستطيع كيلا تضيع بيننا ، فتفسد الجهود المتأنية التي ينفقها المندرون أنفسهم للغة .

الظاهرة التي أراها ، وأدعو إلى أن نأبأها ، هي جهود بعضهم لإصلاح - أو تجديد العربية من خارج فقهها وخارج مناخها وتاريخها . على القربي القريبة بين اللغة الإنجليزية واللغات الأقدم : اللاتينية واليونانية ، يقول لنا واحد من ثقافة دارسيها : « يستحيل على لغة ، أية لغة ، أن تنمو نموا ينطق بحاجات أهلها في زمانهم الذي يحبونه ، إن فرضت على تلك اللغة فرضا ، قدرات لغة أخرى أو لغات وإن كانت أسرة تلك اللغات فاتنة » . يجب أن نصف الإنجليزية بنموها هي من جوفها ، مفرداتها ، صياغة تلك المفردات ، أسلوبها مذاقها ، والإنجليزية لغة كثيرة التعقيد ، ما ينبغي للدارسيها والكاتبين بها أن يجلبوا لها تعقيدات أخرى من اللاتينية ، يرجون أن نراها بعيون تلك اللغة ، وما عيونها هي أقل حدة . تلك عيون لها طرائقها ، وللإنجليزية عيون ذات طرائق ، وهي مع هذا لا تنكر أن بينها وبين اللاتينية وغيرها من اللغات مشابهة ، ننسى أكثر الأحيان أنها افتراض لا واقع ، على الدارسين أن يقفوا طويلا عندها ، يكتشفون الصحيح من تلكم الافتراضات والباطل .

إن كان هذا هو الذي بين اللاتينية والإنجليزية ، فما أبعد الذي بين العربية وتلكم اللغات ، وما أجدر الكاتبين في فقهها وتراكيبها أن يتدبروا أمرهم طويلا قبل أن يكتبوا لنا عن طرائف اللغات الأخرى . أخاف

على علمائنا الكتاب هؤلاء أن تفتنهم الكتابات
الأوربية فلا يقرؤنها ضوءاً ينير عقولهم ،
ويعدها لتكون أكثر اقتداراً على العيش مع
مع لغتهم الأصل وانتقاعاً بأصولها وبالذي
خبرته عبر السنين . يحدثنا واحد من هؤلاء
حديثاً عن «اتهام نظرية شومسكى» ويبدو
لى من دعوته الجامعة التى ينتهى إليها أنه
يأخذ من المنبع نفسه ؛ أى كتب شومسكى
وتلامذته المكتوبة بالإنجليزية ؛ ذلك لأن فى
صفوفها توليديين . وليكن هذا مرامه من
بحثه ، لكنه مرام بعيد بعداً تاماً يريد أن يحدثنا
عن « النمو التولىدى » فى فقرة من فقراته
الأولى ، يقول : تشهد بداية عام ١٩٧٧
على ظهور أول كتاب لشومسكى ، فى هذه
الفترة الزمنية استطاع شومسكى أن يركز
قواعد نظريته الألسنية التى أسماها بالنحو
التولىدى .

هذا التركيز قد تم بواسطة نقد ذاتى متواصل
لتطوير النظرية حتى تصير علماً ، فالفرق
شاسع بين فكرة استقلال النحو الموجودة
بكتاب هياكل نحوية وفكرة وجوب

تلاحم المركب المعنوى بالمركب النحوى
الموجودة بكتاب مظاهر من النظرية النحوية .

لكن فرضية شومسكى لا يمكن إثبات
نجاحها إلا بتدريس كل اللغات الإنسانية .
ولذا عرفت الألسنية التحصيلية
بأنها فرضية استنتاجية خلافاً لطريقة
الهيكلية التى هى استقرائية استنتاجية .
وهذه كأخواتها فقرة كاملة لا أعرف إن
كان أحدنا أدرك ماذا يريد لتلك الجامعة
أن تعمل بشومسكية هذا . لكن أكثرهم
يطلبون إلينا الذى لا نستطيع . وإن أحببنا
أن نسمع كلامهم . أتذكرون ذاك الذى
طلب إلينا أن نقرأ التاريخ البشرى كاه
بين القرن الخامس عشر والقرن العشرين لنذكر
ديالكتيك «احتجاج مصر» ؟ صاحبنا هذا
أكثر إيماناً بقدراتنا ، يطلب إلينا أن نعرف
كل اللغات الإنسانية لندخل النحو التولىدى
فى جامعاتنا .

جمال مشهور أحمد

عضو المجمع المراسل من السودان



التعبير العلمي ولغة العلم

للكبير ابراهيم إيهـم الدرس

ما تستخدمه العامة من بسطاء وجهلاء ،
ويتميزون عنهم في جزالة العبارة وحسن
السبك ، ولذا كانت لغة الخاصة غريبة على
العامة ، وإن لم يخرج عما ورد بالمعاجم ،
لساناً وقلماً .

أما أهل المهنة الواحدة والعلماء ، فإنهم
في محيطهم العلمي الزاخر وحياتهم العلمية
المتطورة ، كثيراً ما يخرجون اللفظ عن
معناه اللغوي الأصيل ، فيستخدمون الفعل
مجازاً والاسم كناية ، للتعبير عما يدور في
فلكهم من أسباب ومسببات ، ويعن
في خلدهم من أفكار وتصورات ،
وما يجري حولهم من ظواهر وتفاعلات ،
وما يحتاجون إليه من عدة ووسيلة ،
 وآلة ونبيطة ، إلى غير ذلك ، من فعل
ورد فعل ، وسكون وحركة ، واتزان
وابتكار وتشيد ، وكشف جديد ، من
أسرار الكون والحياة ، ما شاء الله أن
يعرفوا . ومن ثم نشأت لغة العلم وما إليها
من رموز وأشكال ومصطلحات وتعبير
علمي .

مرجعا أو بحثاً علمياً في
غير تخصصك وأقرأ فيه
فقرة أو اثنتين ، ثم سل
نفسك عما فهمت مما قرأت . فإن كنت لم تفهم
بعد ، فارجع البصر إلى الكتاب مرة أخرى
وأقرأ ما سبق لك أن قرأت ، لعلك تكون
في هذه الكرة أكثر حظاً منك في سابقتها .
ولكنك على الأرجح سوف تدرك قصورك
عن فهم المعنى ، كاه أو بعضه على الأقل .

ذلك أن العبرة هنا ليست بفهم المفردات
من أفعال وأسماء ، على نحو ما جاء ذكره
في المعجمات اللغوية ، وهي والله الحمد
زاخرة بالشرح والتفصيل ، وذكر أبواب
النحو والصرف والمصدر والمشتقات وكذلك
الجموع إلى غير ذلك ، مما يكفي الناس في
المحادثة والمراسلة ، والتعبير عما يريدون
ويشعرون .

إلا أن لغتهم تختلف ، رفعة وضعة
وغزارة وقلة ، باختلاف عقولهم وثقافتهم .
فالخاصة من أدباء وخطباء وشعراء ،
يستخدمون من المفردات والألفاظ أضعاف

(*) ألقى البحث في الجلسة العاشرة من مؤتمر
الدورة التاسعة والأربعين (السبت ٢٠ من جادى الأول
سنة ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٥ من مارس سنة ١٩٨٣ م) .

وهي لغة تشترك مع النثر في بلاغة المعنى ودقة التعبير ، وتترك له بلاغة المبني وسحر البيان . إذ أنها لغة المختصر المفيد والسهل الممتنع ، في وضوح وصراحة ، وأمانة ودقة . كما أنها تشترك مع الشعر في التناسق والخيال ، وتختلف عنه في البعد عن المبالغة والغواية ، وفي الاستمساك بالحقائق وواقع الأمور . ولعل أكبر اختلاف بين لغة الأدب ولغة العلم يتمثل في أن الأولى أكثر وطنية وقومية وتعلقا بالتراث ، في حين أن لغة العلم أقرب إلى الدولية والعالمية ، فهي لا تعرف الحدود الجغرافية ، ولا تعترف بالأصول و قدسية القديم ، بل تعيش في تطور مستمر ، وفقا لما تكشف عنه البحوث من أسرار ، وما تجود به القرينة من تجديد وابتكار . ولذا كانت كنوز الأدب في إحياء القديم ، وثروة العلم في الكشف عن الجديد .

وإن شئت فقل إن الأدب غواص يطلب اللآلئ من الأصدا ف ، أما العلم فبناء يصنع الدر بإذن الله . أو أن الأديب ناسك يقصد خلق الله ، ويعبده بصلاته ونسكه ، أما العالم فيعبد الله بالبحث عن الحقيقة والاختراع ، وإتقان العمل والإبداع مؤمنا بأن إبراز قدرة المخلوق برهان على قدرة الخالق . وما الفرق بين الأديب والعالم . إلا كالفرق بين الصمت وبين الكلام ، أو بين السكون وبين الحركة ، وكل ميسر لما خلق له .

وإنك لترى الأديب في أدبه سائرا بظهوره ، ناظرا إلى الماضي وما قد سلف . وترى العالم في علمه سائرا بصدره ، متطلعا إلى المستقبل وما سوف يخلف . ولذلك كانت المعاجم اللغوية جامدة ، ترجع في فحواها إلى ما سبق ، وفي فقهها إلى الأوائل .

أما المعاجم العلمية ففي زيادة مطردة ، تضيف أسماء جديدة لمسميات ومخترعات ، وتقتبس من غيرها من اللغات تعريبا وتوليدا وتزيد من التعبيرات والمصطلحات ، لتفي بالحاجة المتطورة إلى مزيد من الدقة والشرح .

وهي فوق ذلك تستعين بالأشكال إلى جانب الأقوال ، وأبرز ما يكون ذلك في مجال الهندسة ومحيط المهندسين ، وما إليهم من مهنيين وحرفيين . فالرسم هو اللغة الدولية للهندسة وأنها والشكل الواحد يغني عن صفحات من الكلام . كما يستعين المهندس بالرموز ، وفي ذلك إيجاز وإعجاز . ويستخدم الأرقام والأعداد ، في بيان الأبعاد ، طلبا للتحديد والتحديد في الكم والمقاس . ولولا كل هذه الوسائل لما أمكن للمهندس أن يعبر . عما يريد في محيط فكره وعمله . ولو أنه اقتصر على حروف الهجاء والألفاظ ، كما هو الحال في لغة الأدب ، لأعيتة الحيلة ، وسدت أمامه السبل .

ولا يفوتنا ، ونحن في صدد الكلام عن لغة العلم والتعبير العلمي ، أن نذكر

أنتا نستخدم في واقعنا لغة عامية ، تقرب أو تبعد عن العربية الصحيحة وفقا لثقافة المتحدث ، ودرجة تمكنه من قواعد النحو والصرف والبيان . وهي لغة منطوقة لا مكتوبة ، وتختلف من بلد إلى بلد . ولذا فإننا نركن ما أمكن إلى العربية الصحيحة في الكتابة بيننا ، وفي التفاهم مع غيرنا من الناطقين بالعربية . وفي ذلك مشقة لا يعرفها أبناء الدول الغربية ، الذين يكادون يتكلمون كما يكتبون بلغة سليمة .

ولاسبيل لنا إلى تخطي هذه العقبة إلا العناية بتدريس العربية في المدارس ومعاهد التعليم ، والنهوض بما يطبع وينشر ، ويناع في الصحافة ووسائل الإعلام ، ولا شك أن انتشار التعليم ورفع مستوى الثقافة كفيلا بالتغلب على هذه الصعوبة حتى تصبح لغة الخطاب هي لغة الكتاب . ثم نرفع هذه اللغة المشتركة بعد ذلك إلى مصاف الفصحى . فيتجدد اللسان مع القلم في البلد الواحد ، ثم في جميع البلدان الناطقة بالعربية إن شاء الله .

وإلى جانب هذه القضية الأدبية ، تقوم قضية علمية ، تتعلق بالمفردات والمصطلحات وأسلوب التعبير العلمي . فنحن في نهضتنا أخرج إلى مواكبة الغرب في علمه الحديث ، لنستقي منه حتى نضاهيه ، ثم بعد ذلك نعطيه . وليس أدل على ذلك من

البعثات العلمية ، التي توفد إلى الخارج لتستزيد ، وتتمرس على البحث وتفيد ، ثم تعود ناقله إلينا الطريف والجديد . ولا جناح علينا في ذلك ، فهذا ما حدث وما يحدث بين البلاد الغربية ، بل وبين الجامعات والمصانع في البلد الواحد والبلدان المختلفة . ولكن الصعوبة التي تعترضنا هي نقل هذه المصطلحات إلى اللغة العربية .

وهي صعوبة لا تعن للدول الغربية ، لأنها سائرت موكب العلم الحديث من بدايته ، ولم تتخلف عن ركبته ، وإنما تفاوتت سرعاتها تبعا لتقدم كل منها في هذا المضمار . وكان من شأن ذلك ، أن دخلت المصطلحات والتعبيرات العلمية تدريجيا في اللغات الغربية .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن جميع هذه اللغات ، تمت بصلة إلى اللاتينية ، أدركنا أن صيغة هذه المصطلحات تكاد تتقارب في جميع تلك البلدان . ذلك أن العلوم جميعا كانت إلى عهد ليس ببعيد تكتب وتدرس باللاتينية في كل مكان . ثم بدأت حركة الترجمة تباعا في بلد بعد آخر . ولا تزال آثار اللاتينية باقية في مواقع كثيرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن الأسماء التي أعطيت للعناصر والمواد ، ثم العدد والآلات ، ومن بعد ذلك للمنتجات ،

ترجع إلى اللاتينية وتركب منها ، ومن أجل ذلك تقاربت التعبيرات العلمية في اللغات الحديثة لدرجة كبيرة ، حتى إن البعض لم يجد صعوبة في فهم مصطلحات البعض الآخر ، على اختلاف لغاتهم ، وانحصرت الصعوبة في فهم اللغة الأجنبية ذاتها ، من حيث قربها أو بعدها عن لغته الأصلية .

ولكن الأمر يختلف عندنا تماما . فلغتنا أصيلة ، ولا تمت إلى اللاتينية بصلة ما ، بل إنها بالنسبة إلى لغات البلدان المتاخمة مورد ومعين ، كما هي حال اللاتينية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية .

فهل ننقل مصطلحاتهم العلمية على علاقتها ، ونستخدمها كما هي في تعبيراتنا العلمية ؟ أو أننا نرجع إلى معانيها ، فنترجمها إلى لغتنا ، ونستخدم هذه الترجمة كبديل للمصطلح الأجنبي ؟ لا جرم أن لكل من الطريقتين مآلها وما عليها .

فإن كانت الأولى ، فلا شك أن الكلمة الأجنبية ستظل غريبة عن بيئتها الجديدة ، ولو عوملت منا معاملة الكلمة العربية نحواً وصرفاً ، من حيث الشكل والاشتقاق .

ولكن استخدام هذه الكلمات في كتبنا العلمية سوف يفتح لنا أبواب المراجع الأجنبية في شيء من اليسر . أما إذا كانت الثانية ، فسوف لا يكون هناك نشاط في كتبنا العلمية العربية ، ولكن ورود

المراجع الأجنبية سيصبح صعب المثل علينا ، أو في شيء من العسر .

والواقع أن تعريب المصطلح العلمي الأجنبي ، في وقتنا الحاضر ، قد بدأ بالمجهود الفردي ، على أيدي نفر من أهل العلم والأدب ، لسد حاجة الدارس والباحث على السواء .

ولذلك جاءت هذه المحاولات متباعدة لاختلاف الأسلوب والدار . فحمل الشيء الواحد عدة أسماء ، والعمل الواحد جملة تعبيرات ، تستحسن في مكان ، وتستهجى في غيره ومنها ما قدر له البقاء ، كما أن منها ما وُثِدَ يوم ولد .

وإلى جانب جهود المترجمين والمؤلفين انتشر العديد من المصطلحات والتعابير بين المهنيين والحرفيين في تعاملهم مع الحاليات الأجنبية ومع زملائهم من الأجانب المستوطنين . ولا تزال آثار هذه المحاولات المعربة والمحرفة ، باقية إلى الآن متوطدة الأركان ، بين الصانع والتاجر ، وبين المهندس والعامل ، وسارية على ألسنة غيرهم من الناس .

ولقد قام لفيف من الناشرين وبعض الهيئات بجمع هذا الشتات في معجمات ، كما ضمها البعض قواميس اللغة ، في مصر وغيرها من البلدان الناطقة بالعربية . وأصاب بعض هذه الجهود نجاحا ورواجا ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر « معجم

المصطلحات الطبية » للدكتور محمد شرف
رحمه الله ، « ومعجم المصطلحات الفنية »
الذى تبنت فكرته القوات المسلحة ،
والذى عكف على إخراجها نخبة من المهندسين
ونفر من العلميين ، نذكر منهم الأستاذ
مصطفى نظيف رحمه الله .

ثم بدا لنا أن ترك الأمر للجهود المبعثرة ،
فيه عبث باللغة وضرب بالعلم لا يحسن
السكرت عنها . فعنى مجمع اللغة العربية
بقضية التعريب إلى جانب عنايته بشئون
اللغة ، وضم إلى عضويته عددا من
أهل العلم من المهنيين ، وشكلت منهم
ومن أعضائه اللغويين ، مع نفر من
الخبراء ، عدة لجان للعلوم المختلفة ،
وعهد إليها اختيار المصطلح العلمى
الصحيح المقابل للأجنى فى المعجمات
العلمية ، وتعريفه بما يكفى للدلالة عليه ،
لعرضه على مجلس المجمع للموافقة ،
ثم على المؤتمر السنوى للاعتماد ، ويضم
هذا المؤتمر أعضاء المجمع من المصريين
ونخبة صالحة من العرب والمستشرقين .

هذا وتسير اللجان حثيثا على نهج
قويم ، جادة فى طلب المصطلح العلمى
الصالح ، مسترشدة بما يجرى على السنة

أهل الصنعة ، ومهتدية بما وصل إليها من
التراث القديم ، ومستأنسة بما ورد فى
المعاجم الحديثة ، وما ألف وترجم ونشر
فى الوقت الحاضر ، لتستخلص أحسنه
سبكاً وأقربه قصداً . فقد يكون العرف
لجارى خيرا فتبقى عليه ، إلا أن يكون
ركيكاً أو ذا عوج لغوى . وقد تجد
فى النصوص القديمة مصطلحا وافيا
بالغرض ، أو تعبيراً كافيا ، فتبعته
من جديد . أو تلمس فى جهود المحدثين
ما أصاب الهدف فتقره وهكذا . فإن
لم تجد بين أيديها ما يقابل المصطلح
الأجنى تماما ، ويؤدى معناه ، عمدت
إلى التعريب والتوليد ، أو أخذت المصطلح
الأجنى ، كما هو ، إن لم تجد بدا من ذلك ،
وألفته شائعا ومستساغا ، وقد حدث ذلك
كثيرا فى مثل الكيمياء ووحدات المقاس
والمعايرة .

والمجمع جاد فى طبع ما وصلت إليه
لجانه ، وأقره مجلسه . ولا شك أن
اعتماد المؤتمر السنوى هو من سبيل
النشر فى محيط العربية الفسيح ،

والاستشراق أيضا . والفيصل الأخير
هو أن يشيع المصطلح بين أهل الذكر
وأن يعيش بين الناس . ولا سبيل إلى ذلك

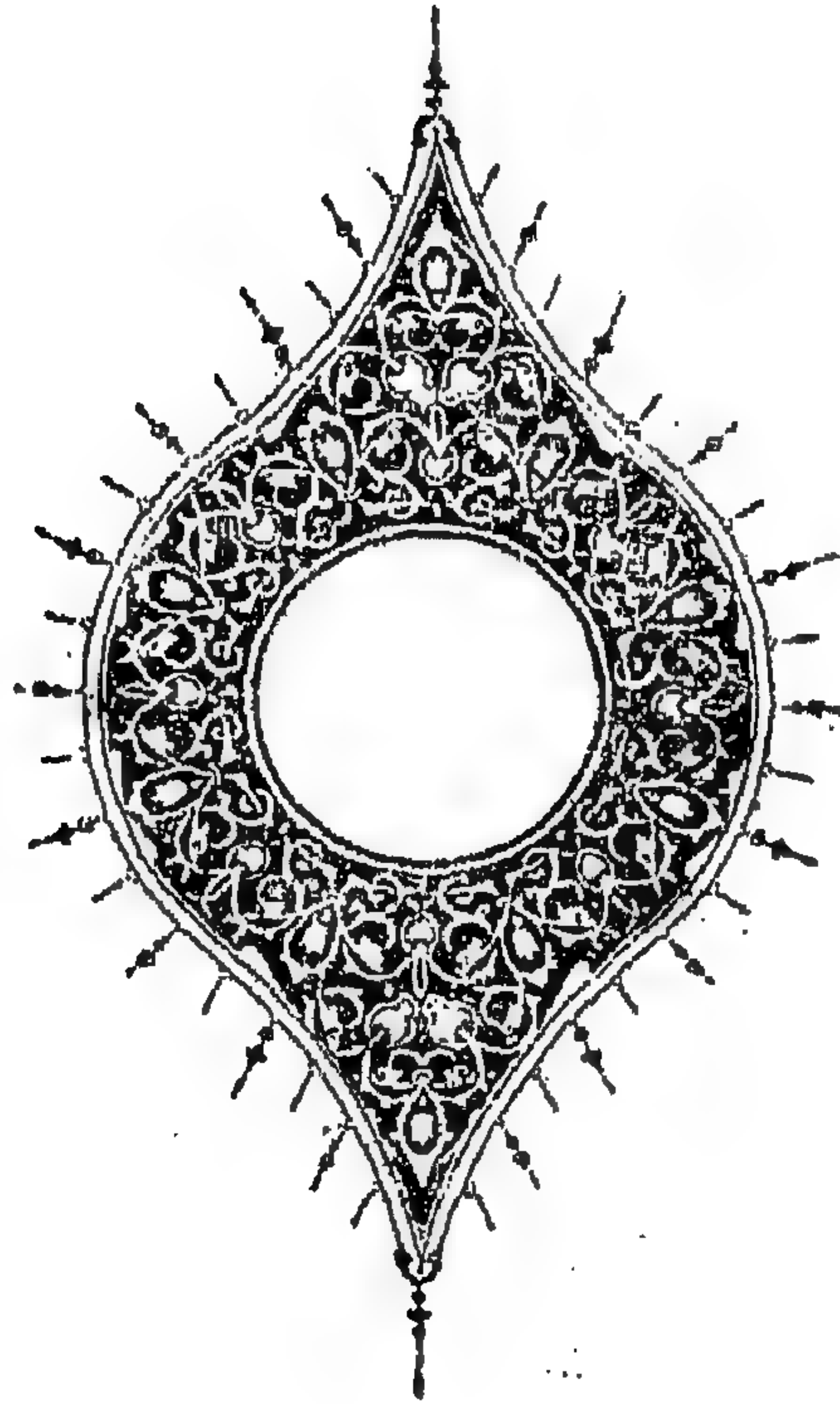
إلا باستعماله في التأليف والترجمة ، وفي
المحاضرات والندوات العلمية .

ونحن في مجتمعنا وبيئتنا نؤمن برسالتنا
ونجد في السير على الدرب ، ونأمل
أن نجد من أهل العلم والمهنة تعاوناً صادقاً
وموازرة ، لا في مصر فيحسب ، بل
في محيط العربية الرحب ، ومجامع اللغة
في بلدانها ، والهيئات العاملة على التعريب
والترجمة والتأليف فيها .

ونسأل الله تعالى العون والمثوبة ، حتى
نجمع الشمل على لغة فصيحة واحدة ،
لساناً وقلماً ، وندرس العلم بمصطلح
موحد فنُسَدِل الستار على الخليط السائد
الآن من العربية العامية والمصطلح الأجنبي .
والله من وراء القصد ، وهو
ولى التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

إبراهيم الدمرداش
عضو المجمع



المصطلح العلمي في العرب

للكبير عبد العظيم مصطفى صابر

السيد الرئيس
الأساتذة الأجلاء
سيداتى وسادتى

والكشف عن أسرارهِ ، قد دفعهم للبحث
وأعانهم عليه ، والآيات القرآنية في ذلك
كثيرة منها :

« أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » .
(الأعراف ١٨٥)

« قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ . . . » .
(يونس ١٠١)

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ »
(العنكبوت ٢٠)

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . . . وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ . . . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ » .

(الغاشية ١٧ - ٢٠)

لقد تكلم في موضوع تعليم العلوم ،
وتدريسها باللغة العربية الكثيرون ممن
يبدؤنى علما وتبحرا في اللغة وتطبيقاتها ،
وأدلو بأراءٍ سديدة ، وخطط محبوبة
محكمة ، واقتراحات بناءة ، فليس هناك
من جديد أطرقه إلا ما قد يعنى لى من
بعض ملاحظات أقولها بالاختصار .

لورجعنا إلى أول عهد النهضة العربية
لوجدنا أن العلوم وتعلمها وتدريسها كانت
بالنسبة إلى العرب شيئا جديدا طارئا ، بل
ربما كانت من الطلاس ، لكن القرآن
الكريم والدين الإسلامى الحنيف ، وما جاء
به مما يحشهم ، بل يأمهم بالسعى إلى طلب
العلم والمعرفة وتفهم نواميس الكون ،

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

« أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ » .
(ق ٦)

« فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ
خَفِيَ الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْلِهَا . . . »
(الروم ٥٠)

ومن الآية التاسعة والتسعين من سورة
الأنعام قوله تبارك وتعالى :
« . . . انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَيَنْعَمَ . . . »
(الأنعام ٩٩)

فسعيًا وراء ذلك واستجابة لأوامره
سبحانه وتعالى ، اتجه العرب والمسلمون
إلى طلب العلم والمعرفة والعمل على نشر
العلوم وتطويعها ، واضطروا في أول الأمر
أن يلجأوا إلى من سبقوهم إلى هذا الباب ،
وعهدوا إلى غيرهم - ممن هم على بينة -
باللغات الأخرى من النساطرة والنصارى
 وغيرهم - لترجمة ما هو مدون في كتب
العلم باللغات الإغريقية والفارسية والهندية
والتبتية .

ولما كان لسان هؤلاء المترجمين غير العربية
فقد أدخلوا في ترجماتهم كثيرًا من الألفاظ .

والمصطلحات المعربة ، ولكن من خلفهم
من العلماء الذين يجيدون العربية
والمتحمسين لها ، مثل البيروني وكثير
غيره ، قد استعملوا ألفاظًا عربية سليمة ، بل
ابتدعوا منها الكثير ، لتسمية ما استعملوه
من الأجهزة والأدوات ، وما استكشفوه
من الأسرار والعمليات ، وما توصلوا إليه
من معلومات .

فقالوا في الأدوات التي استعملوها في
دراساتهم : « بوظقة » وتعرب بالإنكليزية
الآن (crucible) ، والإنبيق (alembic)
تحريفًا من العربية) ، والقمع (funnel)
أما للعمليات التي كانوا يعبرونها في تحضير
الأدوية وتجهيزها ، فقد وضعوا الألفاظ
العربية فقالوا : « التكليس » ويطلق عليه
الآن (calcination) و « التصويل »
و « الغسل » للتنقية (elutration) ،
والتبخير (evaporation) ،
و « التصعيد » (sublimation) ،
والبسورة (crystallisation) والأجماد
(solidification) ، والعقد
(congealing) والتقطير (distillation)

والترشيح (filtration) والاستخلاص (extraction) والغريلة أو النخل (sifting) ،
والحل (dissolution) والتحليل ، وكلها عمليات كانوا هم مبتدعيها
ومستكشفيها ، أما للمستحضرات الصيدلانية
وأشكالها فأطلقوا : الحبوب (pills) ،
والأقراص (tablets) ، والطلاء (paint) ،
والنطول (spray) ، والشراب (syrup)
تحريراً من العربية (والسيفوف والغرغرة
والمرهم والمروخ (linament) والذرور
(dusting powder) ، والمنقوع
(infusion) والمغلي (decoction)

والفرازج (pessaries) وغير ذلك كثير
مما ابتدعوه لاختراعاتهم واستكشافاتهم .
كما أنهم استعملوا ألفاظاً اشتقوها لتدل
على معان خاصة في تجاربهم العملية فقالوا
مثلاً : « طرحة » للدلالة على الأجسام
والأدوات المعاونة التي تحذف أوزانها في
العمليات التقديرية الكمية الوزنية وهي
ما يطلق عليها الآن بالإنكليزية tared
التي ربما تكون محرفة من الكلمة العربية
المذكورة .

ومن ذلك نجد أن علماء العرب لم
يعجزوا أن يجدوا في العربية من ألفاظها

واشتقاقاتها ، ما يستجيب إلى ما يريدون
إطلاقه من أسماء ومسميات على الأجهزة
والأدوات والعمليات ، ولم يعيوا أن
يجعلوا اللغة العربية لغة علم وتعليم ،
فكتبوا وألفوا في جميع فروع العلوم بلغة
عربية سليمة وافية ، وتذخر مؤلفاتهم
هذه بالمصطلحات العلمية العربية الدقيقة
الدلالة لما وضعت له في وصف النباتات
وأجزائها ، والأدوية وأشكالها وخواصها
وطرق تحضيرها ، والأمراض وأعراضها
وعلاجاتها وعلاجياتها ، والكيمياء وعملياتها
وأجهزتها .

فعايننا أن نتتبع هذه المراجع ونستخرج
منها المصطلحات ونهيئها للاستعانة بها
في تعريب العلوم وتدريسها
سيادتي وسادتي

إن العرب في عهد نهضتهم طوعوا اللغة
العربية في خدمة العلم وتطويره وتقديمه
مع أنهم بدأوا هم أنفسهم من فراغ عربي ،
ولذا قد جهل الآن من يقول : إن اللغة
العربية لا تصلح لتعليم العلوم أو تقصر في
ذلك ، فاللغة العربية من أغنى اللغات
ألفاظاً إلى جانب ما لهذه الألفاظ من
اشتقاقات تبلغ ستة عشر للفظ الواحد .

وقد قيل : إن باللغة العربية نحو ثلاثة ملايين مفرد^(١) ، فهي إذن لغة مطاوعة ، يمكن أن يصاغ من المادة الواحدة كلمات مشتقة كثيرة للدلالة على المعاني الخاصة التي نريدها بكل دقة .

سيداتي وسادتي

إن عدم إدخال اللغة العربية للتدريس في جامعاتنا لهو قصور من علمائنا ، العلميين منهم واللغويين ، إذ لو كنا أخذنا الأمر جدياً من أول نشأة جامعاتنا ، واستعنا بالمجهودات الكبيرة التي يبذلها مجمع اللغة العربية والهيئات الأخرى ، وكذلك الأفراد ، واستغل مؤلفونا وكتابنا وأساتذتنا جامعاتنا ما وضع من المصطلحات بدلاً من تهاوننا وتهاملنا ، لو كنا فعلنا كل ذلك لكان حالنا من تدريس العلوم على غير ما هو عليه الآن ، ولاستغنينا عن اللغات الأجنبية التي لا يسجدها طلابنا فتعوقهم أمام استيعاب العلوم بالتحقق والتعمق اللازمين .

حضرات السادة والسيدات
عندما أخذ الإفرنجية عن العرب علومهم وحضارتهم نمت لديهم تلك العلوم وذلك لأنهم بدأوا بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية أولاً ثم إلى لغاتهم القومية بعد ذلك ، ثم تزايدوا شيئاً فشيئاً ، وتخصصوا وتفوقوا وكففتهم لغاتهم أول الأمر - بما يريدون ، ولكن - وقد طفرت المعرفة بالعلوم طفرات واسعة بالاستكشافات الحديثة المتجددة ، والتي أصبحت لا حصر لها - عجزت هذه اللغات القومية أن تتسائر هذا التقدم في وضع المصطلحات للمعاني المستحدثة ، فلبجأوا إلى اللغتين : اللاتينية والإغريقية ، وعمدوا إلى النحت والتركيب المزجي وإضافة السابقات ، واللاحقات ، وما أكثرها في هاتين اللغتين ، واستغلوا ذلك في سبك ألفاظ جديدة ، وصياغة مصطلحات مستحدثة للمعاني المستجدة ، ومع ذلك فإن كثيراً من هذه المصطلحات العلمية الأجنبية لتقصر عن الدلالة على ما وضعت له من معانٍ دلالة

(١) معدل الاشتقاق من المادة الواحدة ستة عشر لفظاً ، أي أنه يمكن أن يكون في اللغة العربية ما يوفى على ثمانية وأربعين مليون لفظ ، بينما لا تحتوي اللغة الإنجليزية مثلاً إلا على ستة عشر ألفاً ، وتحتوي الفرنسية على ثمانين ألفاً ، وكل من الألمانية والأسبانية تحتوي على سبعة عشر ألفاً .

دقيقة ، لذلك يجب أن نكون دائماً حاذرين ومتأنين ، وأن لا نأخذ بمبدأ ترجمة المصطلحات على علاته ، بل يجب أن نتعرف أولاً على مدلول المصطلح وتعريفه وفكرة وضعه ، ثم الاجتهاد في اختيار أنسب لفظ عربي له حتى ولو كان المصطلح العربي المختار يختلف قليلاً عن المصطلح الأجنبي أو غريباً على السامع ، علماً بأن جميع المصطلحات الأجنبية المعربة تكون أشد غرابة من المصطلحات العربية ، فإذا أخذنا مثلاً المصطلح (sympodium) وترجمتها الحرفية : « متحد الأقدام » ، لا تتفق والمعنى الذي أطلق عليه ؛ فالمقصود به ساق النبات أو محوره الذي يتكون من سلسلة من الأجزاء أو السلاسل التي ليست من أصل واحد ، بل إن كلاً منها يقف نموه ، ثم يليه الجزء التالي من نمو أحد فروعه الجانبية ، فيظهر الجميع على امتداد واحد كساق واحدة ، فترجمة المصطلح تضلنا ، وعليه كان المصطلح العربي - وهو « ساق كاذبة » أو « محور كاذب » - أدل معنى ، وأصلح من المصطلح

الأجنبي ولو أنه لا يتفق مع ترجمته .
أما المصطلح (Brownian movement)

وهو يدل على حركة موضعية دائمة للجسيمات في الموائع ، أطلق نسبة إلى أول من لاحظ هذه الحركة ووصفها ؛ لأنه لا يوجد في اللغة الأجنبية لفظ يناسب ذلك المعنى .

ولكن في اللغة العربية يوجد لفظ يمكن أن يدل دلالة تامة على هذه الحركة ، إذ يمكن أن نسميها « حركة مَوْرِيَّة » من مادة مار يَمُور مَوْرًا ، أى اضطرب وتحرك جيئةً وذهاباً في موضعه ^(١) وقد وردت في القرآن بمعناها المطلوب ، فقال عز وجل في سورة الملك :

« أَمْ نُنَبِّئُكَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ » ، وفي سورة الطور : « يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا » .

ومن الأمثلة الأخرى المصطلح (midrib) وهو مركب من لفظين (rib, mid) وقد ترجم بالعرق الوسطى وذلك لورقة

(١) هذا ويجب أن نبتعد عن ذكر أسماء الأشخاص في المصطلحات العلمية ، وإذا أُلزم وجب أن يكون ثانوياً ، وقد قررت المحافل الدولية مؤخراً عدم وضع مصطلحات بأسماء الأشخاص .

النبات وهذه الترجمة - وإن كانت سليمة ودالة ومستساغة - ليست أكثر دقة ولا أساس من كلمة « العَيْر » التي ورد ذكرها في المعاجم والمراجع العربية دالة على المصطلح نفسه ، ولو أن هذا اللفظ في الظاهر غريب علينا ، إلا أننا سنعمده بالاستعمال كما أنه لفظ عربي واحد يسهل النسب إليه والاشتقاق منه والتصرف فيه أكثر من التعامل مع مصطلح من كلمتين ، أما من جهة الغرابة ، فلا بد أن نذكر أن المصطلحات الأجنبية كلها غريبة على الأسماع حتى على أهل هذه اللغات أنفسهم .

لكل ذلك يجب أن نداوم على انتقاء المصطلح العربي الصميم ما أمكن ، وننبذ ما ليس بعربي سليم ، واستبعاد ما لا يتفق والذوق العربي .

فقولنا للمصطلحين (ultra violet rays)

و (infra red rays) الأشعة فوق

البنفسجية والأشعة تحت الحمراء

باستعمال ظرفي المكان « فوق » ،

و « تحت » يخرجنا عن المقصود أصلاً

من (infra, ultra) ويجب تصحيح ذلك

افنقول : « الأشعة فوق البنفسجية » ، و « الأشعة دون الحمراء » وهذا أدل للمعنى . وهنا يجب التنويه كذلك على أن المصطلحات أي البادئات (prefixes) ، واللاحقات (suffixes) في المصطلحات الأجنبية تختلف معانيها باختلاف ما تتصل به ، فمثلاً السابقة (sub-) تعنى في مدلول المصطلح إما على التصغير كما في (subgenus) مثلاً فيكون بالعربية « جُنَيْس » ، وإما بمعنى شبه كما في (subglobular) شبه كروي ، وإما بمعنى تحت كما في (subterranean) أي تحت أرضي ، وإما بمعنى دون كما في (submicronic) أي دون مجهرى . وهناك الكثير والكثير جداً من هذه الملاحظات للتدليل على أننا يجب أن نكون حاذرين في انتهاج مبدأ الترجمة على علته دون التمعن في مدلول المصطلح .

سيداتي وسادتي

إن المقومات التي وجدت ، وما قام به

مجمع اللغة العربية ، والمجتهدون من

الأفراد ، وما قدموه ليثبتوا للناس جميعاً

أن لغتنا العربية قادرة على اقتحام أسوار

المعارضات الجامعية وشق طريقها إلى
الكليات لتعليم العلوم باللغة العربية وجعل
التدريس عربى اللسان ، والعمل على تأليف
المراجع لهذه العلوم بالعربية والتدليل بها
فى الأبحاث العلمية . ولا أدل على ذلك من
أنه أمكن إصدار دستور الأدوية المصرى
باللغة العربية وهو يقع فى نحو (١٦٥٠)
ألف وستائة وخمسين صحيفة ، ويشتمل
على النواحي العلمية من صيدلية وطبية
وطبيعية وكيميائية مستعملاً المصطلحات
العربية الخاصة بكل من هذه النواحي .

فليكن هذا الدستور هداية وحافزاً
لكل المتخصصين أن يدلى كل بدلوه فى
مجال التأليف بالعربية فى التخصصات

المختلفة ، وأن يداوموا على تطوير اللغة
العلمية وإثرائها لمواكبة التقدم العلمى ،
وكفانا ما فات ، ولتكن النية صادقة ، فإن
تصدق النية يصبح الأمر سهلاً غير ممتنع
ويُعَدُّ للغة العربية تقدماً ومكانتها الأولى
فى العلوم .

وفقنا الله إلى ما فيه الخير والصلاح
وأدعو الله العلى القدير أن يمنحنا القوة
على تحمل مسئولياتنا ، والهداية لما فيه
السداد إنه سميع مجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العظيم حفى صابر
الخير بالمجمع



لغة الصحافة في الأردن

د. سنان الشيخ إبراهيم القطان

عنا

وضعت الحرب العالمية

الأولى أوزارها، حصلت

في بلاد الشام بلبلة في الحكم ، وذلك طبقاً

لمعاهدة « سايكس بيكو » فقسمت بلاد الشام

« سورية » أربعة أقسام : سورية الحالية

احتلتها الفرنسيون ، ولبنان كذلك ، وفلسطين :

احتلتها الإنجليز .

وبقيت سورية الجنوبية الشرقية ، التي أطلق

عليها فيما بعد « شرق الأردن » ، بقيت في

شبه فوضى فتألفت فيها ثلاث حكومات في

الكرك ، وفي السلط ، وفي أربد ، كان يدير

شؤونها أحد رجال الإدارة بالتعاون مع مجلس

استشاري ، أعضاؤه من وجوه المنطقة وأعيانها

وكان يمثل بريطانيا لدى كل حكومة من هذه

الحكومات معتمد بريطاني لم تحدد صلاحياته

كل التحديد في تلك الفترة القصيرة .

وفي هذه الفترة جاء الأمير عبد الله بن

الحسين من الحجاز إلى العقبة ، ثم إلى معان

وبعد مشاورات ومحاورات مع زعماء البلاد

ووجوهها قرر المسير إلى عمان ، فبلغها يوم

الأربعاء ٢٢ من جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩ هـ

الموافق ٢ من مارس ١٩٢١ .

وكان في الفترة التي أمضاها في العقبة ومعان

قد أسس أول جريدة اسمها « الحق يعلو » كانت

تطبع على الجلاتين .

ولما استقرت البلاد وهدأت انتهى عهد

الحكومات المحلية وأخذت السلطة تتركز في يديه ،

وأما الإنجليز فلم يفعلوا شيئاً ، لاسلباً ولا إيجاباً .

في سنة ١٩٢٣ أنشأت الحكومة الأردنية

أول جريدة وهي « الشرق العربي » وكانت

الجريدة الرسمية الناطقة باسم الحكومة ، كان

يشرف عليها الأديب والشاعر المعروف محمد

الشرقي وكانت لغتها سليمة ، وكان يكتب فيها

عدد من الكتاب والأدباء والمعلمين .

جاء في افتتاحية السنة الثالثة ، العدد ١٠٦

تاريخ ١٠ ذو القعدة ١٣٤٣ مايلي :

« تستقبل هذه الصحيفة سنتها الثالثة بأمل ،

داعية إلى خير العمل ، مستبقة ما ينفع العرب

شعبياً وحكومياً ، وينهض بقوميتهم الحديثة

علمياً وأدبياً وسياسياً واجتماعياً جهداً المستطاع .

ونحن لا ندعي العصمة والكمال ، فيما نخط قلمنا

أو نطمئن إليه شعورنا وتفكيرنا ، بل ندعي

(*) قدم هذا البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٥٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) .

الإيمان ، والإيمان القومي الخالص الذي يدفع
الدعاة من حملة الأقلام إلى التقاط الحكمة ، أين
وجدت ، فيبتدون بهديها ويقررون مبادئها
بتوضيحية وثبات حتى إذا أخطأوا الطريقة ،
وزلت بهم قدم الحقيقة ، كان لهم من إخلاصهم
ما يقيل العثار ، ويشفع ليلهم بنهار الخ . . .

وفيها مقالات في التاريخ ، وما قاله ياقوت
عن «الأردن» وبعض الأنظمة والقوانين وأخبار
تنقل «الأمير» وأخبار متفرقة : مثلاً : «وقع
زلزال شديد في اليابان» «وأصدرت الحكومة
المصرية بلاغاً بعدم الحج في هذا العام» .

« عطلت في سورية جريدة المفيد ، ويريد
الشرق » الشاعر :

إنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما
لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد
معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه
أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو
نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف
معنى إلى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر
عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل
الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير . . .
العمدة :

وتجد رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب ؛
وأقوال لابن المقفع ، وفقرات من العمدة
مترجمة عن خصائص الأدب ومقالات متنوعة
عن الهند ، ودياناتها والفلسفة عند العرب
وبعض القصائد للشاعر الشريفي .

ومن الأخبار : دعا جلالة ملك بريطانيا
والملكة ، زيور باشا إلى حفلة شاي ملكية .
أقام المستأجرون في بيروت مظاهرة ضد
أرباب الأملاك وقع فيها قتلى وجرحى .
زار سورية أمير الشعراء أحمد شوقي بك
فاحتفلات البلاد بقدومه .

وفي مطلع افتتاحية العدد ١١٣ ، ١٣ صفر
١٣٤٤ ، ١ / ٩ / ١٩٢٥ بعنوان «الانقلاب
الصحيح» .

مر على هذا الشرق العربي تطورات كثيرة
في هذا الربع الأول من القرن الحاضر ،
فقد دالت فيه دول ، وراجت سياسات
مختلفة ، وظهرت انقلابات عديدة ، ومرت
بهذه الأصقاع العربية أمم كثيرة ، شرقية
وغربية ، واختلف على منابرها أحرار وعبدان
ولكن رغم هذه التطورات والانقلابات مازلنا
نتعثر في مفاوز الحرمان ، شاعرين بحاجة إلى
الانقلاب الصحيح ، ولما تطلع شمس المشرق
فتخرجنا من الظلمات إلى النور ، أو تلمع
ناره الهادية ، وقد عسعس الليل وضل الحادي
وحار الدليل .

أما هذا الانقلاب فما أحسب فواعله في غير
نفسية الأمة وعقليتها وإرادتها ، لافي تصارييف
الأدهار ، وأيدي الأغيار بل ما أتمثله واضح
الفجر إلا بغلبة التربية والعلم ، وتوجيه النفس
إلى تقديس الغاية المشتركة في الأمة ، وإعداد
وسائل القوة الحديثة تأييداً لمطمحها الأقدس
الخ .

وإننا لانزال نحس نفس الإحساس ، ونتجرع المرارة ونتمنى الأمانى نفسها ، ولا نزال حائرين لا ندري أين نتجه .

وجاء فى ختامها : « نعم حينما تتبدل عقلية الحاكم منا فيخفف من خيالاته وخطرسته » ، ويذهب إلى أنه أمين مصالح الأمة لاسيدها المطلق الذى يتصرف بروحها وحقها أنى شاء .

وحينما تتبدل عقلية الأمة فتخفف من عبادة الأقوياء ، وتشعر بوجودها شعوراً صحيحاً ، مدركة معنى حاكميتها ، وكيف أن مصلحتها فى النزول على حكم الغاية المشتركة ، والوازع الذى يكفل صيانة اجتماعها مادياً وأدبياً .

نعم حينما يشعر أغنياؤنا أن للأمة حقاً فى أموالهم ، متدوقين حلاوة هذا الحق ، وحينما يوقن حكامنا أن للأمة حقاً فى حاكميتهم متدوقين حلاوة هذا اليقين .

وحينما تشعر الأمة أنها سيادة أمرها وأمينه مصالحها ، متدوقة حلاوة هذه السيادة والأمانة ، أذن يا أخى أذان الفجر ، فجر السعادة القومية ، فجر الانقلاب الصحيح الثابت .

إن هذا الكلام الذى طرح منذ ستين عاماً لا يزال مطروحاً الآن . ولا نزال نائهن حيارى ، لا ندري أين نتجه ، ولا نملك من أمرنا شيئاً .

وأرجو المَعذرة من هذا الشطط ، والاستطراد .

وتتابعت الصحف : جرائد ومجلات ، فكان من الزواد الأوائل أستاذنا الأستاذ محمود الكرمي : أنشأ جريدة الشريعة صدر منها أعداد قليلة .

ثم أنشئت جريدة الأردن ، أنشأها الأستاذ خليل نصر ، ولا تزال تصدر إلى الآن وهى من أقدم الجرائد ، ولكنها جريدة محدودة ولغتها ليست بمستوى « الشرق العربى » ولا « الشريعة » .

ثم صدرت عدة صحف منها « جريدة الوفاء » للمرحوم الأستاذ صبحى زيد الكيلاني وكانت لغتها جيدة ، الأستاذ صبحى كان أزهرياً ، ومن المعلمين المتمكنين ، درس مدة لا بأس بها فى مدارس الحكومة ، ثم اشتغل فى الصحافة إلى أن توفاه الله .

وصدرت مجلة « الحكمة » للأستاذ الكبير الشاعر الشيخ نديم الملاح ، فكانت ممتازة فى ما تحويه من مقالات علمية وأدبية بلغة سليمة وإخراج جيد ، وكان يكتب فيها عدد من الأساتذة فى اللغة والتاريخ والأدب والسياسة وغير ذلك ودامت نحو ستين على ما أذكر ثم احتجبت لأمر مادية .

ومن الجرائد التى ظهرت ، جريدة « الجزيرة » للأستاذ تيسير ظبيان ، وكان كتلة من النشاط فى التعليم والكشافة والنواحي الاجتماعية ، ودامت فترة طويلة ، ثم تحولت إلى مجلة باسم « الشريعة » ولا زالت تصدر بعد وفاته محررها ، ويشرف عليها أبنائه .

وظهرت في أواخر الأربعينيات جريدة «النسر» لصاحبها المحامي صبيحي القطب ، ودامت فترة ، كانت من الجرائد الرصينة ، بلغة جيدة تعالج إلى جانب السياسة والاجتماع الأدب والتاريخ وعددا من الموضوعات ثم احتجبت .

وتتابعت الصحف والمجلات فكانت جريدة الحوادث وعليها مسحة يسارية ، وجريدة الشعب وجريدة الدفاع ، وجريدة فلسطين ، وعدد من المجلات ، الميثاق لصاحبها المرحوم شفيق رشيدات ، وكل هذه الصحف احتجبت .

وفي مطلع السبعين أنشأت الدولة جريدة الرأي ، وعينت لها مجلساً من عدد من الكتاب والمسؤولين ، وجهازها بمطبعة حديثة ، واستمرت مدة ثم تخلت عنها الدولة إلى عدد من الصحفيين يديرونها ، وكذلك تحولت جريدة فلسطين إلى جريدة الدستور لعدد من الكتاب ، وأنشئت حديثاً جريدة «صوت الشعب» ، أيضاً لا تقل عنهما ، وهذه الصحف الثلاثة اليوم هي الصحف الرئيسية في الأردن .

وهناك صحف أسبوعية : اللواء ، حسن التل ، وأخبار الأسبوع ، وجريدة الصحفي ، وغيرها .

وتصدر وزارة الأوقاف مجلة شهرية باسم «هدى الإسلام» وأخرى «الإسراء» .

ووزارة الإعلام تصدر مجلة شهرية باسم «أفكار» . ولغة هذه الجرائد على وجه

الإجمال لا بأس بها ، وأحياناً نجد فيها بعض الضعف .

فمن التعابير التي تظهر مخالفة للأصول مثلاً :
١ - «صادق الحاكم العسكري على قرار المحكمة» .

٢ - «رضيخ فلان للضغوط» .

٣ - «من شجب الشعب الفلسطيني للروابط» .

٤ - «أمن له الشيء ... وتأمين الأخبار إلى أهلها» .

٥ - «دعت لجنة شئون المهنة إلى ...
... كما ودعت اللجنة المحامين المتدربين» .

٦ - «باشركنا بإجراء مسح ...» .

٧ - «معروض للبيع قصر في كذا ...» .

٨ - «قام معالي الوزير ... بزيارة إلى السيد ...
... كما استقبل رئيس المجلس في مكتبه فلانا» .

٩ - «تجري الاستعدادات في مكتب كذا لتأمين اشتراك الأعضاء ...» .

١٠ - «أعلن هذا رسمياً أمس أن وزارة الخارجية اللبنانية قد أبلغت أن المبعوث الرئاسي الأمريكي ... سيصل إلى فلسطين المحتلة غداً ...» .

١١ - «بحث مدير زراعة محافظة كذا مع المسؤولين ... إجراءات تنفيذ تعليمات وزارة الزراعة وأكد المدير ضرورة تنفيذ هذه التعليمات ...» .

١٢ - « صحيح أن العالم لا يزال ينقسم
كعهده السابق إلى دول صناعية متقدمة »
وإلى دول نامية . . .

وصحيح أن الدول الأغنى لا تزال تهيمن
على شروط التبادل التجارى . . الخ .

« وفي طليعة المستجدات من الظروف المعقدة
أن الولايات المتحدة ومعها قوى دولية أخرى
قد رمت بقفاز السلام أمام العرب » .

١٣ - « ليقوم بمحاولة تلقى رسائل
تخاطبية ، ضمن إطار تجربة هامة سميت
بـ «الاختبار الكبير للمخاطربين موسكو وسيبيريا»
١٤ - « تم الخروج بقرار شكلي لا يطال
المجرمين . . » .

« تهانينا يا أبا فلان . . وألف مبروك »
وكلمة مبروك تتكرر كثيراً في جميع الصحف
عوضاً عن كلمة « مبارك » . وهذا غيظ من
فيض ، فلغة الإعلانات تكتبها الجرائد
كما ترد إليها دون أن تصححها أو تنظر
فيها . .

وفي الضفة الغربية منذ أن كانت باسم
« فلسطين » كانت الصحف فيها ناشئة ، فكانت
جريدة فلسطين من الجرائد الرائدة ، لمؤسسها
عيسى داود العيسى ، ودامت مدة طويلة ،
ثم انتقلت إلى عمان بعد النكبة ، ودامت سنين
عديدة إلى أن استبدلت بجريدة الدستور
الحالية .

وقد تتلمذ على جريدة فلسطين عدد كبير
من الكتاب والصحفيين وكان يحرر فيها الأستاذ
يوسف حنا ، وغيره من الكتاب المعروفين .

وكانت جريدة الكرمل لصاحبها الأستاذ
نجيب نصار ، وجريدة الحياة اليومية لصاحبها
خالد الدردار ، وكان يشارك في تحريرها
الأديب الأستاذ عادل جبر ، والشاعر الكبير
خير الدين الزركلي والأستاذ الكبير أكرم زعير
ونخبة من الشباب المتحمس . وكانت جريدة
في مستوى جيد .

وفي الثلاثينيات صدرت جريدة « الجامعة
الإسلامية » لمنشأها الأستاذ سليمان التاجي الفاروق
وقد كان يحرر فيها طائفة من كبار الكتاب ،
منهم الأستاذ علي ناصر الدين ، وسامي السراج
وإبراهيم الشنطي الذي أسس جريدة الدفاع ،
والأستاذ تيسير ظبيان ودرويش الشامي ،
وأكرم الخالدي ، وعبد الغنى الكرمي ، وسامي
الشمعة وغيرهم من رجال الفكر والأدب .

وكان للجريدة شعبية كبيرة ، وإقبال كبير من
القراء ، ودامت فترة كان لها الصدارة بين
زميلاتها من الصحف .

وكانت « جريدة الجامعة العربية » لصاحبها
الأستاذ منيف الحسيني ، وهي جريدة تنطق
بلسان سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني وكانت
شديدة اللهجة على خصومه السياسيين .

وأصدر الأستاذان الكبيران خير الدين
الزركلي ، وإبراهيم الشنطي بالاشتراك مع

الأستاذ شوكت حماد جريدة الدفاع ، وهي يومية ،
في يافا عام ١٩٣٨ ، فسارت على نسق جديد في
تحريرها ، وأخبارها ، فانتشرت بسرعة بين
جميع الطبقات ، واحتلت مكانة مرموقة بين
الصحف العربية ، وكان يحرر فيها طائفة كبيرة
من الكتاب ، وكانت تدفع لهم أجورا كبيرة
في تلك الأيام . فكانت الجريدة فتحا جديدا
في عالم الصحافة الفلسطينية الحديثة .

وصدرت مجلة صوت الحق لصاحبها المرحوم
الحامي فهمي الحسيني ، وكان يحررها الأستاذ
المجاهد حمدي الحسيني الذي كان يقود جمعا
من الشباب الاستقلالي لمكافحة الاستعمار .

وصدرت مجلة الفجر لصاحبها الأديبين الأستاذ
عارف العزوني ومحمود سيف الدين الإيراني ،
فكانت مجلة تقديمية تبحث في الأدب وتهتم
بالقصص في سبيل فجر نهضة تقديمية جديدة .

وكانت جريدة مرآة الشرق ، لصاحبها الصحفي
المعروف الأستاذ بولص شحادة ، من الصحف
الموجهة التي تناضل عن عقيدتها بشجاعة وقوة
وكان يكتب فيها كثير من الكتاب في شتى
الموضوعات .

وأصدرت جريدة فلسطين جريدة باللغة
الإنجليزية تولى تحريرها الأستاذ عزيزي النشاشيبي
والكاتب الهندي الأستاذ « أنخر » وقد قامت
الجريدة بالدعاية للقضايا العربية فترة من الزمن .
وأصدر الحزب العربي جريدته اليومية
« اللواء » فقام على تحريرها الأديب الأستاذ خيري

حماد والأديب الشهيد صبحي الطاهر وطائفة
من الكتاب .

ومن المجلات الرصينة « مجلة العرب » لصاحبها
الكاتب الكبير الأستاذ عجاج نويهض ، مترجم
كتاب « حاضر العالم الإسلامي » وكانت المجلة
لسان العرب في كفاحهم المشبوب ضد الاستعمار ،
فكانت تنشر مقالات كبار المجاهدين والأدباء
والسياسيين .

وأصدر فريق من الشباب في يافا جريدة
يومية باسم « الشعب » كان يحررها المسئول الأستاذ
كنعان أبو خضرة ، وكان سكرتير التحرير
الأستاذ عبد الغني الكرمي وكان الأستاذ آدمون
ووك المشرف العام على إدارتها وسياستها .
واحتجبت سنة ١٩٤٨ بظروف الثورة .

وكانت مجلة المهماز لصاحبها الأستاذ منير
حداد ، هي المجلة الوحيدة التي تصدر
« كاريكاتورية » فتعالج الموضوعات السياسية
بالرسوم اللاذعة .

وكانت جريدة الصراط المستقيم لصاحبها
المرحوم الشيخ عبد الله القلقيلي تعالج الشؤون
الدينية بالإضافة إلى موضوعات السياسة
والأدب .

وكانت مجلة الإقدام لصاحبها طانيوس عبده
نصر نسيج وحدها في عالم الصحافة ، لأن
صاحبها كان يحرر شتى الموضوعات بلغة مشوبة
وأسلوب انفرد به صاحب « المشراط » الحاد .

هذه لمحة موجزة عن الصحف والصحافة
في الأردن بصفته .

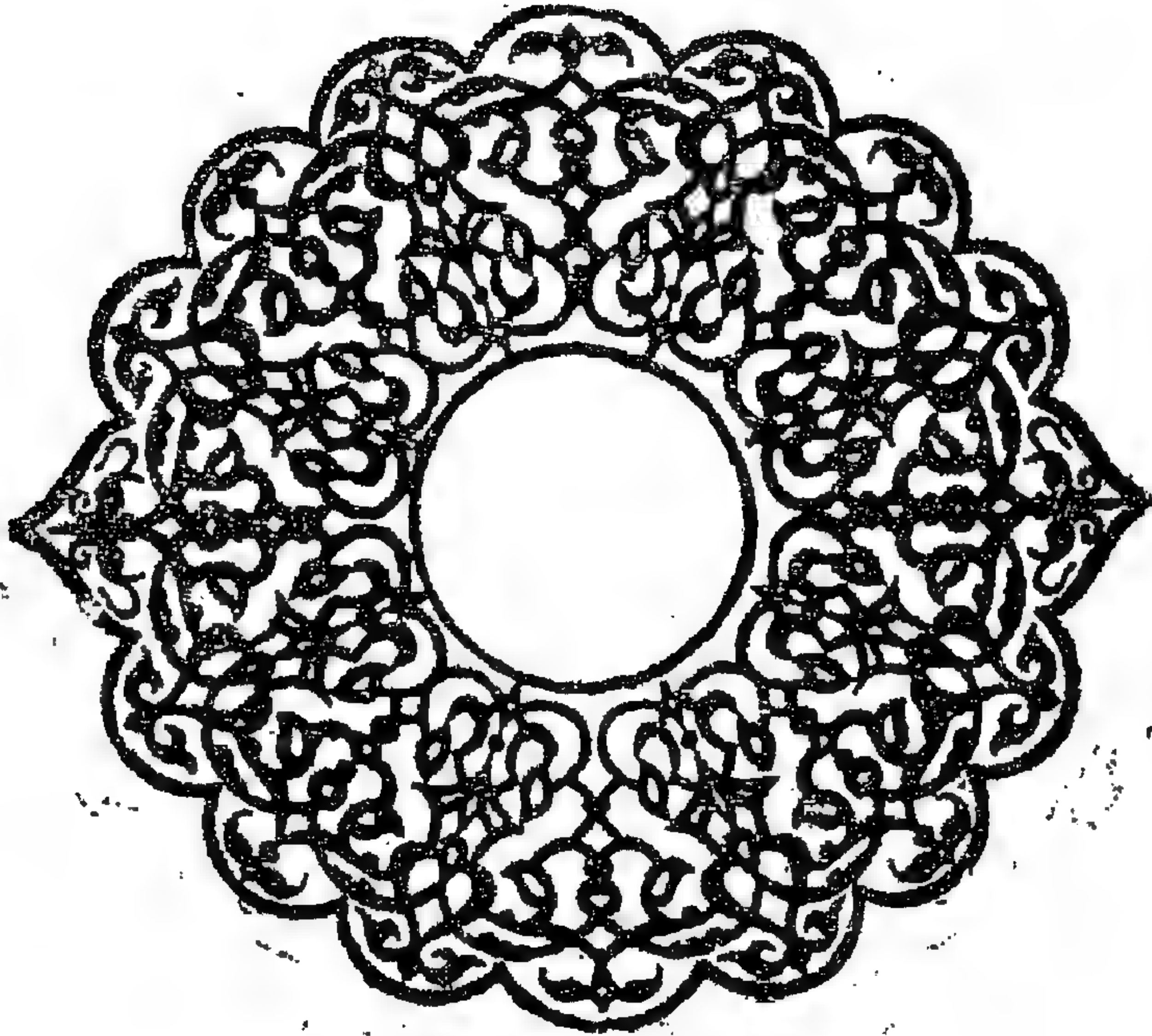
إن لغة الصحف في الأردن لغة سليمة في
الغالب ، ويشوبها أحيانا بعض الانحراف ،
وذلك آت من الكتاب الجدد ، وأرجو
المعذرة إن كنت أطلت بعض الشيء بالتعريف
بالجرائد والمجلات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ابراهيم القطان
عضو المجمع المراسل من الأردن

وأما مجلة القافلة التي كان يصدرها مكتب
المطبوعات في القدس فقد اشترك في تحريرها
عدد من الأساتذة منهم : الأستاذ علي الدجاني
وحازم نسيبة ، ورفيق النمرى ، واسحاق رشيد
وقد تولى رئاسة تحريرها الأديب المعروف
حسن مصطفى .

وكانت مجلة « الصريح » للأستاذ هاشم السبع
وهو أزهرى متمرد ، وكان أسلوبه شديداً ،
ولسانه صارماً ، لا يسلم منه أحد ، واحتجبت
لوفاته رحمه الله ، فقد كان مراحاً خفيف الروح ،
متحمساً لأمة ووطنه .



تقديم مخطوطة مغربية حول المراسلات بوثيقة وأرقام عربية للكاتب عبد الهادي التازي

لقد

احتفظت خزائن بعض
الموظفين الساميين المغاربة
من الذين انتظموا في

سلك الدولة منذ النصف الثاني من القرن
الماضي - احتفظت بوثيقة طريفة تتعلق
بموضوع المخاطبات السرية... وهي تعكس
- دون شك - بعض الأنماط التي يمكن أن
نتخيلها لمناهج المخاطبات والمراسلات بالأشكال
والرموز في الفترات الماضية... وقد نددت
عن نقيب الدولة ومؤرخها مولاي عبدالرحمن
ابن زيدان الذي قدم لنا صورة مشرفة عن
معالم الدولة في كتابه « العز والصولة »

السياسي والاجتماعي للبلاد وكذلك الخريطة
السياسية للمغرب وبقيّة جهات العالم من الأمم
والممالك التي كان للمغرب اتصال بها من
قريب أو بعيد .

وقد تجلت أهمية هذه الوثيقة من حيث
إنها تقدم لنا المملكة المغربية ، وهي على وشك
أن تستسلم أمام المؤامرات الدولية وتقبل
التوقيع على معاهدة الحماية الفرنسية ، تقدم
لنا هذه المملكة وهي تتمتع بسائر مقومات
الدولة على خلاف ما كان الاستعمار يقوله
من أن المغرب كان فراغاً .

لقد كانت الوثيقة دليلاً ناطقاً على أن
المغرب - وهو على عتبة معاهدة الحماية -
كان مثلاً للدولة الكاملة بملكه ووزرائه
وخلائفه وحاجبه وقائده مشوره وكتابه
وتشريقات الأسرة المالكة ومن يتصل بها من
الموظفين الساميين : قضاة وفقهاء وقواد
ومحتسبين ونظاراً ونقباء وأمناء ووكلاء
وسفراء وسائر طبقات المجتمع . . .

والحديث عن الوثيقة التي بين أيدينا
يستدعي منا أن نتناول عدداً من العناصر
الضرورية لإلقاء الضوء على هذا « المفتاح » .

فأولاً : مصدرها . . . وثانياً : تحديد
وقت كتابتها . . . وثالثاً : مكانها من الطرق
الأخرى للكتابة السرية . . . ورابعاً :
مضمونها ، وهذا العنصر سيستدعي منا الحديث
عن طائفة من النقاط التي تتصل بالوضع

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته التاسعة والأربعين (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

كان مثلاً للدولة الكاملة، بما تتوفر عليه من جهاز للخارجية، يتمتع بقانون مالي وإداري وبموظفين أكفاء .

ولمى الجانب الدبلوماسي كان المغرب من الناحية العسكرية يتوفر على تنظيم بالغ العناية ، فهنا رئيس الحدود الصحراوية والحدود الشرقية والحدود الغربية وهنا كبير المحلة وسائر أنواع الحند من طبعية وخيالة ومدرين ومهندسين علاوة على الأسلحة والمواد الحية .

كان المغرب مثلاً للدولة الكاملة بما يتوفر عليه من نظام مالي يحاول أن يواكب الأنظمة العالمية الحديثة بما عرفه من عملات من شتى جهات الدنيا ، وبما عرفه من أنواع النقد ومختلف المعاملات .

كان مثلاً للدولة الكاملة بما توفر عليه من نظام دقيق في سير البلاط وتوزيع الوظائف على أهلها حسب الاختصاص، سواء أكان العاهل مقياً في المدن أو على سفر . . . إن الدولة هي هي، سواء أكان الملك على كرسي حكمه أو على مطية جواده .

وهنا سنقف على المواد التي كانت تصحب الركب الملكي حينما تحرك وأينما توجه، وكأنه

مدينة مستقلة متنقلة بكل ما تحتوي عليه بمرافق المدينة .

كان مثلاً للدولة الكاملة بما عرفته أنظمة المواصلات بين المدن فيما بينها ، وبين المغرب وغيره من الدول كذلك ، فهنا سعاة البريد الذين يختصون باسم الرقاصة^(١) وقد كانوا مثلاً في الضبط والأمانة ، علاوة على ما يتمتعون به من بنية قوية وتجربة متطورة .

كانت هذه الوثيقة، بالنسبة إلينا، دليلاً جغرافياً صادقاً وضع أصابعنا على المراكز والمدن الساحلية للمغرب في بداية هذا القرن فهي حجة ناطقة بأننا لم نسلم إطلاقاً في حدودها الجنوبية والغربية ، بقدر ما كانت الوثيقة أمينة في أننا لم نتنازل بالنسبة لحدودنا الشمالية والشرقية .

وهكذا فهي تتحدث عن إقليم الصحراء وتعطيه ترتيبه بين الأقاليم الأخرى ، كما تعطى لطرفاية ولرأس بوجدور ولوادي الذهب أرقامها على نحو ما تفعل بسببة ومليية ومغنية .

وكلنا يعلم عن مؤتمر برلين (نونبر 1884 يبرير 1885) الذي أطلق اليد للدول الاستعمارية في الأقطار الإفريقية . . . وكلنا أيضاً يعلم عن جواب الملك الحسن (الأول)

(١) جمع رقاص : ساعى البريد ، واللفظ من المصطلحات الحضارية التي استعملها المغرب منذ العصر الوسيط معتمداً على المعنى اللغوي لكلمة الرقص :

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل وتوجد بالمغرب منذ القرن السادس الهجري قوانين . تحدد مهام الرقاصة وأجورهم .

عندما أقدمت أسبانيا—في إطار هذا المخطط—
على احتلال رأس بوجدور وأنشأت لها
مراكز في الداخلة ووادي الذهب وقامت
بتوزيع منشورها بتاريخ 26 دجنبر 1884...
كان جوابه في الرسالة التي وجهها إلى نائبه
بطنجة بتاريخ 4 رمضان 1303—6 يونيو 1885

« أما وادي الذهب : . . فإنه يوجد
بناحية أولاد دليم وقبيلة تسمى بالعروسيين
الذين هم بخدمتنا الشريفة، النازلين بنواحي
مراكش وفاس، وتسمى عندهم بالداخلة
فأعلم الباشدور بذلك » .

وكان الملك الحسن الأول، قبل هذه
الرسالة، قام عام 1299—1882 برحلة
إلى هذه المناطق حيث أعطى أوامره من أجل
صيانة مرسى أكلو ومرسى إيسيك ومرسى
سیدی ورزیک ومرسى سیدی محمد بن
عبد الله^(١)؛

كما قام بإبلاغ السلطات الأسبانية بأن
(صانطا كروز) التي كانوا يلتصقون أن
يجعلوها مصلحة للسلك، هي التي تحمل عندنا
(كويدر الرجيلة) ولذا فمن الأفضل —
حفاظا على الصداقة الأسبانية — أن يعوضوا
عنها بمصلحة أخرى في سیدی أيغني .

تري أن هذه الوثيقة أمينة في تثبيت
مغربية تلك المناطق، بالرغم من سياسة الأمر
الواقع التي كانت تنهجها الدول القوية،
وبالرغم من اتفاقية 27 يناير 1900 بين
(ديلكاسي) والسفير الأسباني (كاستيو)
التي حددت بمقتضاها الممتلكات الفرنسية
والأسبانية في إفريقيا الغربية .

لقد ظلت سياسة الأمر الواقع مرفوضة
من لدن الحكومة المغربية ولذلك نجد الوثيقة
تتحدى سياسة السطو والغصب والتآمر
والتناور :

والوثيقة، من خلال كل هذا، دليل للذين
يهتمون اليوم بمدلولات الأسماء الجغرافية
(La Toponymie) سواء على الصعيد الوطني
أو المستوى الدولي، فهو إذن سجل يعتبر من
القواعد الأساسية للذين يرغبون في تدوين
معلوماتهم على مراجع وثائقية : : :
الأمر الذي حدا بالوفد المغربي لدى
المؤتمر العالمي الرابع لتنميط الأسماء الجغرافية
(جنيف، شتنبر 1982) إلى أن يقدم هذه
الوثيقة على أنها (سبق) في ميدان ضبط
الأسماء الجغرافية عن طريق الرقم العربي^(٢).
لقد سبقت المملكة المغربية بأكثر من نصف
قرن الولايات المتحدة الأمريكية والدول

(١) د. التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي، الحلقة الرابعة، مجلة البحث

العلمي، عدد 27 محرم 1397 = يناير 1977.

(2) Conférence des Nations Unies sur La Normalisation des noms Géogr'aphiques,
Geneve, 24 Août 14 Sept. 1982

الأوربية إلى التعامل بالأرقام والتوسل بواسطتها لا بتكار ما يسمى بالمصطلح البريدي لمعرفة مواقع المدن (Zip Code) في أمريكا و (Cedex) في فرنسا . . . وكذلك لا بتكار ما يسمى الرقم الشخصي في بطاقات التعريف المستعملة اليوم في الدول السكندنافية : (Magnétique) باعتبار أن الأرقام يمكن أن يستعيرن بها العقل الإلكتروني .

وعندما تنتقل الوثيقة لإعطائنا فكرة عن مختلف الدول التي كان للمغرب صلات بها واهتمام بحكامها ، تقدم إلينا عددا من العواصم التي تعطيها الوثيقة اسما أصيلا ظل إلى الآن يغزو حتى اللغات الأوربية إنه اسم (القصبات) التي يستقر بها عادة رأس الدولة ، لقدأتمها بعدد من القصبات التي تمثل المناطق الخمس للقارة الإفريقية (وهكذا كان للمغرب في أوائل هذا القرن صلاته بالقسم الشرقي للقارة وكذاغربها وشمالها وجنوبها ووسطها) .

ونفس هذا الوضع بالنسبة لأصدقاء المغرب في قارة آسيا . . . فمن قصبات تركيا إلى قصبات بلاد العجم إلى أفغانستان إلى الهند إلى الصين إلى اليابان .

وقد تجلّى أن للمغرب معارفه وأصدقاءه الكثيرين كذلك في القارة الأوربية ، فنحن أمام زهاء عشرين دولة أوربية فيها إنجلترا وسكوتلاندا وإيرلاندا والبرتغال وأسبانياً وفرنسا وبلجيكا وهولاندا وبروسيا ، أيام كانت بروسيا دولة دولة على حدة . .

هذا إلى القارة الأمريكية حيث نجد للمغرب أصدقاءه القدامى سواء في الولايات المتحدة الأمريكية في الشمال أو فنزويلا والبرازيل في الجنوب .

والوثيقة من خلال كل هذا تصوير مفيد لجغرافية العالم السياسة في بداية هذا القرن عندما كانت بعض الجهات الإفريقية والآسيوية والأوربية تابعة لقوة بارزة من قوى العالم الأخرى ، وهكذا فإن المعلومات التي تحتويها الوثيقة معلومات مركزة .

وقبل أن تعطينا الوثيقة مفاتيح خطاباتها السرية تقدم لنا دليلا آخر على الظاهرة الصحية للمملكة ، وهي تفند كل الادعاءات التي ترمينا بالجزر والحواف واليأس .

ويتعلق الأمر بلقب أمير الأسطول الذي كنا نراه أيضاً في بداية هذا القرن ، بالرغم من التآمر الدولي في مؤتمر إيكس لاشا بيل 30 شتنبر 1818 ، هذا إلى ذكر للمركب الملكي الذي ظل إلى هذا الوقت يمحّر عباب المياة الإقليمية ويسهم في استرجاع بعض النقاط المغربية التي سيطر عليها بعض الشركات الأجنبية . . . من غير أن تهمل الوثيقة تخصيص الحواسيس والحونة بشكل من أشكال الحروف اللاتينية ، وهو حرف « T » وكأنها تشير إلى كلمة (Traître) .

هنا ذكر (البوسطة) و (التلغراف) وكذلك السكة الحديدية التي شعر المغرب بأهميتها في طليعة القرن العشرين . . وهنا

السلوك الدبلوماسي المعتمد لدينا ، كل برتبته :
المبعوثون الدبلوماسيون والسفراء العابرون
والقناصل المعتمدون والنواب المساعدون .

اضف إلى كل هذا الدور التجارية الكبرى
التي تمثل بعض الشركات العالمية . . بما فيها
دار هسنير (Haessner) الألمانية ودار
كوتش (Gautsh) الفرنسية ودار برينطلي
(Bariente) الإنجليزية ودار بن زويك
(Braunshving) الفرنسية ، ودار
ناهون (Nahon) الإيطالية . إن كل هذا كان
يترجم عن مدى تفتح المغرب لقبول ما تجدد
من أحداث على الساحة العالمية .

وبعد أن تقدم لنا الوثيقة شبه قاموس
رتبت كلماته على الحروف الهجائية المغربية (١)
تتناول طرق التعبير عن تلك الكلمات بأرقام
معينة . . وبعد أن تقدم لنا وسيلة ثانية
للتعمية ، تعتمد على تعويض كل حرف من
حروف الهجاء برقم معين تعود لإعطاء أيام
الأسبوع رقماً خاصاً ابتداء من يوم الأحد ،
كما تعطى أرقاماً معينة للأشهر الاثني عشر
القمرية بداية من المحرم ، وتقدم لنا في الصفحة
الأخيرة نموذجاً ثالثاً للتركيب السري للكلام ،
لا يعتمد على الإتيان بأرقام معينة عوض كلمة

ما من الكلمات ولا على تبديل حرف هجائي
برقم مخصوص ، ولكنه يعتمد على استبدال
الحروف العربية بحروف لاتينية مختارة على
أساس التعمية وبأرقام معينة في حالة استنفاد
الحروف اللاتينية . .

وهكذا فنجد أيام السلطان العظيم عبد الملك
السعدي (شهيده وقبة وادي المخازن 985=1578)
الذي كان يوقع أحياناً بحروف لاتينية (٢) ،
منذ ذلك التاريخ وجدنا اليوم أن الإدارة المغربية
تهيأت لاختصار الحروف العجمية - على الأقل -
كوسيلة ومن وسائل التعمية والتميز ، ووسيلة
من وسائل الفصل بين الأرقام ، رغبة في
تسهيل الأمر على من يرغب في حل الشيفرة .

وهكذا يكشف لنا عن جانب آخر من
جوانب الصحوة المغربية التي تمثلت في
الإقبال منذ بداية هذا القرن على تعلم اللغات
الأجنبية ، وخاصة : طنجة العاصمة الدبلوماسية
للمغرب ، ومن ثمة ، فإنني لأعتبر أن هذه
الوثيقة مجرد مفتاح للقراءات السرية ، ولكني
أعتبرها (مؤلفاً) يؤرخ لهذه المرحلة الدقيقة
من تاريخ المغرب الأقصى ، بل ولتاريخ الدول
التي ترتبط بالمغرب كذلك .

(١) من المعلوم أن للمغاربة ترتيبهم الخاص للحروف الهجائية وكذا للحروف الأبجدية على ما يذكره ابن خلدون
في المقدمة علاوة على أنهم ينقطون الفاء بنقطة من تحت وينقطون القاف بنقطة واحدة من فوق .

(٢) وقعة المخازن هذه هي التي أجهز فيها الجيش المغربي على ملك البرتغال دون سياستيان وهي المعروفة بمعركة
الملوك الثلاثة ، فقد قضى فيها علاوة على الملكين المذكورين على أمير مغربي ثالث كان يناصر سياستيان .

ولقد لذ لبعض الأوربيين والمستعمرين منهم خاصة أن يكتبوا عن هذه الفترة : العقد الأول من القرن العشرين ، متعصدين جميعهم إلى إثبات صورة واحدة ، وهي أن المغرب انتهى وأن تعثراته لم تكن وليدة تواطؤ المجموعة الدولية كلها على كيانه ، ولكنها كانت نتيجة لضعف أجهزته المركزية والإدارية ، وليدة تقوقعه وانغلاقه ، فجاءت هذه الوثيقة لتقدم المغرب كأتم منها تكون عليه الدولة قوة وتنظيماً ومواكبة وتحضراً .

ولابد أن المارشال ليوطي^(١) كان صادقاً مع نفسه عندما كتب من الرباط بتاريخ 24 أكتوبر 1920 يقول للسيد جورج ليكيس (G. Leygues) رئيس المجلس الوزاري بفرنسا :

لقد لاحظت أثناء زيارتي الأخيرة إلى فرنسا مدى الجهل المطبق الذي يهيمن على بعض الجهات المأذونة حيال ما تؤديه هنا في المغرب كلمة « السلطان » ، حيث لاحظت أن تلك الجهات تصنفه على أنه على نحو باي تونس أو سلطان مصر أو شريف مكة مع أنه لا صلة إطلاقاً بين هؤلاء وبين مركز السلطان بديار المغرب .

إن السلطان هنا هو الإمام الذي توجه شعبه : فهو عاهل سياسي وهو قبل كل شيء رئيس ديني لسائر المسلمين في المغرب ، بل في

الأجراء النائية الأخرى كما أدركته بنفسه أيام الحرب » . يقول اليوطي .

وفي رسالة دورية بتاريخ 18 نونبر 1920 موجهة من ليوطي إلى مساعديه يقول :

نحن هنا في المغرب وجدنا دولة وشعباً معاً ، مرافعلاً بأزمات ولكن هذه الأزمات إنما كانت حكومية أكثر منها أزمات اجتماعية : ويكفي أن نرجع قليلاً إلى التاريخ لنشهد حكومة حقيقية تظهر أمام العالم كأية دولة من دول الأسرة الدولية بما كانت تتوفر عليه من وزراء لامعين ، وسفراء ناجحين ، كانوا يجلسون إلى جانب الدول الأوربية فيؤدون واجبهم كأتم ما يكون الأداء ، وبعض هاته الشخصيات ما يزال إلى الآن ينعم بالحياة⁽²⁾ . ولقد وصلتنا هذه الوثيقة عن طريق المعرض الذي أخذت وزارة الشؤون الثقافية على عاتقها تنظيمه كل عام لتوزيع « جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق » فكانت في صدر الوثائق الراجعة بالمعرض الخامس الذي تم سنة 1973 .

وقد قدمت من لدن السيد الحاج محمد ابن محمد بن بناصر غنام . . . آلت إليه من جده السيد بناصر الذي كان الشخص الثاني في (دار النيابة) بطنجة في بداية هذا القرن . . . وكانت بمثابة مبنى وزارة الشؤون الخارجية في المصطلح الحديث .

(١) أول مقيم فرنسي عام بالمغرب بعد عقد الحماية الفرنسية 1912 .

(2) Hassan II : Le Défi : ED. Albin Michel 1967 n. 219 - 220

وقد توفرنا على نسخة أخرى من هذه الوثيقة ، لكن يظهر أنها إنما كانت منقولة عن الألى بدليل قيام صاحبها ببعض التصليحات التى كان يراها ضرورية (١) .

فمن هو الدبلوماسى المغربى بناصر بن أحمد غنام ؟

تعتبر أسرة غنام من الأسر الشهيرة الأثيرة فى الرباط وهى من أصل عربى أندلسى ، وتوجد أسر من المشرق تحمل هذا الاسم .

سمى على جده الحاج بناصر : هـ وقد عوض والده نظارة الأوقاف بعد وفاته عام 1290 - 1873 ولم يلبث أن عينه الملك الحسن الأول عام 1292 - 1876 أميناً للسفارة التى أوفدها العاهل صحبة السيد الزبدى إلى فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا لمفاوضة هذه الحكومات فى شأن الحماية التى كانت تمنح لبعض المواطنين المغاربة من لدن تلك الدول ، والتى كانت تسبب للحكومة المغربية عدداً من المشاكل . . . وبعد أن تقلب فى عدد من الوظائف وقام ببعض المهمات التى تمس الإدارة المالية نقل سنة 1315 - 1897 إلى طنجة حيث عمل بها أميناً قبل أن يقوم الملك عبد العزيز بحركته الأولى فى سبيل إصلاح أساسى لدار النيابة بطنجة حيث وجدناه ينشئ مجلساً استشارياً للنائب ، ويضع دستوراً للدبلوماسية المغربية ويحدد المهام

الرئيسية للدار وذلك بمقتضى مرسوم ملكى هام يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى عام 1318 30 غشت 1900 ...

فى هذا التاريخ التحق السيد غنام بدار النيابة كمستشار أول للسيد محمد بن العربى الطريسى النائب السلطانى ، وحتى نتصور الحجم والمنهاج الذى أصبحت تسير عليه (دار النيابة) بطنجة أو « الفسينة » كما كانوا يسمونها ، نرى من المفيد للمهتمين بتاريخ الدبلوماسية المغربية أن ننوه بالظهير العزيز الذى يحمل تاريخ 4 جمادى الأولى 1318 (38 غشت 1900) والذى يعتبر بمثابة النظام الداخلى لسير وزارة الشؤون الخارجية ، وقد كان آخر ما كلف بإعداده وتحضيره أمين الأمناء السيد عبد السلام التازى قبل أن يستعفى ويقصد البقاع المقدسة (٢)

ولقد كان من المهام التى أسندت إلى السيد بناصر غنام - وهو يمارس عمله بدار النيابة فى طنجة - تسميته عضواً فى السفارة التى يمثيها السلطان مولاي عبد العزيز عام 1319 - 1901 إن كل من فرنسا وروسيا صحبة السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية آنذاك ، ثم أرسل عام 1320 - 1902 إلى الجزائر موفداً من قبل السلطان المذكور لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران .

(١) عبرت النسخة الأولى فى مقطعين اثنين عن حروف الهجاء بحروف (أ ب ج د) فأصلحها صاحب النسخة الثانية .

(٢) د . التازى : رسائل مخزنية ، مطبعة أكادال ، الرباط ص 64 .

ويظهر أن المحاولة السابقة لإصلاح العمل بدار النيابة لم تؤت أكلها، فإن المجلس الاستشاري تحول إلى منافسات كان يستغلها المتربصون والمتأملون من خارج النيابة^(١)، الأمر الذي دفع بالسلطان مولاي عبد العزيز إلى أن يقوم عام 1322 - 1904 بحركته الثانية في دار النيابة بطنجة حيث استدعى من جديد أمين الأمناء الحاج عبد السلام التازي للمشاركة في الحكومة بعد أن كان قد استعفى قبل أربع سنوات للقيام بمناسك الحج على ما قلناه.

وهكذا سمي التازي « نائبا » بطنجة عوض الحاج محمد بن العربي الطريس حيث وجدنا النائب الجديد يلتزم من العاهل أن يشد أزره بإبقاء بناصر غنام إلى جانبه؛ تقديرا لخدماته وتجربته الطويلة. وبالرغم من عدم التحاق التازي بمقر مأموريته على ما سترى، حيث تقرر إقرار الطريس في وظيفته، فقد استمر بناصر غنام يقوم بأعمال دار النيابة مع النائب إلى أن تولى السلطان عبد الحفيظ مكان أخيه السلطان عبد العزيز عام 325 - 1907 حيث عين في اللجنة المكلفة بتقويم الخسائر التي لحقت الدار البيضاء بسبب الفتن التي أدت إلى احتلال المدينة من طرف فرنسا وأسبانيا.

وقد كانت آخر مهمة دبلوماسية قام بها غنام — بعد أن أثرت المصاعب ضد إرجاعه لعمله

بدار النيابة في طنجة — هي إرساله من لدن السلطان مولاي حفيظ عضواً في السفارة التي بعث بها العاهل إلى أسبانيا صحبة أحمد ابن المواز عام 1327 - 1909.

فمن الذي ألف الوثيقة السرية ؟

نقد صيغت مقدمتها بأسلوب تعتمد بدوره أن يحتفظ بالسر حول من ألفها ومن كتبها، فقد بنى للمجهول تركيبها : « اتخذ هذا المسطور... » « وقد جعل لكل فرد... ضُمن هذا المسطور : . . . وجعل لكل حرف : »

وهكذا فإن العمل عمل حكومة فيما يتأكد، وليس عمل فرد، ولو أن هذا الفرد كان هو الذي يطبق تعليمات الوثيقة الحكومية.

وهنا يطرح السؤال : متى نسخ هذا المسطور أو اتخذ قاعدة للمخاطبات السرية؟ سنقرأ الجواب عن السؤال على بعض صفحات الوثيقة وخاصة الصفحة الثالثة التي تتحدث عن وكلاء المغرب بالخارج وأعضاء « دار النيابة » في طنجة حيث نجد فراغاً مكان اسم النائب^(٢). . . والصفحة الرابعة التي تتحدث عن الخبراء العسكريين الأجانب والصفحة الخامسة التي تتحدث عن الجهاز المالي والريال العزيري والصفحة الثانية عشرة التي تتحدث عن بعض الرتب البحرية وبعض الدور التجارية . . . وبخاصة الصفحة العشرون التي أقيمت بآخرها علامة « الثائر الفتان ».

(١) عبارة مؤرخ الدولة مولاي عبد الرحمن ابن زيدان : لم يقع بين الرئيس والمرؤوس وفاق فاعتري ذلك الجمع التكسير . . . العز والصولة أ 306 - 308 - 307

(٢) خلا منصب « النيابة » مرتين أولاها عندما أعق الطريس عام 1904 وثانيهما عندما التحق بربه 16 شعبان 1326 = 13 شتنبر 1908 بعد نحو من شهر من انتصار مولاي حفيظ على أخيه مولاي عبد العزيز . . .

وهكذا نستطيع القول بأن الوثيقة نسخت أو جددت في أيام السلطان مولاي عبد العزيز وقبل مؤتمر الجزيرة الخضراء^(١) وبالذات في أوئل رجب 1322 من منتصف شتنبر 1904 عندما أعفى الحاج محمد بن العربي الطريس من النيابة عن السلطان وأسندت المهمة للحاج عبد السلام التازي بمقتضى عدد من الظهائر العزيرية التي صدرت للطريس وكذلك بمقتضى الخطابات الخاصة التي أرسلت بتاريخ ٤ رجب 1322 15 شتنبر 1904 لسائر قضاة المدن الساحلية الثمان: تطوان، طنجة، العرائش، الغدوتان البيضاء، آزمور، الحديدية، أسفي والصويرة. وكذلك لسائر أمناء المراسي الثمانية علاوة على القواد العشرة: ابن سعيد، السويسي، الحديدى، ابن هيمة الأزمورى، المنبهي، العبدى، الغازي، المختارى، المديوني^(٢).

كانت ظروف هذا التعيين لا تخفى على أحد، فلقد سبق أن أبرمت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية في أبريل 1904 تنازلت الأولى بمقتضاها للثانية عن مصر، وباعت هذه لتلك بلاد المغرب! وقد شهدت طنجة في

الشهر الموالى 18 مائة 1904 عملة اختطاف قام بها الشريف الريسونى استهدفت بعض الرعايا البريطانيين والأمريكان. . . وقد اقترن هذا بتزول البعثة الفرنسية برئاسة طلالاندى إلى فاس.

ومن المعلوم أن تعيين التازي في منصب النيابة أزعج إلى حد كبير خصومه، وبخاصة أعضاء السلك الأجنبي الذي عرفوا عنه إخلاصه وجديته أثناء ممارسته لوزارة المالية أربعة سنوات^(٣) الأمر الذي كان وراء التآمر لتجميد التحاقه بطنجة فلقد بلغ التطاول بالبعثات الأجنبية بطنجة أن أخذت تعتقد أن من حقها أن تشاور حول (من) سيعهد إليه بمباشرة العمل معها حتى ليخيل للمرء أن «دار النيابة» كانت سفارة مغربية معتمدة لدى الهيئة الدبلوماسية وليست السفارات الأجنبية هي المعتمدة من طرف حكوماتها لدى السلطان وحكومته^(٤).

في تلك الأثناء، حررت الوثيقة التي ترك فيها اسم النائب مع اثبات الرقم الخاص به وهو ٨٦ في حين أثبتت فيه لائحة سائر أعضاء النيابة وعلى رأسهم بناصر غنام:

(١) مما يلاحظ في الوثيقة أنها لا تتضمن حديثاً عن (بنك المغرب) الذي تنص عليه بعض رسائل مولاي عبد العزيز بتاريخ 12 ذى الحجة 1424 = 27 يناير 1907.

(٢) ابن زيدان: الاتحاد ٣٦٣٥ عبد الهادي التازي: رسائل مخزنية، القسم الأول، مطبعة أكدا 1967.

ص ٦٨ - ٦٩ - ٧٠.

(3) Nichaux - Bellaire: Organisation des Finances du Maroc: Journal asiatique

T.X.T 1907 Pierre Guilben: L'Allemagne et le Maroc 1867

P. 826 - Weisgerber: Le Maroc il ya 30 ans 1928 P. 26-27 au saul du Maroc moderne

P. 67 P.G. Rogers: A history of Anglo - Morocco Relations to 1900, London P. 233.

(٤) ع. ابن منصور: أعلام المغرب العربي I ص ٢٢٠.

وهناك مؤشر آخر يأتي في الصفحة العشرين
عندما ألحقت أسفل الصفحة الأخيرة علامة
التائر الفتان « T » عوض أن تكون في
الصفحة الرابعة الخاصة بالشؤون الحربية ،
وهو الأمر الذي يدل على أن تمرد الفتان
(بو حمارة) طراً والوثيقة معمول بها . . .

وهكذا يتأكد لنا أن الوثيقة ترجع للتاريخ
الذي افترضناه ، وهو أوائل رجب 1322
منتصف شتنبر 1904 :

وإذا ما تجاوزنا تلك الإشارات فإننا سنجد
أنفسنا أمام ملاحظات أخرى تدل بدورها
على بعض الظواهر التي تعطينا فكرة عن
واقع الأيام التي عاشتها الوثيقة :

نحن أمام طائفة من الألفاظ الدخيلة التي لم
تتهيأ المخطوطة لإقحامها ضمن اللغة العربية
المستعملة ، وهكذا لم يجد المؤلف غضاضة في
استعمال كلمة الديناميت (Dynamite)
وكلمات بنك نوط (Bank-Notes)
والشيك (Chèques) والليطرة (les traites)
والليبرة (Le livre) والريال البندقي
(Venezia) والبارة (Le barre)
والإنطريس (les intérêts) والكمسيون

(Commission) والسكرطة (Segurada)
والميرنط (Al Mirante) وقنصل جنرال
(Censul Général) وقيس قنصل
(Vice-Consul) وشمان — دوفير (Chemin
be fer) والبوسطة (Poste) تلغراف
(TélégraPhe) وسكلار (Circulaire)

وعلى خلاف القلقشندی في صبحه عندما
اعتمد على الأرقام الهندية في حل معمياته ، فإن
صاحب الوثيقة اعتمد على استعمال الغبارية :
ويعني بالقلم الغباري ما اعتدنا أن نعرفه في
سائر الموسوعات العالمية باسم الأرقام العربية
(Les chiffres Arabes) وهي :

1 — 2 — 3 — 4 — 5 — 6 — 7 — 8 —
9 — 10

وقد سميت بالغبارية لأن النساخ الذين
كانوا يرسمونها كانوا يضعون عليها غباراً
لتنشيف مدادها . . . وقد انتقلت إلى أوربا
من المغرب في وقت مبكر جداً بواسطة جيربير
(Gerbert) الذي أصبح البابا سلفيستر
الثاني :

وكما اعتاد المغاربة الاعتماد على القلم
الغباري استعملوا آنذاك الخط الفاسي أو القلم
الرومي .

الخط الفارسي والخط العربي

الخط الفارسي	ا	ب	پ	ت	ث	ج	د	هـ	الاحاد
القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9

الخط الفارسي	ع	سا	ل	سي	كي	ص	هـ	تا	لح
القيمة العددية	10	20	30	40	50	60	70	80	90

الخط الفارسي	ص	ي	ح	ل	ع	ك	ج	و	ت
القيمة العددية	100	200	300	400	500	600	700	800	900

الخط الفارسي	ا	ب	پ	ت	ث	ج	د	هـ	الآلاف
القيمة العددية	1000	2...	3...	4...	5...	6...	7...	8...	9...

الخط الفارسي	ع	سا	ل	سي	كي	ص	هـ	تا	لح
القيمة العددية	10000	20...	30...	40...	50...	60...	70...	80...	90...

الخط الفارسي	ص	ي	ح	ل	ع	ك	ج	و	ت
القيمة العددية	100...	200...	300...	400...	500...	600...	700...	800...	900...

الخط الفارسي	ا	ب	پ	ت	ث	ج	د	هـ	الكسور
القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9

ونظراً للغموض الذى لاحظتُ صاحب الوثيقة أنه قد يتعرض إليه الكاتب عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام غبارية متوالية ، نظراً لذلك وجدناه يبتكر فاصلة توضع بين الكلمات تمييزاً لها فيما بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام « الشيفرة » بوزارة الشؤون الخارجية ، وكانت الفاصلة التى اختارها على شكل خط أفقى صغير : شرطة على هذا النحو 660 — 55 — 890 .

أى (كتب لنا) ويؤديها رقم 660 (جلالة الملك) ويؤديها رقم 55 (بالعمل على ما تقدم لكم) ويؤديها رقم 860 .

وقد شعر « صاحب الوثيقة » بأن قاموسه لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، لذلك وجدناه يقدم طريقتين عمليتين للاستعانة بهما لتعمية الرسائل الموجهة :

ويتعلق الأمر فى الحالة الأولى بما ورد فى الصفحة 20 أى أن يعمد الكاتب إلى الحروف الهجائية ويجعل لكل واحد منها رقماً غبارياً معيناً ، وعوض أن يكتب بها ، أى بحروف الهجاء ، فإنه يكتب بأرقام الغبارة ، وزيادة فى التوضيح فإنه يجب علينا أن نجعل فاصلة بين الحروف . . كنا فيما سبق نستعمل ، فاصلة الشرطة بين الكلمات ، وهنا نستعمل ، كفاصلة بين الحروف ، نقطة على هذا الشكل (•) للتدليل على الفرق بين الحرف والحرف :

نريد أن نبليغ صاحبنا « أن البحر هاج »
فرسمه هكذا : 20 — 34 — 21 — 25 — 28
45 — 20 — 24 .

يبقى مع كل هذا الاحتياط شعور بنقص أو فراغ عندما لا نجد وسيلة لشكل الحروف ، بيد أن اعتماد « الشيفرة » على المادة العربية يجعل من السهل الاستغناء عن الشكل الذى نجد اليوم وزارت الخارجية فى الدول العربية تؤديه بواسطة الحروف اللاتينية :

وفى إذا حدث أن اشتملت الرسالة أو البرقية على ذكر عدد قد يلتبس بالأرقام التى أعطيت للكلمات والحمل والحروف ، فإنك تحصر هذه الأعداد بين شكلين على هذا النحو :
A الذى يشبه حرف A فى اللغة اللاتينية ، وهكذا عندما نجد مثلاً : A85A فإن القصد يكون إلى عدد خمسة وثمانين وليس إلى وزير الخارجية الذى يرمز إليه فى الوثيقة برقم 85 .

أما الحالة الثانية من حالات التعمية عندما لا نجد فى هذا « القاموس » غرضاً من أغراض الرسالة ، فهى أن تختار لحروف الهجاء أشكالاً تجعلها لها . وفى الحالة الأولى كنا نعبر عن حروف الهجاء بأرقام غبارية وفى هذه الحالة نعبر عنها بأشكال تتردد بين حروف لاتينية وبين أرقام غبارية :

نريد أن نبليغ صاحبنا بأن « البحر هاج »
فرسمه طبقاً للتعليمات التى وردت فى آخر صفحة من الوثيقة هكذا :
2 . O . U . L . A . S . O

لقد ابتدأت الوثيقة بإعطاء رقم لرئيس الدولة كان هو « الخمسة والخمسين » فتي تحدثت بهذا الرقم كنت تعني « الجنب المولوى » أعزه الله .

ولا بد أن المغاربة جميعهم يميزون إلى اليوم بين الموسيقى التي يعرفونها في محافلهم باسم (الآلة) بدون نسبة إلى الأندلس ، وبين الموسيقى الأخرى التي يطلقون عليها موسيقى « الخمسة والخمسين » والتي لا يقصدون بها شيئاً - في نظري - غير الموسيقى التي يستأث بجوقتها الخاصة ملك البلاد (١) .

وكثيراً ما نسمع مثل هذا التعبير السائر : « فلان ضربت عاينه الخمسة والخمسين » يعنى أنه في وضع كوضع الملوك بذخاً وعظمة .

وبعد رقم جلالة الملك يأتى رقم الولد 58 ولأم 55 والمهر 65 :

ثم كان رقم الوزراء والقضاة والنظار والقه اء إلى آخر للأئمة التي لم تغفل أى موظف سام من موظفى الدولة فى الداخل والخارج .

وبعد أن تقدم الوثيقة المواد التي تهتم الجيش مع أسلحة وقطع غيار . . . والتي تهتم المالية . . . والمهن التي تتصل بالملك والشكايات والمشور الملكى . . . كل برقمه .

بعد أن تقدم المراكز والمدن الساحلية للمملكة المغربية والمراكز والمدن الداخلية

تأتى على قواعد الممالك الآسيوية والأوربية والأمريكية وتذكر الدول الأفريقية ، بل إنها أحياناً تقسم الدولة الواحدة أقساماً بحسب أهمية العلاقات بين المغرب وبين تلك الجهة .

وهكذا فهى عند حديثها عن مصر مثلاً ، ترمز للاسكندرية برقم 294 ولطنطا برقم 295 ، ولدمنهور برقم 296 ولمصر العاصمة برقم 297 وللسويس برقم 297 مما يؤكد وجود مصالح للمغرب فى كل هذه الجهات ، وهى الحقيقة التي تثبتها الوثائق المصرية المخطوطة والمطبوعة .

وبعد أن تقدم لنا بعض الرتب البحرية . والدور التجارية التي لها صلة بالأغراض الحكومية ، بعد أن تقدم لنا ذلك ، كل برقمه الخاص به . . . تنتقل إلى الفصل الثانى وهو الذى يتعلق بالمفردات والجمل المتداولة فى الخطابات الرسمية .

وهنا نجد أنفسنا مع « قاموس » مقسم إلى قسمين : الأول خاص بالجمل الفعلية ، والثانى خاص بالمفردات والحروف . . وكلا القسمين مرتب ترتيباً دقيقاً على الحروف لهجائية . .

(١) يذكر بعض السادة المهتمين بهذه الآلة أن المقصد بالخمسة والخمسين عدد النوبات الموسيقية الإحدى عشرة مضروبة فى عدد الصنائع الخمس ، كما قرأنا عن آخرين أن اسم الخمسة والخمسين آت من أن عدد أفراد الجوق كان خمساً وخمسين ، ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن المقصد إلى موبقى ذلك .

وهكذا يبتدئ القسم الأول بالأفعال التي
تبتدئ بالألف : أخبرنا . أخبرناه ، أخبرونا
إلخ . . اكتب له مع البوسطة اعمل الواجب
عليك ولا تقصر . . كل جملة يعبر عنها
بمجموعة عددية لا تتعدى ثلاثة أرقام .

ثم يأتي حرف الباء : بايع . برى ، مما نسب
إليه . . إلخ . . ثم التاء . . توجه على
طريق البحر . . ثم الجيم والحاء والحاء والـدال :
دافع بالتي هي أحسن . . ثم العين : عمل
لنا تلغرافياً . . عمل سكلاراً . . إلى الياء :
« يسر لنا الأمور المكتوب لك عليها . : »

كما ندخل للقسم الثاني كذلك بالمفردات المبتدأة
بالألف : العمل على ما تقدم لكم . . المدد في الطريق
وبوصوله يكون لك الإعلام في التلغراف
ثم الباء إلخ . . إلى أن تقدم الوثيقة أرقامها
لكل حرف من الحروف الألفبائية قبل
أن تقدم أشكالاً أخرى لتلك الحروف ، متى
تعلق بها الغرض .

وقد كان من الملاحظات الدقيقة في هذه
الوثيقة أن الذي وضع الأرقام لأشخاصها

والكلماتها ، وجد نفسه أحياناً مضطراً لإعطاء
رقم مكرر ، فحتى لا يوقع الناس في اللبس
جعل الرقم المكرر ، علامة هكذا : 2 . - .
ويحدث أن يكرر الرقم ثلاث مرات وحينئذ
يجعل أمام الرقم المكرر ثلاثاً ، علامة هكذا :
($\frac{1}{3}$) وسرى - ونحن نستعرض صفحات
هذا المخطوط - أن الذين أشرفوا على تدوينه
كانوا على وعى تام بما يجري من حولهم ،
وبذلك برهنوا على أنهم كانوا يعايشون
الأحداث ويبتكرون لكل ما يجد شكلاً من
الأشكال ، لتسهيل عملية الاتصالات والمخاطبات
 والمراسلات .

لقد أصبحت هذه الوثيقة الفريدة بدراسة
تناولت فيها ، بتفصيل ، تطور «الكتابة الباطنة» كما
سماها ابن وهب الكاتب ، منذ ظهورها في المشرق
والمغرب ، وحرصت على أن أقوم بالمقارنات
والمفارقات بين طائفة من النماذج التي ظهرت
في المصادر العربية وغيرها .

عبد الهادي التازي
عضو المجمع المراسل من المغرب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
رئيس مجلس الإدارة
مصطفى حسن علي

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٤/٩١٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١١٠٦ س ١٩٨٤ - ٢٠٣٠

